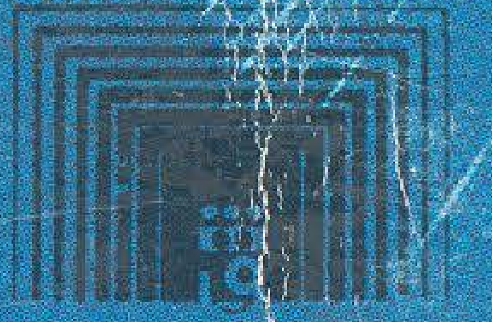
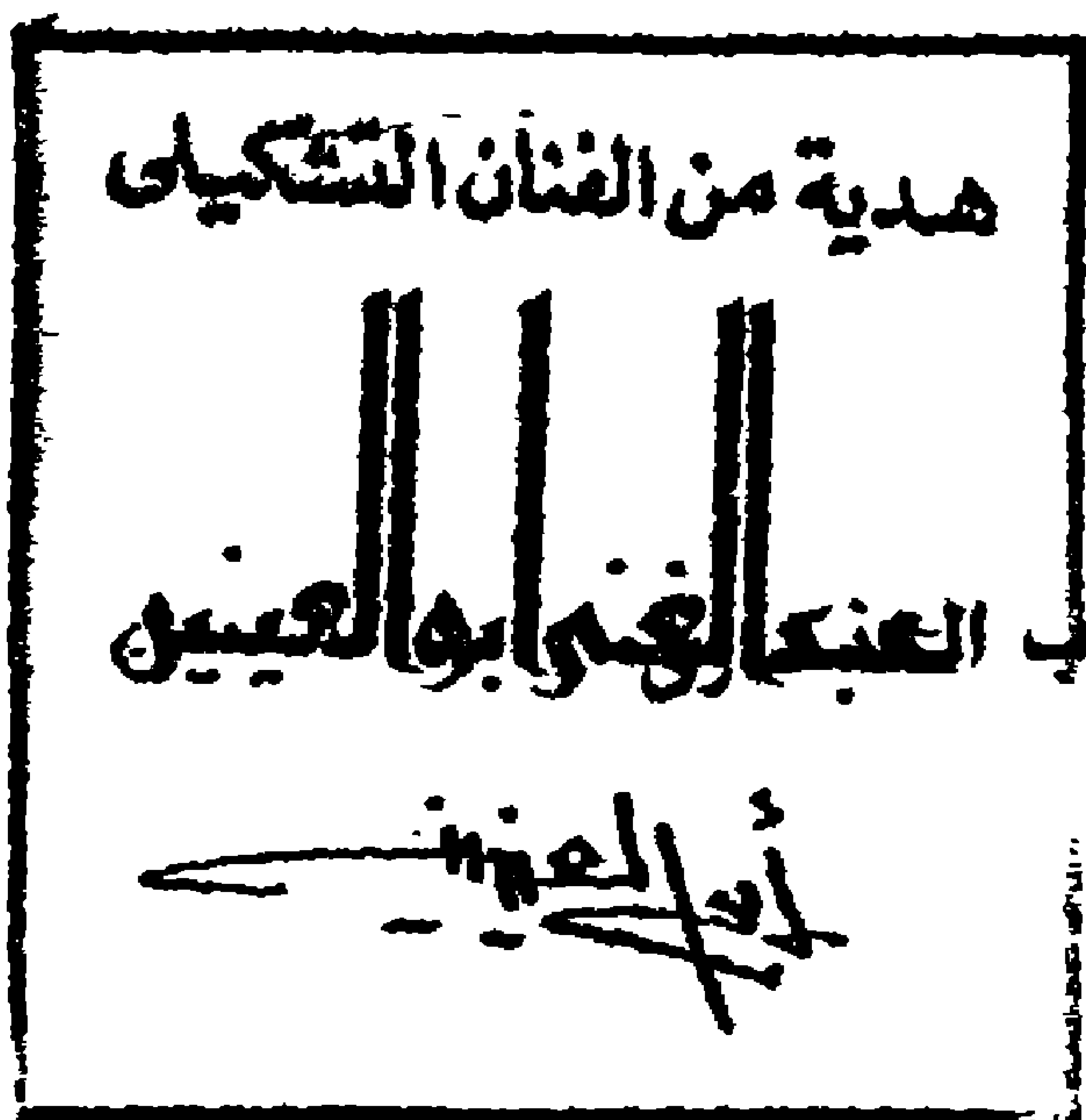


كتاب تذكارى

أحمد بهاء الدين

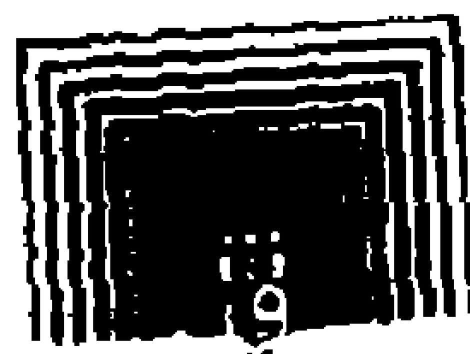
باقة حب

د/ جلال أمين
رجاء النقاش
رشاد كامل
د/ شكرى عياد
د/ صابر حارص
د/ عبد الله هديه
د/ على الراعى
د/ على الدين هلال
فتحى غانم
فريدة النقاش
لمعى المطيعى
د/ محمد الرميحى
محمود قاسم
د/ مصطفى عبد الغنى
مصطفى نبيل
نبيل زكى
يوسف القعيد



أحمد بهاء الدين

باقة حب



الهيئة العامة لقصور الثقافة

المراسلات : باسم مدير التحرير على العنوان التالي
١٦ أ شارع أمين سامي –القصر العيني– القاهرة – رقم بريدي ١١٥٦١

الكتاب التذكارى

الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

حسين مهران

أحمد بهاء الدين الجنوبى

لم يكن أحمد بهاء الدين مجرد ابن من أبناء محافظة أسيوط لمع اسمه وذاع صيته فى مجال من مجالات الحياة لكى نحتفل بتكريمه.. كما لم يكن أحمد بهاء الدين مجرد صحفى اتخذ الكتابة فى الصحف والمجلات مهنة له وارتقى فيها الى أعلى المناصب والدرجات لكى نفكر فى تنظيم مؤتمر أو ندوة كبيرة للحديث عنه.. ولكن أحمد بهاء الذين هو ابن من أبناء أسيوط العظام استطاع بعصامية نادرة أن يجعل من اسمه فى عالم الصحافة والرأى علامة بارزة على النبوغ الصادق الحقيقى والشهرة الصحيحة الأصيلة، كما استطاع أن يمثل بكتاباته ومواقفه الوطنية المتميزة جزءً من عقل مصر الناضج وضميرها الحي اليقظ خلال النصف الثانى من القرن العشرين فقد كان أحمد بهاء الدين على مدى نصف قرن من الزمان تقريبا علماً يشار إليه بالبنان فى مجاله لا لشيء ما تميزت به كتاباته من قوة تأثير وقدرة فائقة على الإقناع وتواصل حميم مع قرائه..

والكتاب الذى بين أيديكم الآن هو حصاد ما قدم لمؤتمر أحمد بهاء الدين من أوراق بحث أو مقالات أو كلمات تدور حول شخصية بهاء الدين وكتاباته ومحاولة الكشف عن جزء من أسرار نبوغه وتفرده كما تؤكد كلها على أن أحمد بهاء الدين

الذى ملأ قلمه الدنيا وشغل الناس طوال حياته الصحفية كان مثالا حيا وصادقا للإنتماء إلى مصر والوطن العربى من الخليج إلى المحيط أرضا وشعبا وتراثا خالدا خلود الحياة نفسها.. وكان مثالا للالتزام الواعى العميق بقضايا وطنه وأمته دون شطط أو جمود.. وكان فوق هذا كله مثالا للنزاهة والتجرد والتمسك فى شجاعة نادرة بكل كلمة كتبها أو موقف وقفه.

وأن يقام مؤتمر لتكريم أحمد بهاء الدين فى أسيوط أو فى غيرها من محافظات مصر إنما هو فى الواقع تكريم لمعان كثيرة سامية تمثلت فى شخصيته واحتفاء بكل القمم الوطنية والمبادىء الرفيعة التى أرستها أجيال عديدة من حملة الأقلام الحرة الشريفة فى صحافتنا المصرية والعربية وتقدير وتشريف لجزء عزيز من تاريخنا الفكرى والثقافى من أجل أن نضع أمام أعين الأجيال الشابة من الكتّاب والقرّاء صفحة جديرة بالتأمل ودليلا يشير إلى طريق قد لا تكون أقصر الطرق ولكنها بحق أطهرها وأشرفها نحو المجد والخلود..

لقد أعطانا هذا المؤتمر فرصة طيبة لمناقشته جادة ورصينة حول العديد من جوانب شخصية أحمد بهاء الدين وكتاباته، وإذا كان ثمة اختلافات بين الباحثين والمناقشين فى زاوية النظر والتقييم إلا أن ما لا خلاف عليه هو ما تتميز به كتاباته أحمد بهاء الدين سواء فى مقالاته الأسبوعية أو أعمدته اليومية أو تحليلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية من قدرة على

التحقيق والتفسير والتنبؤ وقبل هذا كله من جرأة في الحق وأمانة فى التعبير ووطنية فى المنطق والأهداف وسعى دائب دون كلل وراء الحقيقة من أجل استجلائها وتسليط الضوء عليها ووضعها كاملة دون تزييف أو تحريف أمام أبصار وبصائر القراء من أبناء شعبه وأمته.

لقد افتقدنا فى كثير من المواقف والأحداث المصيرية قلم أحمد بهاء الدين وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر فقد كان قلمه دائما كمبضع الجراح المتمكن الخبير فى الكشف عن مواطن الداء كما كان قلمه دائما نبراسا مضيئا يبحث فى ضوئه أصحاب القرار عن أفضل الحلول وأنسب أساليب العلاج.

دعاء صادقاً إلى الله تعالى لأحمد بهاء الدين بالشفاء العاجل وطول العمر..

محمد سميح السعيد

«محافظة أسيوط»

أحمد بهاء الدين
قلم مضيء.. وأفق رحب

تعتز الأمم العريقة بأبنائها النجباء الذين أخلصوا لأوطانهم ومنحوها من فيض فكرهم وعزيز جهدهم سطوراً مضيئة، وأحمد بهاء الدين ليس ابنا وفياً لوطنه فحسب لكنه بوتقة جمعت فى ذاتها عذوبة اللغة وإحكام العبارة والفكر التنويرى الذى يجمع بين السياسة والأدب والفن والدين فى أسلوب راق لا يعرف العصبية أو التحيز لقد عرفنا أحمد بهاء كاتباً كبيراً ذا رأى حصيف يلتف حوله من يرغب فى المعرفة الراقية والفكر الموضوعى إن مواقف «بهاء» الوطنية ليست بخافية على قرائه ومحبى كتاباته وعاشقى إنسانيته ورحابة أفقه وهاهى الهيئة العامة لقصور الثقافة - كعادتها - تقدم هذا الكتاب عن واحد من خلصاء مفكرى هذا الوطن، وهى - إذ تفعل ذلك - إنما لتقدم إلى الشباب واحداً من العقول الناضجة الحرة التي قدمت شهادتها على العصر الذى تعيشه.

وهذا الكتاب على تنوع دراساته لن يفى بتغطية كل الجوانب المضيئة من حياة أحمد بهاء الدين الخصبة والثرية، فقد تنوعت كتاباته ما بين الشعر والقصة والعمود الصحفى الذى كان يميز قلمه الحر الشريف، وتنوعت مقالاته الصحفية ما بين الكتابة

الأدبية والاجتماعية والاقتصادية ولم تكن هذه الكتابات بعيدة عن أرض الواقع ومشكلاته وإنما كانت تتخذ من الحياة والشارع المصرى أساساً لها.

إن أحمد بهاء الدين بنبوغه وإنسانيته يقدم مثالاً راقياً للإنسان المصرى المثابر الموضوعى حينما يلقى الضوء على قضية أو موضوع يهم الرأى العام، ونحن إذ نكرم أحمد بهاء الدين إنما نكرم أنفسنا بواحد من أشرف من أنجب هذا الوطن.

ندعو الله أن يعود لنا قلمه المضىء ليفتش فى نفوسنا ومشاكلنا عن حلول موضوعية مخلصة، ونتمنى أن تثمر هذه الدراسات والمقالات التى قدمها نخبة عظيمة من كتاب مصر والوطن العربى - عن الكشف عن فكر هذا الرجل الذى أعطى هذا الوطن من عقله وموضوعيته وإنسانيته الكثير والكثير وأود فى نهاية كلمتى أن أتوجه بالشكر العميق للسيد اللواء محمد «سميح السعيد» على تعاونه معنا وإسهامه فى انجاح هذا المؤتمر، كما أتوجه بالشكر العميق لأبناء الهيئة العامة لقصور الثقافة على ما بذلوه من جهد ساهم فى تتويج المؤتمر وجعله يليق باسم أحمد بهاء الدين.

حسين مهران

رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة

تواصل

يسعدنى بالنيابة عن أسرة الأستاذ أحمد بهاء الدين، أن أرحب بكم فى هذه الندوة التى تقيمها الهيئة العامة لقصور الثقافة ، وأن أتوجه بالشكر إلى كل من ساهموا فى تنظيم ورعاية هذه الندوة، وعلى رأسهم السيد الوزير اللواء «محمد سميح» محافظ أسيوط وتشريفه لنا بحضوره الندوة، والسيد «حسين مهران» رئيس هيئة قصور الثقافة على رعايته لهذه المناسبة الثقافية، وكذلك السيد «صلاح شريت»، رئيس إقليم وسط الصعيد الثقافى للجهد الخاص الذى بذله فى إقامة هذا المؤتمر والإهتمام الذى أحاط به وشمل كافة تفاصيله.كذلك يسعدنى توجيه الشكر لكل المشاركين فى الندوة لما بذلوه من جهد وما أبدوه من اهتمام، ولكل من تفضل من الجمهور بالحضور .

فأما أن تنعقد مثل هذه الندوة، وأن يكون إنعقادها تحت رعاية أجهزة الدولة، فهذا فى حد ذاته تكريم ذو مغزى كبير لأى كاتب وأى مفكر، وإن كان انعقادها على وجه الخصوص فى محافظة أسيوط فهذا يعطيها قيمة إضافية وذلك لحرص الأستاذ أحمد بهاء الدين على أن يرتبط اسمه بمحافظة أسيوط وبصعيد

مصر على وجه العموم، وحرصه على تأكيد انتمائه له.

وعلى الرغم من أن الأستاذ أحمد بهاء الدين قد ولد فى مدينة الإسكندرية بسبب ظروف عمل والده التى فرضت على الأسرة التنقل، وأنه قد قضى فترة دراسته الجامعية بكلية الحقوق فى مدينة القاهرة، وعلى الرغم من أن تفرغه للكتابة والعمل الصحفى الذى تولى أثناءه مسئولية عدد من كبريات المطبوعات والجرائد المصرية قد جعله لا يبارح مدينة القاهرة، إلا من بضع سنوات قضاها فى دولة الكويت، برغم كل هذا إلا أن انتماء الأستاذ أحمد بهاء الدين لصعيد مصر ظل لايفارقه، وكان مما يحرص على التأكيد عليه والتذكير به، هو انتماء انتقل إليه من خلال التربية الأسرية، والاهتمام بأمور الصعيد وما يجرى فيه، وإدراك لخصوصية المجتمع الصعيدى وبطبيعة الحياة فى بلاده وقراها .

ومع ذلك فإن اهتمام الأستاذ أحمد بهاء الدين بالصعيد وانتماءه العميق لأسيوط لم يكن أبدا نوعا من الارتباط المثالى بالأصل الريفى ولا القبول لحالة المجتمع ، بل كان اهتمام المدرك لمشاكل الصعيد والراغب فى تحسين أوضاعه.

لذلك فقد دعا الأستاذ أحمد بهاء الدين دائما للاهتمام بمشاكل محافظات الصعيد، ولتوجيه انتباه أجهزة الدولة إليها ومد الخدمات بها، وتشجيع الاستثمار فيها .

وكما تعلمون، فقد فرضت الظروف الصحية على الأستاذ

أحمد بهاء الدين أن يتوقف عن الكتابة وأن يحتجب عن قرائه لفترة، ولكن تواصل الكاتب مع جمهوره لا ينقطع لمجرد توقفه عن الكتابة، إذ أن أفكاره ومواقفه تظل جسرا بينه وبين هذا الجمهور .

ولذلك فإنه يسعدني أن أعلن هنا عن إنشاء جمعية مصرية خاصة بوزارة الشئون الاجتماعية، باسم جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين الثقافية، وقد قام بإنشائها عدد من أصدقاء وزملاء الأستاذ أحمد بهاء الدين من أجل العمل على نشر أفكاره وكتاباته والمشاركة في مختلف النشاطات الثقافية التي حظيت باهتمامه .

وبسبب المكانة التي يتمتع بها الصعيد لدى الأستاذ أحمد بهاء الدين، ومن أجل تأكيد الأفكار التي نادى بها حول ضرورة الاهتمام بمحافظات الصعيد. فإن الجمعية تعتزم ممارسة جزء من نشاطها الثقافي - هنا - في محافظة أسيوط، وبدءا من رعاية المدرسة التي تحمل اسمه في قرية الدوير، وصولا إلى المشاركة في النشاطات الثقافية التي تجرى في المحافظة.

ونرجو أن تكون الندوة التي نحضرها اليوم مناسبة لإلقاء الضوء ليس فقط على أعمال كاتب واحد، وإنما على تراث ثقافي مهم نبع هنا من الصعيد

زياد أحمد بهاء الدين

أحمد بهاء الدين
أربعون عاما من الكتابة الراقية

د. جلال أمين

فى السيرة الذاتية للفيلسوف البريطانى الشهير ، ألفرد إيير (A.J.Ayer) وردت إشارة جميلة إلى الكاتب البريطانى، الشهير جورج أورويل (G.Orwell)، إذ يقول إن أورويل «هو واحد من هؤلاء الناس الذين إذا شعرت بأنهم يحسنون الظن بك، أحسنت الظن بنفسك». وقد كان هذا دائما هو شعورى نحو أحمد بهاء الدين، منذ تعرفت عليه فى منتصف السبعينات، أى منذ ما يقرب من عشرين عاما، ولهذا يطيب لى أن أتكلم عنه فى عيد ميلاده أو فى الواقع، فى أى وقت آخر.

كان اسم أحمد بهاء الدين بالنسبة لجيلى، ونحن نخطو خطواتنا الأولى فى تثقيف أنفسنا فى أوائل الخمسينات، إسما لامعا ومثيرا للاحترام، إذ أن اسمه قد بدأ يلمع وهو لم يكن يتعدى العشرين من عمره، وتولى رئاسة تحرير مجلة صباح

الخير قبل أن يبلغ الثلاثين. وكانت صباح الخير بالنسبة لنا، فى أول عهدها ، فتحا كبيرا وقفزة رائعة إلى الأمام فى تطور الصحافة المصرية، دشن بها بهاء مدرسته الراقية فى الصحافة: ملتزمة دون أن تكون متزمتة، هادفة وممتعة فى نفس الوقت، راقية دون تعال على الناس، وشديدة الحساسية بمشاكل الناس دون أن تتملقهم ، وقد ظل بهاء على هذه الحال فى كل ما تولاه من أعمال. والمدهش أنه بكل هذا الهدوء الذى يتسم به، كان وكأنه يمسك بعصا سحرية ما أن يمس بها المجلة أو الجريدة التى يتولى مسئوليتها حتى تتحول إلى شىء راق وجديد تماما، أيا كان حالها قبل قدومه، حدث هذا بعد أن ترك صباح الخير وفى أخبار اليوم، وفى مجلة المصور ودار الهلال ثم فى جريدة الأهرام، ثم فى مجلة العربى الكويتية، وقد كان هذا دائما باعثا لدهشتى الشديدة، إذ بدا لى مدهشا أن يكون هذا الرئيس البالغ النجاح فى إدارته رجلا، يمثل هذا الهدوء والسكينة، أنه يقابلك فتظن أن لاشىء يشغل باله، ولاشىء يقلقه، وكأنه لايحمل على عاتقه أية مسئولية على الإطلاق. والأرجح أنه يتمتع بتلك القدرة الضرورية لأى مدير ناجح على أن يركز فى كل لحظة على أمر واحد دون غيره، فلايسمح لذهنه بالتشتت بين عدة مشاغل فى نفس الوقت.

سرعان إذن ما استقر رأى جيلى على أن أحمد بهاء الدين

إذا كتب، فلابد أن يقرأ، وسرعان ما أصبح اسمه كافيا لتزيين أى صحيفة وللإغراء باقتناء أى مجلة، وإذا به إذا تعقدت الأمور وتضاربت الآراء يكتب فيقول فى كلمتين أو ثلاثة ما يضع حدا للخلاف، ويصبح الموضوع واضحا كوضوح الشمس ولا يحتاج بعد ذلك إلى مزيد.

مواهب متعددة

كان هذا رأينا جميعا، ويكاد يكون رأينا فى كل ما يكتب ولكن هناك مقالات معينة تبقى فى ذهن كل منا ولاتنسى، لأنها أثرت تأثيرا خاصا فى هذا الشخص أو ذاك. من هذه المقالات، فيما يتعلق بى أنا، مقالا كتبه بهاء فى صباح الخير أو روزا اليوسف فى منتصف الخمسينات عن أول مجلدات ثلاثية نجيب محفوظ: بين القصرين ، وكانت هذه فيما أذكر، هى المرة الأولى التى أكتشف فيها تعدد مواهب أحمد بهاء الدين وتشعب اهتماماته. كان يكتب فى هذا المقال كناقد أدبى، فبز غيره من النقاد وتفوق عليهم، ثم تعددت الأمثلة بعد ذلك - بالطبع - فيلم يعد فى الأمر جديد، يكتب عن معرض فنان تشكيلى، أو فيلم لفاتن حمامة، أو أغنية جديدة لعبد الوهاب، بل لقد قرأت له مقالا بديعا فى مجلة العربى عن «الحصان العربى».. فإذا به فى أى موضوع يتناوله، يكتب ليقرأ ويفيد ويمتع .

من أجمل ما قرأت له أيضا مقالاً نشر فى جريدة كويتية

(لعلها جريدة الوطن) عن عبد الحليم حافظ، بعد وفاته مباشرة. أتذكر أثر هذا المقال في نفسى، ليس فقط لعذوبته ورقته، بل لأنه ربط بين ظهور عبد الحليم حافظ وشهرته وتطور الحياة السياسية فى مصر، فوضع عبد الحليم حافظ فى مكانه من تطور الثقافة فى مصر ووضح ما لعبد الحليم من دين لثورة ١٩٥٢. وقد كان بهاء نفسه مدينا لقيام الثورة مثلما كان عبد الحليم حافظ وكمال الطويل والموجى ويوسف إدريس وصلاح جاهين وأحمد عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور.. إلخ فقد فتحت هذه الثورة الباب لطرق جديدة للتعبير فى الصحافة، كما فتحته فى الغناء والتلحين والشعر والأدب وكان حزن بهاء لوفاة عبد الحليم مرتبطا بهذا الشعور لديه بأنهما ينتميان لجيل واحد لمعا واشتهرا وعبرا معا عن نهضة جديدة للشعب المصرى، وعن مرحلة جديدة متألقة من مراحل تطور الثقافة المصرية .

من أين تأتى لبهاء هذا النجاح الذى يصعب أن نعثر على مثيل له فى تاريخ الصحافة المصرية؟ أعتقد أن السبب هو أن بهاء جمع بين مجموعة من الصفات يندر جدا اجتماعها فى شخص واحد: ذكاء فطرى حاد، وقدرة فائقة على الربط بين النظرية والواقع، فلا تبقى النظرية فى واد والمشكلات الواقعية فى واد آخر، وشجاعة عقلية لاتقبل الاحتفاظ فى الذهن بما يثبت

له خطأه، وحس أخلاقي رفيع، وأسلوب صاف خال من الشوائب، يذهب إلى الهدف مباشرة، وقدرة عالية على التمييز بين المهم وغير المهم، وعلى ترتيب الأولويات ترتيبا صحيحا، وواقعية تجعله يرفض الاسترسال فيما لايرجى منه خير، وتعاطف قوى مع صغار الناس والمغلوبين على أمرهم، وهو بالإضافة إلى هذا كله لايبالغ فى تقدير نفسه، يسره الثناء ولكنه لا يخرجه عن طوره، وسرعان ما يمله، يحب النجاح ولكنه لاينسى الهدف الذى كان يريد النجاح من أجل تحقيقه. وهو محب للحياة مقبل عليها. يقدر كل ما هو جميل ويستمتع به ويطرب إلى كل منظر طبيعي أو كل غناء أو طعام أو شعرا أو أدبا أو نكتة، أو وجها جميل، قد يبدو أن اجتماع كل هذه الصفات في شخص واحد من قبيل المستحيل ولكننى أعتقد أنها انعكاس لموهبة واحدة أو موهبتين: حس أخلاقى رفيع مع إحساس فني راق. فمن السهل مثلا أن نرى أن أسلوب بهاء - في الكتابة البسيط والخالى من التكلف - انعكاس لصدقه بوجه عام، وواقعيته وكراهيته لأى صنف من أصناف الخداع، إذ أن الأسلوب المتكلف هو نوع من أنواع الكذب كما أن من السهل أن نرى أن تعاطفه مع الفقراء انعكاس بدوره لحسه الأخلاقى القوى. وهكذا.

عندما بدأ اسم أحمد بهاء الدين يلفت الأنظار فى أوائل

الخمسينيات، بدأنا نتكلم عنه ونتساءل عمن يكون؟ فقيل لنا إنه - عدا ما يمكن لنا أن نكتشفه من كتاباته - رجل حييٌ خجول لدرجة مدهشة. وقد كان من الصعب علينا أن نصدق هذا إذ أن كتاباته كانت تعطيك انطباعا عن رجل جرىء جسور لايهاب شيئا ولكنى رأيته مرة فى ملتقى عزاء فى منتصف الستينيات. فوجدته فعلا كما سمعت رجلا بالغ الحياء شديد الخجل، أو هكذا تصورت وقتها، على أني عندما بدأت ألتقي به على فترات متقاربة بعد هذا بعشر سنوات، ابتداءً من منتصف السبعينيات، كان هذا الخجل قد زال ولم يبق منه إلا وداعة وتواضع محببان ووجدته رجلا يحسن الاستماع كما يجيد الكلام ويجد متعة كبير فى أن يشرك معه غيره فيما يعرفه من أقاصيص مدهشة ولا نهاية لها، تتعلق بالحياة السياسية والثقافية فى مصر أو البلاد العربية، ولكنك تلاحظ أن كل قصة منها، مع شدة طرافتها، لاتخلو من مغزى، وأن الذى لفت نظره إليها وحبب إليه روايتها، ليس محض الطرافة بل هذا المغزى الذى تحمله.

الموهبة والأعداء

ليس من الصعب أن نفهم لماذا يجب أن يكون لرجل كهذا أعداء كثيرون فهناك أولا نجاحه الباهر مع جماهير القراء، ولكن هناك أيضا قربه من السلطة السياسية ، ولعل أعداءه يكرهون هذا القرب من السلطة ولايبالون كثيرا بنجاحه مع جماهير

القراء. والذى لابد أن أثار غيظ أعدائه بوجه خاص أن قرب أحمد بهاء الدين من السلطة كان لسبب واحد لاسبب غيره، وهو موهبته، وهو شيء يعرفون جيدا أن لاحيلة لهم فيه، ولا سبيل إلى سلبه منه، أو إلى مجاراته وتقليده، إن بعض هؤلاء يشى به لدى جمال عبد الناصر وينقلون إليه نقدا صدر عن بهاء الدين وينصحون باعتقاله، فينهاهم عبد الناصر عن ذلك قائلا : «سيبوه هو دماغه كده» وهم يرون السادات يتصل به للاستماع إلى رأيه باحترام شديد فى أمور من أهم أمور الدولة، بل ويأخذ برأيه وينزل على حكمه، ويسمعون أن الرئيس مبارك اتصل به فى الصباح الباكر بعد أن قرأ عمود بهاء فى الأهرام ليتبادلا أطراف الحديث بشأنه. وهم يعرفون أنهم لايستطيعون أن يصيبوه فى مقتل، لابحرمانه من منصب إذ أنه لايريد منصبا، ولابمنع المزايا المالية عنه، لأنه لايطيل التفكير فى المال، فيزدادون غيظا ويستشيطون غضبا.

ولكننا نلاحظ أن أحمد بهاء الدين قد أثار فى بعض المناسبات على الأقل، حفيظة بعض اليساريين أيضا المعارضين للسلطة، فأخذوا عليه أنه فى بعض الأحيان قد اقترب من السلطة أكثر من اللازم، وقد سمعت بأذنى بعضهم يداعبه مداعبة لاتخلو من نقد من طرف خفى، لأنه لم يتعرض للاعتقال قط، وابتسم بهاء وقتها ولم يعلق وأنا أحاول أتذكر

شيئا واحدا كتبه بهاء فى كل ما قرأته له، ترك لدى شعورا بأنه كتبه تملقا للسلطة فلا أجد، نعم، كان فى بعض الأحيان عندما يشتد إظلام الجو السياسى، وتضيق دائرة الحرية المتاحة ضيقا شديدا، يلجأ إلى السكوت أو إلى الكلام فى موضوع آخر، مهم دائما ومفيد فى جميع الأحوال، ولكنه لايقول قط ما يخالف ضميره، كما أنى أقارن بين النفع الذى عاد على القارىء العربى من استمرار بهاء فى الكتابة ومن احتفاظه بالقدرة على الكتابة والنشر، فى عصر بعد آخر من العصور السياسية المختلفة، ولمدة تزيد على أربعين عاما، دون انقطاع، أقارن هذا بما يمكن أن يكون قد عاد من نفع من دخول بهاء السجن أو الدخول فى مواجهة عنيفة مع السلطة فأفضل ما اختاره بهاء مائة مرة والأمر فى التحليل الأخير مرده إلى مزاج المرء وطبيعته، ولكل مزاج مذاقه وقيمته ودوره فى تطوير الحياة الثقافية والسياسية فى مصر.

وكما أن فيمن دخل السجن ومن لم يدخله مهرجون كثيرون، فإن من بين هؤلاء وهؤلاء عظماء كثيرون دفعوا بمصر خطوات كثيرة إلى الأمام وإنى لا أشك فى أن أحمد بهاء الدين هو فى المقدمة من هؤلاء .

دور مهم فى الحياة السياسية

إن صفات أحمد بهاء الدين الشخصية والمهنية، بالإضافة

إلى غزارة قلمه، جعلت تطور حياة بهاء المهنية يعكس بدرجة عالية من الدقة، ما طرأ من تطورات على حياة مصر السياسية والثقافية فدور بهاء الدين فى الخمسينيات والستينيات فى الصحافة والحياة السياسية المصرية، ليس كدوره فى السبعينيات، وهذا يختلف أيضا عن دور فى الثمانينيات، لأن كل عقد من هذه العقود كانت له سماته الخاصة. فظهور مواهب بهاء الدين وصلاح جاهين وحجازى وعبد الصبور وعبد الحليم حافظ وكمال الطويل والموجى ويوسف إدريس.. إلخ فى وقت واحد، ولكن فى مجالات مختلفة لابد أن يكون له علاقة وثيقة بالتحولات العميقة التى أحدثتها ثورة ١٩٥٢ فى المجتمع المصرى وفى الحياة السياسية .

فكما أن عبد الناصر كان يشق طريقا جديدا فى السياسة الخارجية والاقتصادية، ويزيح طبقة ليحل محلها طبقة أخرى كان هؤلاء الكتاب والفنانون يشقون أيضا طريقا جديدا، كل فى مجاله، ويزيحون مدارس أدبية وفنية وصحفية بأكملها ليحلوا محلها مدارس جديدة، كان عبد الحليم حافظ والطويل والموجى ومرسى جميل عزيز يزيحون الأغنية الرتيبة البطيئة التى تقطر تشاؤما وانكسارا أمام القدر، وذلا أمام الحبيب، ليحلوا محلها أغنية سريعة قصيرة فرحة ومتفائلة بالحياة، كلماتها أقرب بكثير إلى الواقع وتعكس ثقة أكبر بالنفس .

وكان حجازى وعبد الصبور يكسران قواعد الشعر التقليدى ليتمكنا من التعبير عن معان جديدة غير مألوفة، بينما كان صلاح جاهين يكشف عن مواطن الجمال في لغة العامة وتعبيراتهم وأسلوب حياتهم، كان يوسف إدريس يفعل نفس الشيء في القصة والمسرحية ونجيب محفوظ يفعل شيئا مماثلا في الرواية، بينما كان أحمد بهاء الدين يرسى أساس مدرسة جديدة في الصحافة تعبر عن مطامح جيل جديد وطبقة جديدة.

هل يمكن أن يكون محض صدفة أن يحدث في نفس الوقت الذى بدأ السادات فيه يدشن سياسة خارجية واقتصادية جديدة ابتداء من منتصف السبعينيات، أن يتوقف يوسف إدريس عن كتابة القصة، ويتوقف كمال الطويل عن التأليف الموسيقى، ويصاب صلاح جاهين باكتئاب شديد، وينشغل صلاح عبد الصبور بالعمل الإدارى، ويهاجر عبد المعطى حجازى إلى فرنسا، ويسافر أحمد بهاء الدين إلى الكويت ليرأس تحرير مجلة العربى!

إنى أعرف جيدا أننى كثيرا ما أفرط في الربط بين العام والخاص، وأبالغ في البحث عن علاقة، قد لا تكون موجودة بالمرة، بين أمور السياسة والاقتصاد من ناحية وبين المشاعر الشخصية من ناحية أخرى، ولهذا فإنى أعرف جيدا أننى قد أكون مبالغا بشدة عندما أحاول تفسير سكوت أحمد بهاء الدين

المطبق طوال العامين الماضيين، ليس بمجرد المرض، الذى ندعو جميعا له بالشفاء منه، بل برده إلى ذلك الانحسار الذى أصاب الحركة الوطنية العربية، التى كانت دائما عزيزة على قلبه.

أحمد بهاء الدين شاعرا

رجاء النقاش

تعرفت على الأستاذ أحمد بهاء الدين ككاتب حوالى سنة ١٩٥٢، وذلك قبل أن أتعرف عليه بصورة شخصية، وهو ما حدث بعد ذلك بأربع سنوات، وكنت- عندما قرأت اسم أحمد بهاء الدين لأول مرة سنة ١٩٥٢- طالبا بالسنة الأولى فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، وكنت فى تلك الأيام شديد الشغف بما يجرى فى حياتنا الثقافية والفكرية، وكانت هذه الفترة نفسها تعطينا نحن الشباب الصغار الناشئين إحساسا قويا بأن عصرا جديدا سوف يبدأ بالنسبة لمصر والعالم العربى كله، وأن العالم القديم أوشك على الانهيار فى كل شىء، فقد استنفد العالم القديم جهده وطاقته، وأصبح مجتمعنا بحاجة إلى فكر جديد وثقافة جديدة وأساليب جديدة فى العمل السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

وقد تأكد لدينا هذا الإحساس القوى بانهيار العالم القديم وميلاد عالم جديد عندما قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ لتضع حداً

فاصلا بين دنيا ترحل ودنيا أخرى تولد وتنمو وتفرض سلطانها على واقع الحياة .

فى وسط هذا المناخ العاصف كان اسم أحمد بهاء الدين قد بدأ يلفت الأنظار كعلامة فكرية ساطعة من علامات العصر الجديد الذى يشرق على حياتنا بعد إسدال الستار على عصر قديم راحل .

كان السؤال الذى يتردد فى أذهان الكثيرين هو:

هل بالإمكان أن تقدم المرحلة الجديدة عباقرة متميزين مثل العقاد وطه حسين وهيكل وأحمد أمين وسلامة موسى والزيات وزكى مبارك والمازنى ومندور ومحمود عزمى وغيرهم؟

إن هذا الجيل من العمالقة ظهر فى عالمنا القديم فى النصف الأول من القرن العشرين وأدى دوره ورسالته على خير وجه، وتصدى للعقبات والصعوبات بثقافة واسعة، وموهبة أصيلة وإرادة قوية قادرة على المواجهة والصبر والاحتمال .

فهل تستطيع المرحلة الجديدة أن تقدم إلى ساحة الفكر رجالا من هذا الطراز؟

ولم تكن الإجابة النظرية على هذا السؤال تجدى أو تفيد بل كان لابد من ظهور شخصيات تثبت أن هناك قدرة على تقديم جيل جديد يواصل الرسالة، ويحمل العلم، ويكون جديرا بأن

يكون استمرارا للجيل السابق فى أهميته وقيمته ومواهبه، وأن يعبر فى نفس الوقت عن العصر الجديد، كما عبر الجيل الأول عن عصره وتولى مراكز القيادة الفكرية المؤثرة فيه .

وكان أحمد بهاء الدين فى مقدمة الأسماء الجديدة التى ظهرت منذ البداية بقوة وثبات وقدرة على التأكيد بأن العالم الجديد سوف تكون له مواهبه العالية الأصيلة التى تعبر عنه وتؤثر فيه .

وكان أول كتاب يصدره بهاء وينال شعبية واسعة هو كتابه «فاروق ملكا» أصدره بعد قيام الثورة بأسابيع قليلة.. ولم يكن كتابا صحفيا يعتمد على الإثارة، بل كان هذا الكتاب على سهولته الشديدة ، قائما على تحليل تاريخى سياسى رفيع المستوى، وكان فى نفس الوقت مليئا بالمعلومات التى كانت جديدة على الناس فى ذلك الوقت، وبخاصة فيما يتعلق منها بخفايا النظام الملكى فى مصر، وأسباب فساده التى أدت إلى انهياره وزواله .

كان الكتاب تحليلا تاريخيا وسياسيا بالغ الذكاء والدقة للأزمة السياسية التى تعرضت لها مصر وانتهت بانفجار كبير هو ثورة ٢٣ يوليوسنة١٩٥٢ .

وكان الكتاب من ناحية أخرى عملا صحفيا ممتازا، لأنه جاء

فى وقته، ولم يتأخر عن الأحداث الكبيرة التى هزت مصر ولذلك كان الكتاب ناجحا بدرجة ملحوظة وفى تلك الأيام التى مر عليها الآن ما يزيد على أربعين سنة كنا نجد هذا الكتاب فى يد كل من يعرق القراءة والكتابة فى مصر ..كنا نجده فى أيدى الشبان والكبار والموظفين والطلاب والطالبات فى الجامعات والمدارس وبذلك كان هذا الكتاب الذى سجل سقوط ملك هو نفسه الكتاب الذى سجل ميلاد كاتب كبير أحبه الجميع منذ أول لقاء معه هذا الكاتب هو : أحمد بهاء الدين .

ولم يكن هذا الكتاب هو أول كتاب لبهاء، فقد سبقه كتاب صغير آخر اسمه «النقطة الرابعة» ظهر فيما أذكر سنة ١٩٥١ وكان هذا الكتاب دراسة للمساعدات التى تقدمها أمريكا للدول النامية الفقيرة مثل مصر، وكانت هذه المساعدات يطلق عليها فى ذلك الوقت اسم «النقطة الرابعة» ولا أذكر الآن سبب هذه التسمية، ولكن الذى أذكره أن بهاء كان فى هذا الكتاب يهاجم المساعدات الأمريكية لمصر، ويكشف عن أهدافها السياسية ويؤكد أنها ليست مساعدات حقيقية، وإنما هى وسيلة من وسائل السيطرة والتدخل السياسى فى شئون مصر وغيرها من البلدان الفقيرة .

المهم هنا أنه فى عام ١٩٥٢ كان اسم «أحمد بهاء الدين» من الأسماء الكبيرة الصاعدة بقوة فى عالم الفكر والثقافة، وكان

بهاء يومها في الخامسة والعشرين من عمره فهو من مواليد فبراير ١٩٢٧، وكانت سن بهاء الصغيرة من الأمور اللافتة للنظر في جميع مراحل حياته، فقد تخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٦ وكان في التاسعة عشرة من عمره، وكان ولايزال من النادر أن يتخرج طالب في الجامعة في مثل هذه السن الصغيرة، فسن التخرج الطبيعي لا تقل عن ٢١ سنة باعتبار أن الطالب العادي يدخل الجامعة في سن السابعة عشرة ولكن بهاء كان من الاستثناءات القليلة النادرة، وكانت هذه الصفة الاستثنائية تلازمه في كل مراحل حياته فقد كان دائما متقدما في مكانته وموهبته وقيمته ومسئولياته رغم صغر سنه بالنسبة لجميع المراحل التي مر بها في حياته الصحفية، ويكفي أن نشير هنا إلى رئاسته لتحرير مجلة «صباح الخير» التي ظهرت سنة ١٩٥٦ وكان بهاء في التاسعة والعشرين من عمره عندما تولى إصدارها ورئاسة تحريرها، وكان بذلك أصغر رئيس تحرير عرفته الصحافة المصرية في هذا الجيل .

بهاء مثل أعلى للشباب

وأعود إلى بداية بهاء لأقول إنه لفت نظري وأنا شاب صغير بقيمته ككاتب سياسي يملك ثقافة واسعة، ومعرفة عميقة بأحداث التاريخ المحلية والعالمية وأنه كان يتميز في كتابته بالوضوح والسهولة والبعد الكامل عن التعقيد وكان نجاح بهاء السريع

والقوى يغرينا نحن الشباب الصغار الباحثين عن مثل أعلى فى ذلك الوقت بأن نحاول التعرف على أسرار نجاح بهاء لعلنا نجد فى هذا النجاح هدى لنا وضوءا على الطريق .

وبالإضافة إلى إغراء البحث عن أسرار نجاح بهاء بالنسبة لنا نحن المبتدئين المتطلعين إلى المستقبل فقد كان هناك شيء خاص بى لفت نظرى فى كتابات بهاء منذ البداية هذا الشيء هو أسلوبه ..

لقد كان الاهتمام الأساسى لى خاصة فى فترة نشأتى الفكرية وتكوينى الثقافى الأول، هو الاهتمام الأدبى، فالثقافة الأدبية هى ما كنت أعشقه وأتابعه وأسعى إلى معرفته والاهتمام به على أوسع نطاق وقبل أى شيء آخر، ومن هنا كان اهتمامى «الخاص» بأسلوب أحمد بهاء الدين، فقد أحسست منذ البداية أنه أسلوب يفوح بعطر الموهبة الأدبية الأصيلة رغم أن معظم كتاباته الأولى كانت فى السياسة والتاريخ، ولكن أداة التعبير عند بهاء، هى اللغة، كان فيها من الجمال والعذوبة ما يؤكد أنها «أداة تعبيرية» صادرة عن موهبة أدبية قوية اتجهت بنشاطها إلى مجال التفكير السياسى والتاريخى وكنت ألاحظ فى أسلوب بهاء نوعا من «الموسيقى» التى يمكن أن نسميها باسم «الموسيقى الخفية» كانت ألفاظه وعباراته لها «إيقاع» تحس به «النفس» قبل أن تحس به «الأذن» فكتابة بهاء هى

دائما أبعد ما تكون عن الكتابة التقريرية العلمية الجافة، بل هى كتابة نابضة بالحياة، وكتابة تنتمى إلى عالم الفن الجميل أى أنه كان أديبا يكتب فى السياسة والتاريخ، كان واحدا من تلك المدرسة العظيمة التى تأسر القلب والعقل وهى مدرسة المفكرين والمؤرخين الأدباء من أمثال «توينبى» و«ويل ديورانت» و«ستيفان زافيج» وغيرهم ممن كنا قد قرأنا لهم بعض روائعهم المترجمة التى جمعت بين التعبير الأدبى والمادة التاريخية والفكرية الغزيرة .

وكان اكتشافى للقيمة الأدبية والجمالية فى كتابات أحمد بهاء الدين سببا من أقوى الأسباب التى جعلتنى أحب كتابته، وأسعى - عندما أتيحت لى الفرصة - للتعرف الشخصى عليه .

وقد تيقنت بعد أن «أدمنت» قراءة ما يكتبه أحمد بهاء الدين أن له جذورا أدبية قوية، وعندما تعرفت على أحمد بهاء الدين بصورة شخصية حوالى سنة ١٩٥٦ وجدته - كما توقعت - يتميز بالذكاء الحاد، والثقافة الواسعة المتنوعة، والذوق الرفيع، ولكن يوجدت فيه صفة تخلق بينه وبين الآخرين حاجزا ومسافة هذه الصفة هى «الحذر» يضاف إليها صفة أخرى هى «الحياء الشديد» فبهاء ليس من النوع الذى «يقتحم» الآخرين أو يسمح للآخرين باقتحامه، فهو يفضل دائما أن تكون بينه وبين الناس مسافة كافية، بحيث لايطغى هو على غيره، ولايطغى غيره عليه

وبالمصادفة فقد كنت أنا نفسي- وما زلت - أعاني من «شدة الحياء» وعدم القدرة على اقتحام الآخرين والرغبة الدائمة في أن يكون بيني وبين هؤلاء الآخرين مسافة، حتى لا أكون سببا في إزعاج غيري، ولايكون هذا الغير سببا في إزعاجي أو النيل من استقلالي وقدرتي على التصرف الحر ومن هنا فإنني خلال علاقتي الشخصية والعملية بأحمد بهاء الدين والتي استمرت ما يقرب من عشرين سنة لم أستطع أن أسأله سؤالا مباشرا عن «أسرار» تكوينه الثقافي والأدبي وهو السؤال الذي كنت أتمنى دائما أن أحصل على إجابة دقيقة وواسعة عنه، بل آثرت أن أجتهد في الحصول على إجابة عن هذا السؤال وحدي، وبدون مساعدة من أحد.

وكنت قد عرفت من بهاء في جلسة خاصة حضرها بعض الأصدقاء أنه بدأ حياته الصحفية في مجلة «الفصول» التي كان يصدرها الصحفي الكبير محمد زكي عبد القادر في الأربعينيات، وكانت قصة هذه البداية كما سمعتها من بهاء على الوجه التالي:

كانت سنة ١٩٤٧ هي السنة التي توافق الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم والمصلح والمفكر الإسلامي الكبير جمال الدين الأفغاني، فالأفغاني ولد سنة ١٨٣٨ وتوفي سنة١٨٩٧ وقد وجد بهاء أن الذكرى الخمسين للأفغاني هي مناسبة لكتابة دراسة

طويلة عنه خاصة أنه كان شديد الإعجاب بشخصيته وأفكاره وأثره القوى فى الحيـاة الفكرية فى مصر، وكتب بهاء هذه الدراسة بالفعل، ثم ذهب إلى مجلة «الفصول» وتركها فى مظروف مغلق باسم رئيس تحريرها الأستاذ محمد زكى عبد القادر وبعد أسابيع قليلة ظهرت مجلة «الفصول» وفى صدرها هذا البحث الطويل لأحمد بهاء الدين لقد أعجب محمد زكى عبد القادر ببحث بهاء عن الأفغانى فنشره دون أن يعرف شيئا عن صاحبه، ودون أن يكون لصاحب البحث فى تلك الفترة اسم معروف بين أصحاب الأقلام فى مصر .

اشراف كامل على تحرير الفصول

وبعد ذلك ذهب بهاء إلى زكى عبد القادر وطالبه بالاستمرار فى الكتابة لمجلة «الفصول» الشهرية، وبعد فترة قليلة أسند زكى عبد القادر إلى بهاء الإشراف الكامل على تحرير مجلة «الفصول» الشهرية حيث انصرف زكى عبد القادر إلى الاهتمام بعمله فى الأهرام وغيرها من الصحف الكبرى وبذل بهاء جهدا كبيرا فى الإشراف على تحرير «الفصول» وجعل منها مجلة ثقافية شعبية، ودعا الكثيرين من أبناء جيله أصحاب الأقلام الجديدة، للكتابة فيها، وهنا لابد أن نلتفت فى هذه القصة إلى أمرين، الأول هو روح «التشجيع» التى كانت تسيطر على الكثيرين من جيل الرواد، ومنهم زكى عبد القادر الذى تحمس

لبهاء دون أن يعرفه إلا من خلال قلمه وموهبته .

والأمر الثانى الذى يجب أن نلتفت إليه هنا هو أن بهاء منذ بدايته كان يبحث دائما عن «سبب» أو «مبرر» للكتابة وقد ظل بهاء طيلة حياته حريصا على هذا الموقف فكانت كتاباته دائما مرتبطة باهتمامات الناس وهمومهم وأسئلتهم المطروحة ولم تكن أبدا كتابة لمجرد الكتابة .

وقد دفعتنى هذه القصة التى سمعتها من بهاء حول بدايته الصحفية، وحول أول موضوع نشرته الصحف والمجلات له، وهو دراسته لشخصية جمال الدين الأفغانى وأفكاره دفعتنى هذه القصة إلى مراجعة أعداد مجلة «الفصول» حتى أتمكن من رسم صورة أكمل وأدق لبدايات أحمد بهاء الدين فى ميدان الصحافة والثقافة .

وعندما عدت إلى أعداد مجلة «الفصول» فى دار الكتب المصرية فوجئت بأن أحمد بهاء الدين قد بدأ حياته فى ميدان الكتابة شاعرا فقد وجدت له عدة قصائد منشورة باسمه فى مجلة «الفصول» وكانت هذه المفاجأة بالنسبة لى مفاجأة حسنة جدا، ذلك لأنها أثبتت ما كنت أحس به دائما من أن النبع الأساسى لكتابة بهاء هو نبع الموهبة الأدبية، وأن أسلوبه الممتع السهل الجميل، هو أسلوب ينطوى فى داخله على «قدرة شعرية» نحسها بين السطور ونحسها فى تلك الموسيقى الخفية

التى تملأ كتابته وتعطيها تلك العذوبة الجمالية الرائعة.

لقد بدأ أحمد بهاء الدين حياته فى ميدان الكتابة شاعرا...هذه هى الحقيقة التى فاجأتنى وأنا أتصفح مجلة «الفصول» التى كان تصدر فى الأربعينيات.

بهاء من أصحاب الأساليب الجميلة

وهنا لابد من استطراد صغير، فكل أصحاب الأساليب الجميلة فى أدبنا المعاصر قد بدأوا بالشعر، ثم ترك معظمهم هذه البداية الشعرية، ولكن «روح الشعر» وجماله وموسيقاه ظلت مسيطرة على أساليبهم النثرية بعد ذلك، فطه حسين والعقاد والمازنى وزكى مبارك والزيات ومندور، كانت لهم جميعا بدايات شعرية متفاوتة فى القيمة والكم، وقد تركوا الشعر جميعا وانصرفوا إلى الكتابة النثرية، باستثناء العقاد الذى أصر على كتابة الشعر حتى النهاية، فظل يكتب الشعر إلى جانب الكتابات الأخرى المتنوعة فى النقد والتاريخ والدين والسياسة .

وها هو أحمد بهاء الدين يؤكد هذه الظاهرة التى تكاد تكون قاعدة، وهى أن أصحاب الأساليب الجميلة فى الكتابة لابد أن تكون بدايتهم شعرية، وبعد ذلك فهم يتركون الشعر بشكله المعروف، وتبقى لهم من الشعر روحه التى تساعد أصحابها مساعدة قوية على أن يكونوا أصحاب أسلوب جميل متميز ..

وليس من الضرورى أن تكون البداية الشعرية عند هؤلاء الكتاب أصحاب الأساليب الجميلة المتميزة بداية شعرية قوية ، بل- على العكس- فإن الكثير من البدايات الشعرية لهؤلاء الكتاب هى بدايات متواضعة بالمقاييس الشعرية الخالصة، وقد أدرك أصحابها ذلك، فانصرفوا عن الشعر ولم يحاولوا بذل جهود أخرى فى ميدانه، باستثناء العقاد كما سبقت الإشارة فهو حالة خاصة، وشعره يثير كثيرا من الجدل والاختلاف بين النقاد وليس هنا مجال معالجة «شعر العقاد» وما يثيره من قضايا فذلك موضوع آخر يختلف عن موضوعنا اليوم، وهو «البداية الشعرية» لأحمد بهاء الدين، والتى تفسر لنا جمال أسلوبه وعذوبته وما نحسه فيه من متعة وإيقاع موسيقى، فقد بدأ أحمد بهاء شاعرا وترك الشعر، ولكن الشعر لم يتركه فبقى متوهجا فى كتاباته النثرية المختلفة .

وسوف أقدم هنا ما عثرت عليه من شعر أحمد بهاء الدين ويتمثل فى مقطوعتين صغيرتين وقصيدتين متوسطتين، ومن الملاحظ فى هذا الشعر كله أنه تسوده روح «رومانسية» مليئة بالحزن والتشاؤم، أما من حيث الصياغة فهى صياغة تقليدية لايخفى فيها أثر قراءة بهاء للشعر العربى القديم.

والحزن والتشاؤم فى هذه القصائد التى كتبها أحمد بهاء الدين لهما أسباب مفهومة، فقد كتب بهاء معظم هذه القصائد

سنة ١٩٤٧ أي عندما كان في العشرين من عمره، وفي هذه المرحلة تسيطر النزعة «الرومانسية» - في العادة - على نفوس الشباب الذين يبدأون رحلتهم مع الحياة العملية، وتصطدم أحلامهم المثالية بالتجارب الواقعية ومن ناحية أخرى فقد كانت مصر في تلك الفترة تمر بظروف عسيرة صعبة بسبب الاحتلال الانجليزي للبلاد، وسوء الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للشعب المصري، وفي هذه الفترة نفسها كانت المدرسة الشعرية المسيطرة على الساحة الأدبية في مصر هي المدرسة الرومانسية التي كان من أعلامها: إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وأحمد رامي وغيرهم، وكانت هذه المدرسة الشعرية الرومانسية تنظر إلى الحياة تلك النظرة الحزينة المتشائمة التي نجدها في قصائد أحمد بهاء الدين، ولم يكن من الغريب أن يتأثر بهاء بهذه المدرسة الشعرية السائدة .

وهذه هي النصوص الشعرية التي عثرت عليها لأحمد بهاء الدين في مجلد سنة ١٩٤٧ من مجلة «الفصول التي كان يملكها ويرأس تحريرها محمد زكي عبد القادر وهذه النصوص الشعرية ليست مهمة في ذاتها بقدر أهميتها فيما تدل عليه من أن أحمد بهاء الدين قد بدأ شاعرا وأن موهبته الشعرية هي التي منحته القدرة العالية على أن يكو كاتبا صاحب أسلوب جميل متميز

وممتع:

١- النص الأول هو مقطوعة من أربع أبيات بعنون «ضيق» يقول فيها «الشاعر» أحمد بهاء الدين :

زمني يضيع وكل يوم يطوى لى فيه أمل
وأنا هنا... أستعرض الأيام لما ترتحل
لا أستطيع السير في تيارها، أو أنتقل
وإذا جرؤت وقلت أمشى كم تضيق بى السبل

٢- النص الثانى مقطوعة من بيتين بعنوان يامصر يقول فيها :

يامصر لو شئت الفداء وجدتنى
فى مطلع الأبرار واسمك فى فمى
وكما رويت بماء نيلك غلتى
أروى ثراك بما تريدى من دمى

وفى البيت الأخير خطأ لغوى فى كلمة «تريدى» فالصحيح «تريدين»

٣- النص الثالث قصيدة بعنوان «دموع فى الليل» وهى مكونة من أحد عشر بيتا وفيها يقول أحمد بهاء الدين :

درر على خدى وفى أهدابى
ياليل تلمع مثل نجم خضابى
فارفق بنا ياليل واستر دمعة

لاتستباح لشامت عيّاب
ياليل كم أرقت فيك ضحية
تجني على خواطري وحسابي
أيام أودعت الظباء مخيرا
قلبا نقيا لم يقع بتراب
فسفكن من دمه العزيز وقلن لي:
بدم الهوى نزوان لابخضاب
أتضمهم ياليل حين تضمني؟
ويهزُّهم ياليل ذكر ذهابي
أم أنهم يا ليل قد جحدوا هوى
عاشوا به حينا وراح صوابي
فاذكر لهم ياليل إن طال النوى
شعري، ونجوايَ لهم وعتابي
وبحقنا ياليل، فلتحمل لهم
إن ساءلوا عني النجوم، جوابي
بين القلوب وبين تقليب المنى
أنفقت عمرا أين منه شبابي
وسطرت تاريخ الشباب فلم أجد

إلا دمـــوعــــا فـى سطـور كـــتـــابى

٤- النص الرابع قصيدة من تسعة أبيات بعنوان «للصبر فى يأسه مصرع» وفى هذه القصيدة «اضطراب» محدود فى الوزن نلحظه فى الشطر الثانى من البيت الرابع :

عـــــزيز عـلى الحـــــر يا أدمـع
يســـيل عـــصــــيُّك والطـيـع
وفـى القلب من صـــبـــره حـــرقـــة
وللصــبـــر فى يأســـه مـــصـــرع
يـجـــــــالـد دهـرا عـظـيـم الأذى
ومـــا عـــاد فى قـــوســـه منزع
يعـــيش بـلـيل طـويل المـــــدى
كـــأن نـهــــاره لايـطـلـع
وإنـى كـــالتـــبـــر فى مـنجـم
عليـــه التـــراب فــــمــــا يسطـع
يـداس فـكم جـــاهـل فــــوقـــه
يـدب وكـم أحـــــــمـق يـرتـع
وإنـى لـكـالـنـور فـى كـــــوة
عليـــهـــا الســـتـــائر مـــا ترفع

فـــــيــــــاقلب رشـــــدك إن الذى

يـمـــــــــــــثـلـه الـظـن لايـنـفـع

سـتـحـيـا وتشـقى وتشـهـد مـا

يمـــــيت النفـــــوس ومـــــا يوجع

تلك هى النصوص التى عثرت عليها من أشعار أحمد بهاء الدين، وهى نصوص تتيح فرصا عديدة للتفكير والتأمل، خاصة إذا نظرنا إليها على أنها كانت من البدايات الأولى لهذاالكاتب المبدع الكبير أحمد بهاء الدين وكان فيها إشارة إلى أصالة موهبته الأدبية، التى تألقت فيما بعد فى كتاباته الرائدة، وهى كتابات كانت وستظل من الكتابات التى وجهت جيلنا وعصرنا وأثرت فيهما أعمق التأثير مما جمعته من أفكار أصيلة وأسلوب جميل ممتع سهل يمس القلوب ويحرك العقول والأفكار .

أما هذه القصائد فى حد ذاتها فقيمتها محدودة، وهى تكتسب أهميتها من أنها تكشف عن بعض الينابيع الأولى فى عبقرية أحمد بهاء الدين .

ولعلنا نستطيع فى المستقبل أن نعثر على أشعار أخرى لأحمد بهاء الدين منشورة أو غير منشورة تضاف إلى هذه القصائد القليلة وتمثل معها وثيقة من الوثائق الأدبية المهمة فى دلالتها ومغزاها ونوعية الهموم الخاصة والعامة والتى كانت

تحملها تلك الفترة الأولى من حياة أحمد بهاء الدين، فإن لم نعثر على شىء آخر، فيكفينا تلك القصيدة الرائعة بل الملحمة الشعرية الكبيرة والتى تمثلها حياة أحمد بهاء الدين الفكرية منذ أن كتب أول موضوع له عن جمال الدين الأفغانى إلى الآن، فأحمد بهاء الدين فى رحلته الطويلة هو شاعر مبدع فى كتاباته السياسية والتاريخية وفى مواقفه الفكرية والإنسانية المختلفة .

له الحب، وأخلص الدعوات بالشفاء

أحمد بهاء الدين «شابا»!

رشاد كامل

فى هدوء شديد وصمت أشد فوجىء الناس عامة والمثقفون خاصة بصدور مجلة اسمها «الفصول» فى صيف عام ١٩٤٤ .

كانت هذه المجلة حدثا ثقافيا وأدبيا فى تلك الأيام والسنوات التى تلتها أيضا!!

كان رئيس تحرير هذه المجلة الشهرية وصاحب امتيازها هو الكاتب الكبير «محمد زكى عبد القادر» صاحب أشهر عمود فى الصحافة المصرية طوال ٤٠ عاما وهو عمود «نحو النور».

وقبل ذلك كان «محمد زكى عبد القادر» مشغولا مع عدد من رجال الفكر والسياسة والاقتصاد بتكوين «جماعة النهضة القومية» وهى جماعة تعنى ببحث مشكلات مصر ودراستها دراسة موضوعية وإصدار كتب أو نشرات عنها كمحاولة لتكوين رأى عام مستنير يتجه إلى الإصلاح بروح فاهمة ودارسة .

واختار أعضاء هذه الجماعة أن يجتمعوا فى مقر مجلة

«الفصول» (١٧ش شريف) وكان من بين الموضوعات التى ناقشوها – وسرعان ما وجدت طريقها للنشر فى «الفصول» – موضوعات مثل الإصلاح الزراعى والملكية الزراعية والنظام البرلماني والتنمية الاقتصادية .

ومن الكتب الهامة والخطيرة التى صدرت عن اعضاء هذه الجماعة: الإصلاح الزراعى لمريت غالى، والبنك المركزى للدكتور احمد ابراهيم والوضع القانونى للمسألة المصرية السودانية للدكتور زهير جرانة، ومسألة فلسطين لجفرى بطرس غالى، والنظام الدولى للدكتور وحيد رأفت!!

باختصار شديد جذبت مقالات ودراسات وأبحاث «الفصول» أغلب شباب مصر الذى كان يبحث عن الجدية والجدة.. كانت مجلة تعبر عن قلق الشباب وهمومه الوطنية فى شكلها العام.. واجتذبت الفصول عشرات الأسماء الشابة فى ذلك الوقت، وكان أحمد بهاء الدين(١٧سنة) أحد هؤلاء الشباب الجادين!! .

عن أحمد بهاء الدين وباقى زملاء جيله الشباب كتب محمد زكى عبد القادر فى سيرته الذاتية «أقدام على الطريق» يقول : كانت «الفصول » حينئذ قد بلغت درجة كبيرة من الذيوع والانتشار وكما كانت مجالا لأقلام الكثيرين من أصحاب الفكر والرأى كانت أيضا مجالا لأصحاب الأقلام من الشبان الجدد.. وكنت أرحب بهم وأعطيهم فرصا متساوية... بعضهم بل كلهم

تقريبا، لم تكن لى معرفة سابقة بهم، جاءونى على غير معرفة وقدموا إنتاجهم، وكنت أقرأه بإمعان ، فإذا أجزته نشرته دون احتفال بما إذا كان الاسم معروفا أو غير معروف.. وجرت أقلام عديدة على صفحات الفصول وأصبح للكثير منها اسم وذكر وتألق فيما بعد.. عثمان العنتبلى.. سعد رضوان..حسين القبانى.. موسى صبرى.. أحمد حمروش.. يحيى أبو بكر.. يوسف الشارونى..عادل ثابت.. أحمد بهاء الدين.. فتحى غانم... نعمان عاشور.. أنور المشرى..

ويختتم زكى عبد القادر كلامه قائلا : وكان الأستاذ أحمد بهاء الدين أكثرهم مواظبة وتحمسا، وأنست له، وأفسحت له الكثير من الصفحات، ثم حدث أن زادت مشغولياتى فى «الأهرام» بعد وفاة المرحوم «انطون الجميل باشا» فزادت مسئولياته فى الفصول إذ أصبح يقوم بأكثر العمل فيها أو كله» ص ٤٨٣و٤٨٤ .

وعن ذكريات هذه المرحلة عامة ومجلة «الفصول» خاصة ، قال الأستاذ «أحمد بهاء الدين» (ضمن حوار طويل نشر فى مجلة صباح الخير» ما يلى :

«كانت «الفصول» مجلة مصرية الطابع والاهتمامات، وقد ظهرت ردا على مجلة المختار (ردرز دايجست) وكانت هذه المجلة – أى الفصول – لها طابع فكرى جاد وكنت من قرائها،

وأرسلت لها بعض المقالات كقارئ، ونشرت لي، وذهبت إلى الأستاذ «محمد زكي عبد القادر» صاحبها ورئيس تحريرها- بدون سابق معرفة - وعرفته بنفسي وقلت له: أنني أحب أن أكتب في المجلة!.

فطلب مني الأستاذ زكي عبد القادر. أن أقدم له مواداً لتنشر في المجلة!

وفي نفس حواري السابق مع الأستاذ «أحمد بهاء الدين» وعندما أعدت على مسامعه سطور الأستاذ زكي عبد القادر عنه، ظهر التأثر الشديد عليه وقال لي :

«أنا أعتز بهذه الفترة جدا ، فقد أصبحت مدير تحرير الفصول وعمري وقتها حوالي ٢١ أو ٢٢ سنة ، لأنه واقعيا كان الأستاذ «زكي عبد القادر» قد أصبح رئيسا لتحرير الأهرام، ورغم أن الفصول كانت شهرية ومحدودة الانتشار لكن سرعان ما أصبح لها مركز جذب للمثقفين .

وأعتز - أي بهاء - أنني نشرت لأول مرة لعدد من الكتاب الذين أصبحوا فيما بعد من أصحاب الأسماء اللامعة، وكانوا يومها مغمورين، وكتبوا في «الفصول» لأول مرة بأسمائهم ومنهم فتحي غانم وعبد الرحمن الشرقاوي، وأحمد رشدي صالح وكان وقتها مختفياً لأنه كان مطلوب القبض عليه ويكتب باسم مستعار، وأيضا نشرت للدكتور علي الراعي ويوسف الشاروني

ونعمان عاشور وبدر الدين أبو غازى وعدد ملفت آخر غيرهم تجمع فى مكتب الفصول، وسرعان ما تحول ذلك كله إلى نوع من الملتقى».

إنها فترة مهمة جدا وجميلة من حياتى، هكذا قال «أحمد بهاء الدين عن تجربته فى الفصول»! .

وواقع الحال أن «أحمد بهاء الدين» رغم صغر سنه فقد أصبح هو الآخر نقطة جذب للكثير من الشباب المثقف فى ذلك الوقت، كانوا يقرأون مقالاته فى الفصول فيظنون أن كاتبها لابد وأن يكون رجلا تجاوز الأربعينات من العمر .

وهذه شهادة المثقف العربى الكبير أكرم ميدانى، (والذى يشغل الآن منصب استاذ الفن والأدب الانجليزى بجامعة كارنيجى ميللون فى بتسبرج بالولايات المتحدة) يقول أكرم ميدانى :

فى خريف سنة ١٩٤٨ بدأت أقرأ مجلة شهرية محدودة التوزيع اسمها «الفصول» وصاحبها «محمد زكى عبد القادر» وكان من الكتاب ذوى الفكر النزيه، وقد أصبح هدف غضب السراى لأنه كان ممن يدافعون عن الدستور بحرارة، ولما تولى إسماعيل صدقى رئاسة الوزارة بعد استقالة وزارة النقراشى عام ١٩٤٦ كان من أغراضه القضاء على كل من هو صاحب فكر حر تحت ستار محاربة الشيوعية، واستهدف عددا من

الكتاب والمثقفين مثل د.محمد مندور وسلامة موسى ومحمد زكى عبد القادر.

وكان محمد زكى عبد القادر بسمعته النظيفة قد استقطب عددا من المفكرين من الشباب وغيرهم منهم مريت غالى أول من نادى بالإصلاح الزراعى ضمن إطار عقلانى منظم أما مجلة الفصول فكانت قد أخذت شكلا حديثا جذابا مقروءا وذلك بفضل محرر جديد بدأ اسمه يظهر على صفحاتها : أحمد بهاء الدين .

وكنت وصديقى «نعمان عاشور» نرقب فى ذلك الحين هذه الأسماء الجديدة ونناقش ما تكتب ، وسألت نعمان عما يظن فى هذا الوجه الجديد فأجاب بأنه يعتقد أن الكاتب الذى ينشر باسم «أحمد بهاء الدين» هو كاتب ذكى محنك لابد وأنه من الشخصيات المجربة وقد آثر أن يكتب باسم «أحمد بهاء الدين» (هذا الاسم متماسك متكامل ولايمكن أن يكون اسما طبيعيا، إنه دون شك اسم مستعار انتحله، رجل مهم من السياسة أو الاقتصاد أو المحاماة) .

ويضيف أكرم ميدانى فى نفس شهادته قائلا:

رغم إننى لم أقتنع تماما بافتراض «نعمان عاشور» لكننى وجدته مقبولا، حتى وقعت مفاجأة ، فقد جاءنى «نعمان» ذات يوم يقول إن «أحمد بهاء الدين ليس اسما مستعارا بل هو اسم حقيقى لمحام شاب يعمل بوزارة المعارف، وقد تبين له هذا من

خلال شخص يعرفه على صلة بمحرر مجلة الفصول، قال نعمان إن صديقه الذى يؤكد على حقيقة قوله على استعداد ليأخذنا معا إلى مجلة الفصول ويقدمنا إلى محررها .

وذهبنا إلى المجلة ذات يوم عند الساعة الخامسة بعد الظهر فى مكتب محمد زكى عبد القادر للمحاماة، وفى غرفة صغيرة نظيفة قليلة الضوء مكتب جلس خلفه شاب فى الواحد والعشرين من العمر.

قال لى نعمان عقب هذه الزيارة إنه أول انطباع تكون لديه أن «أحمد بهاء الدين » هو صورة «مخلق منطق» للمصرى أفندى كما كان يرسمه «صاروخان » فى مجلة آخر ساعة ، كانت هذه الملاحظة فى محلها، وقد تأملت طويلا صدق معناها بعد أن توثقت علاقتنا واتصلت مدى السنين: الذكاء والصوت الهادىء والطبع الدمث، بل أكثر من هذا كله صورة المصرى الوديع الذى يحمل إرادة صلبة ونفسا أبية» .

بعد زيارة التعارف بدأت أزور بهاء فى مجلة الفصول وأحيانا فى مكتبه اليومى حيث كان منذ أواخر سنة ١٩٤٧ موظفا فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف، وقد ذكر لى بصوت الفخر والإعتزاز إنها الإدارة التى كان يرأسها «توفيق الحكيم» فى الماضى القريب.

فى الأسابيع الأولى من معرفتنا أخذت أدرك الجوانب

الأصيلة فى شخصية صديقى الجديد، أولها الصدق، والأمانة فى المعرفة الذاتية، وكنت أظن أن تعلمه القانون قد طوع نفسه ليصبح دائما قاضيا يدرك ماله وما عليه، لكننى بعد حين تبينت أن هذه خصلة مصرية قد أفتقدتها لدى الآخرين وهى التى تظهر الآن فى شخص بهاء».

قال لى إنه يفكر منذ حين فى إصدار عدد خاص من مجلة «الفصول» ليكون معدا للطبع فى أواخر سنة ١٩٤٩ عن مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، وطلب منى أن أفكر فى موضوع أساهم به فى هذا العدد، وقال إن الغرض ألا يمتدح العدد ما أنجزه المصريون فى هذه الفترة لأن هذا شائع بل لينظر إلى مصر من الداخل ويعرف عالم المسئولية العامة .

وسمعت منه فى ذلك الحين قبل، أن تطرح مسألة العمل السياسى واختلافها عن الشعارات أن تقبل النقد من الداخل هو أول ما ينبغى أن يتعلمه الناس حتى لايقع أحد فى أحبولة الكذب وأن الحاكم الذى يصبغ الكلمات لإغراء المحكوم وتغطية عينه بالوهم إنما هو الذى يبسط الطريق إلى الفساد وعباءة العجز..»

كتبت لعدد الفصول الخاص مقالا مطولا عن الصحافة فى مصر فى نصف قرن وكان مطابقا لمعرفتى مصر وتربيتى على أرضها لأننى بدأتها عن طريق قراءة الصحف، ويظهر أن المقال نال قبول واستحسان محمد زكى عبد القادر الذى طلب أن

أقابله، وبعد ذلك أصبحت عضوا فى أسرة الفصول، أحضر ندوتها مساء كل خميس فى منتصف الشهر .

قال لى بهاء بعد أن أصبحت من كتاب المجلة أن أضع فى حسابى أنه ليست هناك أجور تدفع للمحررين حتى هو كمسئول عن التحرير لايتقاضى أجرا عن عمله، ولم أناقش هذا الأمر معه كثيرا لأننى اقتنعت برأيه وهو أن المجلة لها سمعة جيدة بين المثقفين والكتابة فيها تتيح مجالا لتعلم المهنة، ودار فى خاطرى أن هذا ما جعل بهاء يعطى جهدة ووقته دون أجر، فقد كان دؤوبا فى كتابته، ومجدا فى إدارة التحريز كى يتعلم المهنة» .

لكن هذا لم يرض صديقى نعمان عاشور، وأخذ يسلط نكته اللاذعة على المجلة وصاحبها وقد كان فى رأيه إنها مسألة مبدأ، إذ يشترط فى احتراف أية مهنة، أن يدفع أجر للممتهنين».

وعندما كان «نعمان عاشور» يحضر ندوة الفصول فى مساء الخميس يكثر من أكل الكنافة التى يأتى بها زكى عبد القادر معتقدا أنه يأخذ شيئا من حقه لو أكل أكثر من غيره».

ثم يروى «أكرم الميدانى» هذه الواقعة البالغة الدلالة فيقول :

ذات يوم سنة ١٩٥١ كنت أنتظر بهاء فى مكتبه فى مجلة الفصول حين جاء الساعى ووراءه رجل طويل القامة بدت عليه

مظاهر الجد، وأشار الساعي إلى واختفى، سألني الرجل المحترم: هل أنت الأستاذ أحمد بهاء الدين؟ وقبل أن أجيبه تابع يقول إنه من القراء المعجبين، فهو من بغداد حيث تصل الفصول في أعداد قليلة، أول شيء يقرأه هو المقال الرئيسي.

وبينما كنت أحاول أن أصحح له ظنه سارع بالقول إنه محام اشترك كوزير للعدل سنة ١٩٤٩ في وزارة «علي جودة الأيوبي» عن الحزب الوطني الديمقراطي ، وأنه الآن سكرتير عام الحزب إنه «حسين جميل» عند ذلك وجدت أنه لابد لي أن أقطع حديثه بأي شكل، فقلت إنني لست «أحمد بهاء الدين» الذي لم يصل إلى مكتبه بعد، وحاولت تمضية الوقت بالإجابة عن أسئلته عن عمر بهاء ودراسته، وقد دهش عندما عرف إنه لم يبلغ الخامسة والعشرين من العمر بعد، وتوقعت أن يسألني شيئا عن مظهره وكنت أنوي أن أقول إنه يبدو وكأنه مازال في سن السابعة عشر، بعد حين تساءل حسين جميل عما إذا كان يستطيع أن يتركني بضع دقائق ليذهب إلى إحدى المكتبات القريبة حيث يتوقع كتابا طلبه هذا الصباح».

بعد حين وصل بهاء فحدثته عن الزائر ثم ذكرت له إنه سأل عن سنه وأضفت من عندي، طوله وعرضه وإنني عندما قلت إنه ما زال شابا أعرب عن دهشته، وتوقفت لحظة فقال بهاء :

«لعله دهش عندما عرف أنني صغير الحجم، عندما يعود قل

له إن هذا هذا الشـخص ليس أحـمـد بهـاء الدين بكامله وإن له بقية ستصل قبل آخر اليوم».

وكانت المقـابلة بين «بهـاء» و«حسـين جمـيل» بداية صـداقة وطيـدة كـمـا كـانت أول خطوة نـحـو الصلة بينه وبين المـثقفـين العرب ، وبدء دخوله بمصريته العميقة إلى حلقة النور العربية التى أثرت فى تفكيره السياسى تأثيرا بالغا.

انتـهت شهادة أكرم ميدانى عن بهاء ولكن تبقى شـهادة بهاء نفسه عن أكرم ميدانى والتى جاءت ضمن مقال جميل نشره على صفحات صباح الخير.

وجاء فى هذا المقال :

كثيرا مـا تبدأ الحقائق الكبيرة ببدايات صغيرة ، فمن خلال صديق شـخصـى لـى هو «أكرم مـيـدانى» وزوجتـه بدا اهتمـامى بالقـضـيـة العـربيـة، كـان ذلك منذ سنوات كنت أكتب فى مـجلة شهرية هـى «الفصـول» وفى ذات يوم زارنى شاب سـورى قال لى إنه مـوظف فى الجـامـعـة العـربيـة، وأنه قـرأ لى بعض مـا أكتب فـأراد التـعرف بى وفى أسـابيع قليلة أصبـحنا صديقين، وكأننا تربينا سـويا، كنا فى أول شبـابنا نقرأ بنـهم لا مـثيل له، ونـحمل مشاكل الدنيا كلها على رأسينا، كأننا مكلفان بحلها نيابة عن الناس جميعا.

«أما صديقى «أكرم» فقد كان يملك مكتبة ضخمة فى الفن والأدب والسياسة وكان يمتاز بإلمام واسع بحياة البلاد العربية الأخرى وتاريخها وثقافتها وعاداتها» .

والآن تبدأ زيارة سريعة إلى اهتمامات وأفكار أحمد بهاء الدين على صفحات مجلة الفصول ..

ماذا كان يكتب «بهاء»؟ وأى الأشياء والقضايا كان مهموما بها فى تلك الأيام.

هذه عناوين بعض المقالات والدراسات، ومنها نعرف الإجابة على اهتمامات «بهاء» وأفكاره الرئيسية فى تلك السن المبكرة من حياته .

* هذه الضرائب التى تدفعها!!
* دعاة النفوذ الأمريكى فى مصر وبرنامج النقطة الرابعة!
* تأميم القطن يعود بالفائدة على الدولة والفلاحين .
* قبل إقرار الميزانية الاقتصاد فى خدمة السياسة .
* التيارات الخفية وراء المعركة .
* النظم الرجعية فى الشرق
* أرحموا الاشتراكية

ووسط مشاغل الشاب «أحمد بهاء الدين» (٢٤سنه) كان

يقتطع ساعات من وقته ليعكف على تأليف كتاب سيكون له دوى خطير وسط المثقفين فى ذلك الوقت.

كان الكتاب هو «الاستعمار الجديد أو برنامج النقطة الرابعة ويقع فى ٩٤صفحة واللافت للنظر أن «أحمد بهاء الدين» قام بطبع الكتاب على نفقته الخاصة كما اعترف لى»

وبغير لف أو دوران يحدد الكاتب الشاب «أحمد بهاء الدين» الهدف الذى دعاه للكتابة عن «الاستعمار الأمريكى الجديد» فيقول فى مقدمة الكتاب :

« فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ العالم التى تعصف فيها التيارات بمصر، عصفها بسائر الشعوب المضطهدة وإذ تتيقظ حركات التحرير السياسى والاقتصادى، وتتقدم الصفوف طليعة لم تحجب ظلمة الحاضر عن أبصارها بريق المستقبل،.. نجد الإمبراطوريات القديمة والجديدة تتساند فى مجهود أخير لخنق الحرية، دفاعا عن كيانها المتآكل ولاكتساب الأرض التى فقدتها، مصطنعة فى ذلك حيلا جديدة تخفى عين الشر القديم!

وفى مثل هذه الظروف يصبح فرضا واجبا على كل صاحب رأى أن يتوجه به إلى المثقفين من مواطنيه، ويصبح فرضا واجبا على المثقفين المتيقظين أن ينشروه بأقوى ما فى كيانهم من قوة ، وفى أوسع ما يتيحه لهم الوعى المتزايد من نطاق فمن أجل ذلك كتبت هذه الصفحات»..

بعد ذلك يبدأ أحمد بهاء الدين فى مناقشة برنامج النقطة الرابعة، وتكفى قراءة عناوين فصول الكتاب لتدرك المنهج العلمى والفكر المرتب الذى ساق به «بهاء» عرض موضوعه.

بدأ بهاء بتقديم البرنامج : طبيعته وأغراضه ونطاقه وتنفيذه وتمويله، ثم العقبات التى تعترض تنفيذه!.

ثم قام أحمد بهاء الدين بعرض البرنامج على حقيقته سواء من حيث تصدير رؤوس الأموال الأمريكية ثم أثر التصدير فى البلاد المصدرة والمستوردة، وتجارب الاستعمار السافر، والاستعمار الخفى، كما ناقش مصر وتبعيتها لأمريكا وعلامات الخطر، ووضع اليد على المواد الأولية، والأسباب الاستراتيجية للبرنامج (النقطة الرابعة) .

وفى الفصل الأخير من الكتاب الذى عنوانه «الحكومة المصرية.. تقبل» يعرض بهاء لأخطر وأهم النتائج التى تترتب على هذا البرنامج بعد قبول مصر له!!.

ورغم مرور ما يقرب من ٤٤ عاما على صدور هذا الكتاب فإن إعادة تقليب صفحاته وقراءتها ثانية وثالثة يصبح لها مذاقا مختلفا ورؤية مختلفة، ويبدو الأمر فى النهاية وكأن الدنيا لم تتغير والتاريخ لم يتحرك!!.

يشير أحمد بهاء الدين إلى أن الرئيس الأمريكى «ترومان»

بعد إعادة انتخابه قال أمام الكونجرس فى ٢٠ يناير١٩٤٩: وفى السنوات القادمة سوف ينطوى برنامجنا للسلام والحرية على أربع نقاط» وكانت النقطة الرابعة في برنامج ترومان هى: «يجب أن ننهض ببرنامج جرىء من مقتضاه أن تتمكن المناطق المختلفة اقتصاديا من الإفادة من تقدمنا العلمى والصناعى، ويجب أن يكون هدفنا هو مساعدة الشعوب الحرة فى العالم على أن تنتج بجهودها الخاصة - كميات أكبر- من الغذاء والكساء ومواد البناء والقوى الميكانيكية» .

وثار جدل عنيف حول النقطة الرابعة لا فى أمريكا وحدها بل فى العالم الخارجى أيضا.

ولكن أحمد بهاء الدين ببصيرته الواعية يقول :(ص٢٨) غير إننا إذ ننعم النظر فى حقيقة هذا البرنامج، وننحى جانبا هذا «الديكور» الذى أحيط به، نجده لايعدو أن يكون خطة شاملة لتصدير رؤوس الأموال الأمريكية إلى الخارج، وهو بهذا الوصف مرحلة جديدة من مراحل النظام الرأسمالى العتيق(!!) واحد فقط هو الذى جهر بالحقيقة هو نابليون الذى أذهل ساسة أوربا فى زمنه بصراحته المربكة لأنه «محدث» فى السياسة، تحدث يوما أمام الملأ بأنه سيخرج الانجليز من الهند وقال «سنهجم عليهم، لصوصا على لصوص أقل جرأة: (ص٤٩) فقد كانت عملية لصوصية حقا!!(ص٥٠) ومع ذلك فلو أننا أنعمنا النظر

فى المراكز والأوضاع الاقتصادية «البحتة» التى يحتمها النظام الرأسمالى الاستعمارى كما خططه برنامج النقطة الرابعة لوجدناها تتلخص فى وضع أمريكا فى مركز الممول ورب العمل، والشعوب المتخلفة، -مصر مثلا- فى مركز العمال ليس للعامل أكثر من أجره مهما اختلف هذا الأجر، وللممول فائض الأرباح، وعلى حين يظل العامل أبدا أسير هذا الأجر لايرتفع إلى ما فوق بمجرد العيش، يزداد الممول ثراء ، ويتسع نشاطا وإنتاجا وربحا .(ص٥٤) ..

ببساطة أكثر ووضوح لانظير له يمضى أحمد بهاء الدين شارحا فكرته قائلا :«فإذا افترضنا أن مؤسسة أمريكية فى مصر تنتج ما قدره(١٠٠) فإن (٣٠) على الأكثر من هذه المائة سيدفع فى مصر أجورا للعمال ونفقات أخرى و(٧٠) تخرج من مصر إلى جيوب أصحاب الأسهم فى أمريكا، هذه هى أمريكا وتلك هى مصر (أو أى بلد متخلف يخضع لهذا البرنامج) فالفائدة الاقتصادية لمصر معدومة أو تافهة، ونحن نقصد بمصر الشعب كمجموع ، فإن طبقة معينة من المصريين ستفيد بغير شك من هذا البرنامج، هى طبقة الممولين الذين قد تتاح لهم المساهمة بقسط فى المؤسسات الأمريكية وطبقة المديرين وأعضاء المجالس والوكلاء وغيرهم ممن يدورون فى هذه الحالة بحكم وضعهم -أيضا- فى فلك رأس المال الأمريكى ويصبحون

وقاء له من غضب الشعب أو سخطه أو انتقاده، والثروة القومية لن تزداد بهذا البرنامج شيئا (ص٥٥) .

ويضرب بهاء مثلا له دلالة بقوله :«فاستخراج الحديد من أسوان تحت ظل«النقطة الرابعة» مثلا لا يؤدى إلى ما يعمر أذهان المصريين من أن تغدو لدينا صناعة قوية تستخرج الحديد وتصنعه سيارات وطائرات وقاطرات ومنتجات مدنية وحربية ، تصنعها مصر، وتستعملها وتتاجر فيها مصر، وتحارب بها مصر. إنما يعنى أن يستخرج الحديد فى مصر فقط ؟أو أن يصهر وتصنع منه قضبان الصلب فقط ولكنه يتحول إلى هذه المصنوعات التى أوردناها فى الولايات المتحدة(!!) فإذا أقاموا فى مصر صناعات ما فهى أيضا صناعات تابعة، كأن يقام فى مصر مثلها مصنع لهياكل السيارات فهى صناعة حقا، وهى صناعة يعمل فيها آلاف العمال، ولكن هياكل السيارات بغير المحركات التى تصنع وتستورد من أمريكا لا تساوى شيئا! ولن تصنع المحركات فى مصر- طبقا للنقطة الرابعة- أبدا!! وعلى هذا النحو يصبح اقتصادنا فرعا مكملا للاقتصاد الأمريكى، كم ظل فترة طويلة فرعا للاقتصاد الانجليزى.!!ص٥٦.

وقرب نهاية الكتاب الصغير الحجم، الكبير القيمة، يؤكد أحمد بهاء الدين وهو يصف حال مصر فى منتصف عام ١٩٥١ قائلا :

«إن أحداً لاينكر ما نحن عليه من تخلف أو لايستنكره، بل

لعل كلمة «تخلف» لاتعدو أن تكون تعبيرا مهذبا عن الحقيقة القاسية ولا خلاف على أسباب هذا التخلف فهى تتلخص فى ضعف الإنتاج (!!) وسوء التوزيع(!!) فرجال الأعمال الذين يرون العلاج كل العلاج فى زيادة الإنتاج فحسب يتجاهلون أن هذا الزائد من الإنتاج بدورن، لو وزع بالطريقة التى يوزع بها الدخل القومى فى الوقت الحاضر لما تغير الوضع بالنسبة للشعب فى شيء، فإن زيادة إنتاج أحد المصانع لايعنى فى واقع الأمر زيادة دخل العامل ، بقدر زيادة فائض القيمة الذى يحصل عليه رب العمل، وهذا الوضع هو الذى تفرضه علينا النقطة الرابعة(!!)ص٨٧.

يضيف بهاء لما سبق قوله :«إن فى مصر رؤوس أموال(!!) ولأن حكومة مصر لم تستنفذ بعد شتى الطرق لتوجيه رؤوس الأموال المحلية وجهة الإنتاج المثمر حتى تذهب فتنتظم طرق تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية على الاستثمار فى مصر(!!) وقد كنا مستطيعين أن نقول للحكومة فى كلمة واحدة أن الطريقة المثلى فى الاستفادة من الثراء القومى وتوجيه الإنتاج هى الطريقة الاشتراكية التى تهدف إلى زيادة الإنتاج بما يحقق أكبر خدمات ممكنة، لا أكبر أرباح للمنتج، كما تهدف إلى إقرار العدل الاجتماعى فى التوزيع، غير إننا لانريد أن ندخل الآن (١٩٥١) فى جدل مباشر عن النظام الاشتراكى(!!) مؤكدين أن الحكومة

- لو أرادت – لاستطاعت أن تحقق الكثير من هذه الأغراض فى ظل النظام الرأسمالى الذى تتمسك به! .

فنحن نعرف أن الأغنياء عندنا ما زالوا يحبسون أموالهم فى الاستغلال الزراعى وأن إقبالهم عليالصناعة أضعف مما يمكن أن يكون. فالغنى الذى يملك آلاف الأفدنة يتبقى لديه كل سنه- بعد الأنفاق والاستهلاك- فائض كبير من الأموال، والحكومة تترك له هذا الفائض سليما تقريبا دون أن تفرض عليه الضرائب المناسبة(!!) وهو لايجد بابا يستثمر فيه هذه الأموال غير باب واحد هو : شراء الأرض فمن عنده ألف يريدها الفين، ومن عنده ألفى يريدها ثلاثة!!(ص٨٨)، ومساحة الأرض المزروعة عندنا ثابتة لاتزيد تقريبا ولكن المشترين يتزايدون ، والفائض من أموالهم يتجدد كل سنة ويتراكم، يزيد الطلب والعرض ثابت، فتكون النتيجة ارتفاع ثمن الأرض ارتفاعا سريعا مضطردا حتى أصبح ثمن الفدان الواحد يصل إلى ٧٠٠جنيه(سبعمائة جنيه!!!) .

ويضيف بهاء بقوله: بل إن هذا النطاق الضيق الذى تعمل فيه رؤوس الأموال المصرية لايشمل «الأرض» بوجه عام، بل الأرض المزروعة الجيدة فحسب، فقلما نجد مالكا مصريا يقدم على إستصلاح أرض جديدة ذلك لأنه لايفكر فى خطط طويلة لتنمية الثروة(!!)ص٨٩ إن رؤوس الأموال المصرية ما زالت تتميز

«بجبن» ملحوظ فهى لاتجسر على اقتحام ميادين الصناعة والاستصلاح وتفضل أن تظل منكمشة فى نفس نطاقها القديم : الأراضى الجيدة والأسواق المعروفة للتصريف!!

بل ونفس المحاصيل أيضا!!

ويتساءل أحمد بهاء (صيف١٩٥١) لماذا لاتوقف الحكومة هذا التيار المدمر؟! لماذا لاتضع حدا أعلى للملكية الزراعية وتقرن ذلك بضريبة تصاعدية باهظة على الأراضى (جرى ذلك بعد الثورة فى ٩ سبتمبر١٩٥٢) ليس فى الأمر مصادرة ولانزع ملكية ولا إعادة توزيع.. أنه مجرد تحويل لقبض المال الذى يتراكم فى الريف ويضيع فى المزايدة إلى ميدان الصناعة الرحب(!!)ص٩٠.

ويتساءل بهاء ثانية: ولماذا تقف الحكومة فى وجه الإسراف والاستهلاك الزائد عن الحاجة، بالضرائب والجمارك وغيرها، هذا الإسراف الذى أدى إليه ما أسلفناه من تراكم الأموال فى أيدى قليلة مما أصبح إنفاق المال معه نوعا من الضياع أو التجميد: من ذلك إنفاق جانب كبير من الأموال فى شراء السيارات والفريجيدرات» والعطور وتجميد مئات الألوف من الجنيهات فى خاتم يتحلى به رجل أو عقد يزين صدر حسناء، وثمن حبة واحدة من حبات العقد يفتح أبواب العمل والكسب أمام عشرات من المواطنين(!!).

وبسخرية لاذعة يقول بهاء: «وهذه الحكومة المصرية التى تريد أن تستقدم مختلف أنواع البعوث الفنية، لتبحث عن احتمالات الاستثمار وأحسن إمكانياته وتهيئة الجو لرؤوس الأموال الأمريكية لماذا لاتقوم بهذه الخدمات لحساب رؤوس الأموال المحلية؟! ولماذا لاتتبنى المشروعات المنتجة فتقترض من السوق المحلى للقيام بها، أو تشارك فيها شركات محلية أو تنفرد بها بوسائلها الخاصة وأهمها الضرائب؟! إن رسم الخطط السليمة لأى ناحية من نواحى الاستثمار كاف لاجتذاب الشركات والمدخرات.(ص٩١).

ويختتم بهاء كلامه قائلا بتساؤل :

وهل يستعصى على الدولة المصرية بنظمها الحاضرة أن تنهض بمشروع للسنوات الخمس ينتظم كل هذه الجهود لدفع الإنتاج إلى أعلى، إن هذه الحلول على الأقل تبقى زمام الأمر فى أيدينا وتجعل طريق التطور والرقى مفتوحا أمام الشعوب التى يجب أن يبقى لها الحق فى أن تبدل فى أشكال المجتمع الذى تعيش فيه فى اللحظة التى تختارها: فهل يرى المسئولون فينا والذين يدعون للاستعمار الأمريكى بين ظهرانينا هذا الرأى أم أنهم يفضلون تسليم البلد لرأس المال الأمريكى والاعتماد على صدقته؟!ص٩٢..

هذا باختصار شديد ما كان يؤرق بال وفكر وعقل الشاب

أحمد بهاء الدين فى منتصف عام ١٩٥١.

هموم وقضايا الوطن من العدل والعدالة إلى الاستعمار والاحتلال كانت هى القضية التى كرس لها قلمه عبر صفحات مجلة «الفصول»!.

ووسط هذه الهموم والمشاغل كان لأحمد بهاء الدين اهتماماته الأدبية وعلى صفحات «الفصول» أيضا نكتشف معا هذه المفاجأة الأدبية ..

أحمد بهاء الدين شاعرا!!

نعم على صفحات «الفصول» مارس أحمد بهاء الدين كتابة المقال السياسى والاجتماعى والثقافى لكن اعتبر حقا- وربما المدهش فى نفس الوقت- أنه جرب كتابة الشعر!! نعم كتب أحمد بهاء الدين القصيدة العمودية التى يلتزم فيها بالوزن والقافية!!

وفى الصفحة الأخيرة من «الفصول» (أغسطس١٩٤٧) نشرت المجلة قصيدة للأستاذ أحمد بهاء الدين كان عنوانها (وللصبر فى بأسه مصرع) تتكون من تسعة أبيات ويقول فيها:

عزيز على الحر يا أدمع
يسيل عصيُّك والطيِّع
وفى القلب - من صبره - فرقة

وللصبر- في يأسه- مصرع
يجالد دهرا عظيم الأذى
وما عاد في قوسه منزع
يعيش بليل طويل المدى
كأنه نهاره لايطلع
وأنى كالتبر في منجم
عليه التراب فما يسطع
يداس فكم جاهل فوقه
يدب وكم أحمق يرتع
وإنى لكالنور في كوة
عليها الستائر ما ترفع
فيا قلب رشدك إن الذى
يمثله الظن لاينفع
ستحيا وتشقى وتشهد ما
يميت النفوس وما يوجع!

كان عمر «أحمد بهاء الدين» وقتها ٢٠ عاما، عندما تجاسر ونشر هذه القصية المغرقة فى حزن رومانسى ووجع عاطفى لا حدود له، وأذكر عندما حاورته فى نوفمبر ١٩٨٠ (بعد ٣٢ عاما

على كتابته الشعر) وذكرته ببعض أبيات قصيدته ضحك طويلا من أعماق قلبه وقال لى يومها:

من حسن حظ الناس وأيضا من حسن حظى أننى اعتزلت كتابة الشعر مبكراً جداً، فما كتبته كان رديئا بشكل لانظير له.وسيئا بدرجة لايتصورها أحد.

وأذكر أن الشاعر الكبير الفنان «كامل الشناوى» كان قد عثر على عدد مجلة الفصول المنشور به هذه القصيدة البائسة، ومن حين لآخر كان يهددنى بأنه سينشرها فى أخبار اليوم التى كنت أرأس تحريرها وقتها.. والحمد لله أنه لم يفعلها!!

ويضحك أحمد بهاء الدين وهو يضيف فى فترة من فترات المراهقة ظننت أننى سأكون شاعرا كبيرا.. أحمد شوقى مثلا.. فقد كنت أعشق واحفظ معظم القصائد والأشعار الوطنية والسياسية لشوقى وحافظ إبراهيم!

ويروى أحمد بهاء الدين قصة لها مغزاها عندما كان طالبا بكلية الحقوق، وكان له زميل وصديق قريب إلى قلبه هو د.عبد الوهاب العشماوى، يدرس معه بنفس الكلية فيقول :(وكنت أنا وعبد الوهاب نجلس فى مدرج كلية الحقوق نستمع إلى محاضرات القانون، فإذا كان الدرس مملا تبادلنا كتابة الشعر: يبدأ أحدنا كتابة قصيدة ويرسلها للآخر، ليكملها ويعيدها، وهكذا نتبادل مرات فى المدرج فى هدوء شديد، تحت عين

الأستاذ الذى كان يستنتج من استغراقنا فى الكتابة إننا تلاميذ نجباء جدا(!!) وكان العشماوى باشا (والد صديق بهاء) إذا أراد أن يرفه عنا من وطأة المذاكرة يقول لنا: هيا أسمعونى النص الكامل لمسرحية «مجنون ليلى لشوقى مثلا.. فنقرؤها من الذاكرة ويصحح لنا ما فاتنا»..

وعن هذا الجانب أيضا، وهو جانب الاهتمام بالأدب والشعر يضيف «أكرم ميدانى» :(كان يعرف عن «بهاء» ولعه الشديد بالقراءة، كما بدأت تظهر معالم الأسلوب الرائق فى كتابته، وكان يحفظ صفحات من كتب «طه حسين» يرددها بين زملائه من «الأيام» و«دعاء الكروان») .

وصادقه مرة طالب كا يواجه الدراسة بصعوبة فكان يقصد مشورة بهاء بعد كل محاضرة ويسأله أن يشرح له بعضها أو بعض النصوص فى الكتب القانونية، ولم يكن بهاء يبخل على أحد بما لديه ، غير أن هذا الطالب لزم جانبه زمنا حتى جاءه مرة بطلب غريب وهو أن يكتب له قصيدة ليرسلها باسمه (أى اسم الطالب) إلى فتاة وقع فى غرامها ويرغب أن يعبر لها عن حبه.

(فى أول الأمر) اعتذر له بهاء بأنه لم يتقن كتابة الشعر حتى يلبى مثل هذا الطلب لكن العاشق الولهان لم يصدق! هل هذا

معقول؟ «أحمد بهاء الدين» لايقدر على كتابة قصيدة؟! وألح فى طلبه يوما بعد يوم، ولم يستطع بهاء أن يقنعه بأن يتوقف، وأصبح الإلحاح شديدا أكثر من مرة كل يوم حتى قال له بهاء: هذه قصيدتك وهى ليست باللغة الفصحى تماما ولكنها ستصل إلى قلب حبيبتك بدون تعب :

ليه يابنفسج بتبهج وانت زهر حزين
والعين تتابعك وطبعك محتشم ورزين
ملفوف وزاهى ياساهى لم تبوح للعين
بكلمة منك كأنك سر بين اتنين
حسنك فى كونك بلونك تبهج المقهور
اللى يزوره سميره فى الظلام مستور
حطوك خميلة جميلة فوق صدور الغير
تسمع وتسرق يا أزرق همسة التنهيد
اسمع وقوللى مين اللى قال معايا آه
بقولها و حدى لوحدى والأسى هواه

وحسب رواية أكرم ميدانى : فقد اختطف العاشق الملح القصيدة وطار بها ولم يعد ليسأل عن قصيدة أخرى.

وكانت هذه آخر تجربة لبهاء فى شخصية «سيرانو» يتوجه

بشعره إلى «روكسان» من خلف القناع، كانت القصيدة كلمات دور البنفسج الشهير لصالح عبد الحى من شعر «محمود بيرم التونسى»!!

ودلالة هذه القصة ببساطة بالغة أنه لو لم يكن «بهاء» متذوقا وعاشقا للفنون لما أهتدى إلى هذه الحيلة الطريفة مع صديقه ليتخلص من المأزق الذى وضعه فيه.

ولم تكن كل السطور والصفحات السابقة دراسة أكاديمية عن «أحمد بهاء الدين» وهو يستحقها، ولم تكن بحثا صحفيا عنه، وهو جدير به ، لكنها كانت بمثابة رحلة فوق الورق، عدت بها للوراء قليلا، حوالى نصف قرن إلا قليلا، لأتعرف على ملامح الشاب «أحمد بهاء الدين».

ومنذ ذلك الوقت دخل «أحمد بهاء الدين» تاريخ الصحافة والعقل والتنوير والفكر فى العالم العربى كله .

وصار صوت «بهاء» وقلمه من معالم الحياة العقلية والصحافية!!

وفى نهاية هذه الكلمات البسيطة دعونى أستعيد ما كتبه أستاذنا الكبير «محمد حسنين هيكل» وأضم صوتى وأصواتكم بأذنكم إلى ما كتبه وفيه يقول:

بهاء نحن نريدك معنا، لانريد عقلك وقلمك فقط، ولكننا يا أيها

العزيز الغالى، نريدك معنا إنسانا وصديقا وجليسا وأنيسا ومحاورا».

نعم نحن نريد «بهاء» وكل هؤلاء معا!

فهل تتحقق المعجزة!.

أحمد بهاء الدين
بين الفكر والعمل

د.شكري محمد عياد

يدخل الكاتب إلى الصحافة عادة عن طريق الفكر أو من طريق الأدب يبدأ بكتابة القصة أو بكتابة المقالة، ويكتشف نفسه في إحداهما، ولديه ما يشبه قرون الاستشعار، فهو يتحسس ما تحدثه كتاباته من تأثير فيمن حوله، قد تكون دائرة التأثير محدودة أو واسعة، وقد يكون التأثير مفاجئا أو منتظرا، ولكنه يعرف قدراته واستعداداته ويختار طريقه من خلال هذه الاستجابات .

وسيكون اختياره للصحافة، أى للكتابة اليومية أو الاسبوعية أهم هذه الاختيارات .

فالصحافة تشده إلى الواقع المتغير، وتجبره على التعامل مع القوى التى تحرك هذا الواقع ومن ثم يصبح «الفن» أو «الفكر» اللذان بدأ بهما فى حوار دائم مع الواقع المتغير وربما تحول

الحوار إلى نزاع أو صراع، وربما انحاز الكاتب إلى جانب دون آخر يقول لويس عوض فى حديث مع أحمد بهاء الدين.

كثيرون من أدباء مصر يفهمون التزام الأديب والأدب للحياة فهما خاطئا.. إن بعض الأدباء يفهمون من هذا أن الأديب يجب أن يكتب فى السياسة المباشرة أكثر مما يكتب فى الأدب، بل إنهم حتى فى الكتابة السياسية يتكلمون فى الجزئيات ولايرتقون إلى مستوى الفكر السياسى، ذلك أنهم يفهمون الالتزام على أنه الارتباط بمجرى الحياة اليومية وجزئياتها فى حين أن الأديب، بل والمفكر السياسى مع التزامه برسالته الاجتماعية، ينبغى عليه أن يتعامل دائما مع الكلمات المستمدة من جزيئات الواقع، فينظر للأمور من بعد وبدرجة من الانفصال تمكنه من رؤية الصورة فى مجموعها».

لويس عوض هنا يتحدث كأديب ومفكر وكأستاذ جامعى أيضا، مع أنه قضى الشطر الأكبر من حياته العملية فى الصحافة ولكن هذه كانت طريقة لويس فى الجمع بين الطرفين، وكانت لهذه الطريقة آثارها وأخطارها أيضا، وقد عانت كتاباته من آثارها كما عانى فى حياته من أخطارها، أما أحمد بهاء الدين فكانت له طريقة أخرى، اشتركت فى توجيهه إليها دراسته القانونية، وتكوينه الشخصى واتجاهه المبكر إلى احتراف الصحافة عندما كانت ثورة ٥٢ فى بدايتها .

الفكر والعمل

ومع أن البدايتين - عند لويس وبهاء - لايفصل بينهما إلا بضع سنين كما أن الفاصل بينهما في العمر لايعد بضعة عشر عاما، فإن هذا كان يعني الشيء الكثير في تلك الفترة بالذات كان لويس قد نشأ في مناخ الليبرالية المصرية وانطبع به طول عمره، أما بهاء فقد تفتحت مواهبه وسط خليط مضطرب من الأيديولوجيات الفاشية ثم الماركسية ثم القومية وأخيرا الإسلامية.. لم يكن من الصعب عليه أن يرفض الأولى حتى وهى تتخفى تحت قناع الدين ولكنه وجد من الضرورى أن يجمع بين الماركسية والقومية حين رأى أن التاريخ والحاضر والمستقبل جميعا، ومن المنظور الوطني والإقليمي والعالمي في نفس الوقت، كلها تحتم هذا الجمع.. ولم تكن هذه هى مشكلته الوحيدة كانت المشكلة الكبرى- والعامة- أن التغيرات نحو الاشتراكية والقومية في مصر سارت بسرعة مذهلة، وكان لهذه المشكلة العامة جانبها الخاص الذى شعر به أحمد بهاء الدين كما شعرت بها القلة الأكثر وعيا في مصر والعالم العربي، وهم قراؤه الذين لايعدلون به كاتبا سياسيا آخر- هذه القلة الواعية كانت موزعة بين الفكر والعمل.

قد يقال للوهلة الأولى : إن الفكر والعمل لاتناقض بينهما، بل هما متكاملان هذا كلام صحيح من الناحية النظرية فقط، أما

فى منظور الواقع- ولاسيما واقع مصر فى الخمسينيات والستينيات- فهو بعيد عن الحقيقة أشد البعد.

لم تفلح حتى النظرية الماركسية فى إزالته! ولا أيضا دراسة ستالين لمشكلة القوميات من باب أولى! فهل كانت «الظروف المادية» فى مصر ، فضلا عن غيرها من أجزاء الوطن العربى مهيئة لقيام نظام اشتراكى؟ وهل كان توحيد الشعوب العربية فى قومية واحدة يشبه من قريب أو بعيد، احترام القوميات المتعددة داخل «اتحاد سوفيتى» واحد؟ كان على «المنظرين» فى ظل نظام عبد الناصر، أن يبحثوا عن حلول أخرى، ولكنهم كانوا دائما يشكلون نظرياتهم بطريقة ارتجالية، لأن «العمل» كان يسبقهم دائما وكان أحمد بهاء الدين يساهم أحيانا فى تشكيل هذه النظريات، ولكنه كان فى أكثر الأحيان ينتقد ما فيها من مظاهر التعجل والارتجال.

الإنبهار بعبد الناصر

ولعله - كان فى جانب عميق من نفسه - ميالا إلى رأى لويس عوض ولكنه كان - بحكم عمله الصحفى - يشايع العمل، وربما وجدناه فى معمعة هذا التناقض بين الفكر والعمل، ينظر إلى الفكر على أنه المؤثر الأول فى حركة التاريخ فيقول: *«إن الصراع العالمى الضارى الذى نعاصره الآن يحتدم. أكثر ما يحتدم بسبب الخلاف بين المذاهب والنظريات والنظم»* والنتيجة

المنطقية لهذا هى أن الاهتداء إلى النظرية الصحيحة هو الشرط الأول لنجاح أى تحرك سياسى ولكنه- من ناحية أخرى- مبهور بالإنجازات الرائعة المتلاحقة التى حققها عبد الناصر. ولهذا يكتب :

البطل يهتم (بالعمل) قبل أى شيء آخر، يهمه أن يصنع العمل المناسب قبل أن يبحث عن منطق يبلوره ويفلسفه. لذلك كثيرا ما نجد البطل التاريخى يختلف مع أذكى مثقفى عصره، ويتفوق عليهم، لأنه (يصنع) و(يخلق) فلسفة أنسب للزمن من الفلسفة التى (يؤلفها) مثقفو عصره، فالمثقف من حيث لايشعر- وبالرغم من إرادته- يستخدم منطق الحاضر الذى تربى فيه، لامنطق المستقبل الذى لم يوجد بعد، والذى يصنعه البطل».

ليس المهم هنا أن نناقش هذين الرأيين، لنثبت أن أحدهما صحيح والآخر خطأ، أو لنجمع بينهما بطريقة من الطرق، ولاينبغى أيضا أن نفسر اختلافهما باختلاف المناسبتين فالكاتب المسئول لايغير فكره - ولاسيما فى هذه القواعد الأساسية - تبعا لاختلاف المناسبات وقد كان أحمد بهاء الدين - بلا أدنى شك - هو هذا الكاتب المسئول .

إنما نقول إن اتهام أحمد بهاء الدين للمثقف هو اتهام لنفسه! ولعلها بداية التمزق الذى يعيشه المثقفون المصريون حتى اليوم!.

أحمد بهاء الدين (كاتب العمود)

أسلوبه فى التفكير وطريقته فى التغيير

خلال السنوات الخمس الأخيرة من كتاباته

د. صابر حارص

المقدمة المنهجية للدراسة :

تحاول هذه الدراسة أن تجيب على سؤالين رئيسيين هما : كيف كان يفكر أحمد بهاء الدين «كاتب العمود» يوميات وكيف كان يعبر عن هذا الفكر خلال السنوات الخمس الأخيرة من كتاباته والتى تمثل النصف الأخير من عقد الثمانينيات (١٩٨٥-١٩٨٩)؟.

وتحقق إجابة السؤال الأول: أسلوب التفكير عند «أحمد بهاء الدين» بينما تحقق إجابة السؤال الثانى طريقته فى التعبير عن هذا الفكر[١].

وللتوصل إلى إجابة السؤال الأول تحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة الخمس التالية :

١-ما نوعية الموضوعات والقضايا التى ينشغل بها فكر

أحمد بهاء الدين؟

٢- ما نوعية المصادر التي يستقي منها أحمد بهاء الدين أفكاره؟

٣- ما نوعية الأعمدة التي تسيطر على اهتمامات أحمد بهاء الدين والتي تعكس مدى انتمائه للقضايا والأحداث والسير الذاتية وأنشطة المسئولين؟

٤- ما نوعية الوظائف التي تحظى بأولويات أحمد بهاء الدين والتي تعكس مدى اتفاقه مع أولويات المجتمع وأهدافه؟

٥- ما نوعية الجماهير التي يركز أحمد بهاء الدين على مصالحها والتي تكشف عن: لصالح من يكتب أحمد بهاء الدين؟

وللتوصل إلى إجابة السؤال الثاني تحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة الست التالية :

١- ماهي طرق أو أشكال الكتابة الصحفية التي يستخدمها أحمد بهاء الدين في التعبير عن أفكاره؟

٢- إلى أي مدى يعتمد أحمد بهاء الدين على أساليب إقناع علمية في التعبير عن صحة أفكاره؟

٣- ما السمة المميزة للغة أحمد بهاء الدين في التعبير عن أفكاره؟

٤- ما المستوى اللغوي الذي يستخدمه أحمد بهاء الدين في

التعبير عن أفكاره؟

٥- كيف يبدأ أحمد بهاء الدين عموده؟

٦- كيف ينهى أحمد بهاء الدين عموده؟

وللإجابة على هذه الأسئلة صمم الباحث «استمارة تحليل المضمون» واستخدمها كأداة جمع بيانات فى إطار منهج المسح الإعلامى «مسح المضمون» وهو المنهج المناسب لنوعية الدراسات الوصفية التى تنتمى إليها هذه الدراسة[٢] وقد تم اختيار وحدة المفردة «العمود الصحفى» كوحدة للتحليل وفى إطارها تم اختيار «وحدة الموضوع» كوحدة القياس، لأنها تمكن الباحث من معرفة الفكرة الرئيسية التى يدور حولها العمود وهو ما يتمشى مع أهداف الدراسة[٣]، وقد تم تحديد فئات التحليل كما هو موضح باستمارة تحليل المضمون بالملحق رقم (١) فى نهاية البحث، ثم قام الباحث بتحكيم هذه الاستمارة واجراءات الاتساق والصدق عليها.

وبالإسلوب العشوائى المنتظم تم اختبار عينة بنائية مركبة من اثنى عشر أسبوعا هى:

١-٧/يناير ١٩٨٥ . ٥-١١/يوليو١٩٨٥، ٨-١٤/فبراير١٩٨٦، ١٢-١٨/أكتوبر١٩٨٦، ١٥-٢١مارس١٩٨٧، ١٩-٢٥/ سبتمبر١٩٨٧، ٢٢- ٢٨/ ابريل

١٩٨٨، ١٦/ ١ اكـتـوبر ١/نوفـمـبـر١٩٨٨، ٢٩/اغـسطس-٤/سبتمبر١٩٨٩، ٢-٨/ديسمبر١٩٨٩.

وهى عينة ممثلة لسنوات الدراسة وشهورها وأسابيعها[٤] .

المبحث الأول : أسلوب التفكير عند أحمد بهاء الدين

أولا : الموضوعات والقضايا التى تشغل فكره :

على الرغم من أن «أحمد بهاء الدين» فى عموده «يوميات» ينتمى إلى كتاب العمود العام[٥]، إلا أن السياسة بأحداثها وقضاياها وشخصياتها تشغل الحيز الأكبر من تفكيره، حيث تحتل الموضوعات السياسية المرتبة الأولى بنسبة (٣٨.٦٪) من بين الموضوعات المختلفة التى تناولها «أحمد بهاء الدين» فى عموده .

ومن أهم هذه الموضوعات انتقاد الولايات المتحدة الأمريكية فى سياستها إزاء القضية الفلسطينية والمطالبة بحقوق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره[٦] الحرب العراقية - الإيرانية وإعلان العراق استعداده لتلبية كل طلبات إيران[٧] مشكلات مصر المعقدة ودور الرئيس/ حسنى مبارك فى انتشال السفينة من الوحل رغم كل السلبيات التى يعانى منها الشعب[٨] صفقة الأسلحة الأمريكية لإيران فى حربها مع العراق مقابل الإفراج عن الرهائن الأمريكيين[٩] انتخاب مجلس الشعب لعام ١٩٨٧[١٠]

انعقاد مؤتمر القمة الإفريقية في القاهرة[١٢] عمليات خطف الرهائن في لبنان بقصد التأثير على الدول الأجنبية التي يخطف رعاياها وانتقاد «أحمد بهاء الدين» لهذا الإسلوب الذي يسيء إلى سمعة الإسلام والمسلمين لأن الرهائن أبرياء[١٢] توضيح لوجهة نظر القيادة الفلسطينية في أهمية قيام دولة عربية على أرض فلسطين[١٣] دعوة الفلسطيين(مواطنين اسرائيليين) إلى المشاركة في الانتخابات ليؤثروا على القرار الإسرائيلي[١٤] أهمية الاستفادة من الانتفاضة الفلسطينية وضرورة تحرك المسئولين العرب[١٥] ارتباط العملية الانتخابية في اسرائيل بالغارات التي شنتها على لبنان وفلسطين[١٦] تفسير للاهتمام الإسرائيلي بقمة العقبة «مبارك وحسين وعرفات» ما إذا كانت وسيلة ضغط لدفع عملية السلام أم أنها تستهدف تقليل أصوات المعارضين للسلام في اسرائيل[١٧] دعوة إلى التدخل العربي بدلا من التدخل الأجنبي في تحديد مصير لبنان لأن «تدويل» المشكلة يمثل خطرا على لبنان والعرب أيضا[١٨] حركة عدم الانحياز ودورها في دعم حركات التحرر ومواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية[١٩] تكهنات حول تطور الوحدة بين اليمن الجنوبي واليمن الشمالي وبين بيروت الشرقية وبيروت الغربية[٢٠] تكهنات عن إشراك الروس في قضايا الشرق الأوسط[٢١].

وفى المرتبة الثانية يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب اجتماعى حيث احتلت الموضوعات الاجتماعية عنده نسبة (٢٠٪) من بين الموضوعات المختلفة التى تناولها فى عموده.. ومن أهم هذه الموضوعات:

التعقيدات الروتينية التى يواجهها المواطنون فى إجراءات التليفونات[٢٢]، ظاهرة انتشار السيارات القديمة الخردة فى شوارع القاهرة والمطالبة بتحديد مكان لها فى الصحراء[٢٣]، المطالبة بإعادة تخطيط ميدان التحرير[٢٤]، إشكالية تسييس التاريخ كمنهج من مناهج التعليم فى بريطانيا ورفض لجنة التعليم البريطانية لذلك وتأكيد «أحمد بهاء الدين» على الالتزام بالصدق التاريخى لأنه من عوامل منع الحرب بين الدول[٢٥]، نزاهة اللجنة التى ترأسها «أحمد بهاء الدين» فى نقابة الصحفيين والاعتبارات الجيدة التى وضعتها اللجنة فى حسبانها عند التحكيم فى أول مسابقة تقيمها النقابة لإعطاء جوائز صحفية فى مختلف التخصصات ، حيث استندت اللجنة *إلى معايير مهنية فقط واستبعدت المعايير السياسية [كرأى* السلطة/ أو الشخصية (كالمجاملة والميول الخاصة) أو معايير الشهرة والصيت[٢٦]، المطالبة بتنفيذ مشوع الاستخدامات العصرية لتاكسى الأجرة كما هو فى بريطانيا، حيث يزود التاكسى بلاسلكى ويمكن للمواطنين أو رجال الأعمال وخاصة

فى القطاع الخاص الاتصال به لشراء الدواء، أو استحضار أشخاص أو أشياء أو تأجيره للسياح[٢٧] نقد المسئولين المصريين بسبب التساهل فى معاملة السائق الألمانى الذى قتل تلمذده وأصاب أربعة بسيارته[٢٨]، مناقشة قرار الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة بتخصيص يومين للإجازة الأسبوعية وتحيز «أحمد بهاء الدين (للاقتصار على يوم الجمعة فقط)[٢٩] .

وفى المرتبة الثالثة يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب إقتصادى حيث احتلت الموضوعات الاقتصادية عنده نسبة (١٢.٩٪) ومن أهمها :

دفاع عن الفلسطينيين الذين يملكون أراضى زراعية فى مصر والمطالبة باستثنائهم من فقرة :«أثر رجعى» فى القانون المصرى الذى يحرم العرب والأجانب من تملك أراضى زراعية[٣٠]، تقييم لدور وزارة القوى العاملة فى التدريب المهنى ورسالة من الوزير لتوضيح هذا الدور[٣١] الزيارة التى قام بها الرئيس حسنى مبارك لافتتاح كوبرى المنيا الجديد[٣٢]، اقتراحات للاصلاح الاقتصادى بمناسبة مرور خمس سنوات على حكم الرئيس مبارك مثل حل مشكلة الإسكان فى القاهرة ومنع الهجرة إليها، وانتقاده لسوء التخطيط الذى تم فى إحدى ضواحى الأسكندرية، وتصور لقطاع خاص ينتمى للدولة بجوار انتمائه لربحه[٣٣] رسالة من وزير زراعة سابق يرفض فيها

القانون المصرى الذى يخول للأجانب تملك مساحات من الأراضى الجديدة لاستصلاحها بحجة تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية[٣٤]، إنجازات الكويت على المستوى العربى والعالمى فى المجال الاقتصادى[٣٥].

وفى المرتبة الرابعة يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب ثقافى وناقد فني ومحلل لقضايا تنتمى إلى أكثر من مجال، حيث احتلت الموضوعات الثقافية والفنية والعامة كل منها نسبة (٧.١٪) ، وفيما يلى عرضا لأهم هذه الموضوعات:

فى المجال الثقافى : انتقاد للصفحات الأدبية فى تقييمها للأدباء على أساس النقد الأدبى فى هذه الصفحات تحكمه معايير المجاملة والاعتبارات الشخصية[٣٦]، قضية الأصالة والمعاصرة فى الصين واليابان وربطها بمصر[٣٧]، الدعوة إلى مشاركة المواطنين ومساهماتهم فى إحياء مكتبة الاسكندرية[٣٨]، توفيق الحكيم بعد وفاته[٣٩]، صلاح جاهين فى ذكراه[٤٠] .

فى المجال الفنى : أفضل برامج الاذاعة والتليفزيون خلال عام ١٩٨٤[٤١]، فى ذكرى الفنان التشكيلى شادى عبد السلام[٤٢]، عرض لكتاب «يوميات المغنين والجوارى» للكاتب كمال النجمى والكتاب عبارة عن عرض شيق وجذاب لتراث «الأغانى للأصفهانى»[٤٣]، مناقشة لموقف الجماعات الدينية من

تحريم الفن واعتباره منكرا يقاوم بالقوة ودعوة بهاء الدين إلى تحديد مستوى الفن أولا وما إذا كان هابطا أم راقيا ثم تصدى الدولة وليس الجماعات لهذا الفن الهابط[٤٤].

المجال العام : أمنيات أحمد بهاء الدين للعام الجديد فى أكثر من مجال[٤٥] ، رؤية فى مجالات الانتاج والخدمات خلال خمس سنوات من حكم الرئيس مبارك[٤٦]، انتقاء الكويت للذين يعملون ويخططون فيها ، فنجوم النجوم من المصريين والغرب فى السياسة والاقتصاد والقانون والطب عملوا فى الكويت[٤٧]، تعليق حول احتفال أوروبا بذكرى مرور ٥٠ سنة على نشوب الحرب العالمية الثانية، حيث يقول الكاتب.. إنهم تقدموا ونحن ننظر بحسد[٤٨] .

وفى المرتبة الخامسة يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب دينى، حيث احتلت الموضوعات الدينية عنده نسبة (٧ . ٥٪) ومن أهمها:

الدعوة إلى الوحدة الوطنية بمناسبة عيد المسيح، إذ أن الإسلام والمسيحية أوصوا بذلك[٤٩] ، الفتنة الطائفية فى صعيد مصر ووهم موضوع الصلبان التى ظهرت على ثياب المحجبات[٥٠]، عرض لكتاب « مصر الفاطمية والحاكم بأمر الله»، للمؤرخ الإسمى محمد عبد الله عنان[٥١] .

وتحتل الموضوعات العملية المرتبة الأخيرة بنسبة (٤ . ١٪).[٥٢] ولم يتعرض «أحمد بهاء الدين» خلال عينة الدراسة إلى الموضوعات الرياضية والموضوعات العسكرية .

ومما تقدم يتضح تزايد اهتمام «أحمد بهاء الدين» بالمجال السياسى على المجالات الأخرى، ويتسق هذا مع الاعتبارات التالية :

* إن العامل السياسى فى البلدان النامية هو أكثر العوامل فعالية وتأثيرا فى المجالات الأخرى، وحتى العامل الاقتصادى نفسه لم يظهر كقوة فعالة إلا من خلال «تسييس» الاقتصاد، ويكفى أن يلحظ القارىء للصحف أو المتابع للأحداث أن المتغيرات السياسية الدولية خلال النصف الأخير من عقد الثمانينيات على وجه الخصوص احتلت نصيب الأسد فى اهتمامات الأعلام والجمهور[٥٣] ولذلك جاءت الأهمية المتزايدة لأحمد بهاء الدين بالسياسة تلبية للواقع المحيط..

* إن الاهتمام بالسياسة هى سمة جيل كامل ينتمى إليه «أحمد بهاء الدين» الذى كان مهتما بقضايا بلده ومشاركا فى صنع أحداثه ومهموما بتحرير وطنه والإطاحة بالملكية والتخطيط لصنع المظاهرات والمعارك السياسية والوطنية، حتى قامت الثورة فأصبح هذا الجيل أيضا مشغولا بنجاح الثورة فى الداخل والخارج وما يستلزم ذلك من تحليل السياسات وانتقاد

القــادة والزعــمــاء والدول والقــرارات، ومــا أن بدأ الرئيس «السادات» فى انفتاحه الاقتصادى وتحوله السياسى إلى الغرب فهاجر «أحمد بهاء الدين» إلى الكويت بسبب السياسة أيضا.

* برع «أحمد بهاء الدين» منذ صغره فى كتابة التحليلات السياسية وعرف بها حتى أنه كان يسلم هذه التحليلات لأحد السعاة في «روز اليوسف» دون مقابلة «إحسان عبد القدوس» الذى ظل فترة طويلة يترقبه وأوصى السعاة بالقبض على هذا الشاب العبقرى حتى يعمل معه فى روز اليوسف وقد كان[٥٤].

* دراسة أحمد بهاء الدين للقانون بمختلف أنواعه فى كلية الحقوق وعمله وكيلا للنيابة لفترة معينة مما أكسبه معرفة وإلماما بالأوضاع الدولية والمحلية ودفعته إلى متابعة الأحداث السياسية .

ثانيا : نوعية الأعمدة التى تسيطر على اهتماماته :

أعطى «أحمد بهاء الدين» فى عموده «يوميات» أولوية كبيرة لتناول القضايا والمشكلات التى تواجه المجتمع المصرى على المستويين المحلى والدولى، حيث احتلت هذه النوعية من الأعمدة المرتبة الأولى بنسبة (٣٢.٩٪)[٥٥] من إجمالى أنواع الأعمدة التى تعرض لها الكاتب خلال فترة الدراسة .

وفى المرتبة الثانية اهتم احمد بهاء الدين بنقد السلبيات

الموجودة فى المجتمع المصرى سواء كان هذا النقد متصلا بأشخاص أو مؤسسات أو جماعات أو النظام نفسه، حيث احتلت الأعمدة النقدية نسبة (٢٠٪)[٥٦] .

وفى المرتبة الثالثة يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب متابع للأحداث الجارية وحريص على أن يسجل موقفه الذى يساهم فى تشكيل الرأى العام اليومى الذى تصنعه الأحداث اليومية التى تنشرها أوتبثها وسائل الإعلام[٥٧]، حيث احتلت أعمدة الأحداث الجارية نسبة (١٤،٣٪)[٥٨] .

ثم تتوالى اهتمامات أحمد بهاء الدين بنوعية أخرى من الأعمدة على النحو التالى :

الأعمدة التاريخية[٥٩] وأعمدة الشخصيات[٦٠] وأعمدة الأنشطة[٦١] كل منها بنسبة (٧،٥٪)[٦٢]، أعمدة الخدمات بنسبة (٣،٤٪)[٦٣] أعمدة العروض[٦٤]، وأعمدة التنبؤ[٦٥]، وأعمدة المناسبات[٦٦] وكل منها بنسبة(٦،٢٪) الأعمدة التأملية والأعمدة الذاتية كل منها بنسبة (٤،١٪)[٦٧] ولم يتعرض أحمد بهاء الدين خلال عينة الدراسة للأعمدة الفكاهية أو الإنسانية .

ومما تقدم يلاحظ :

١- أن قضايا المجتمع ومشكلاته ومقاومة السلبيات والانحرافات وتوضيح الأحداث الجارية هى الاهتمامات الأولى

التي تشغل «أحمد بهاء الدين» ويمكن تفسير ذلك في ضوء اتساق أحمد بهاء الدين مع الاعتبارات التالية :

- تصاعد حدة المشكلات والقضايا في المجتمع المصرى كما ونوعا فى المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها[٦٨] .

- اتفاق الحكومة والشعب والأجهزة الرسمية وغير الرسمية والإعلام القومي والمعارض على أن التصدى للمشكلات ومعالجة القضايا ومناقشتها وإبداء الآراء حولها ينبغى أن يمثل الاهتمام الرئيسى فى المجتمعات النامية[٦٩].

- ملاءمة العمود الصحفى كفن من فنون الكتابة الصحفية للتصدى للقضايا والمشكلات.. إذ أن العمود الصحفى بطبيعته يعكس رأى كاتبه إزاء ما يحدث حوله من قضايا وأحداث[٧٠] وفى القضايا والمشكلات تبرز أهمية كاتب العمود فى تقديم الحلول المناسبة بطريقة واضحة ومختصرة[٧١] .

- كثرة السلبيات والانحرافات التى يواجهها المجتمع المصرى فى مختلف مؤسساته وأفراده مما يستدعى اهتماما خاصا بالنقد باعتباره إحدى طرق الكاتب لمواجهة هذه السلبيات[٧٢] .

- *اتفاق معظم أساتذة الصحافة على ضرورة اهتمام*

صحافة دول العالم الثالث عموما بالنقد وتخصيص أكبر مساحة له فى الأعمدة الصحفية، حيث يتاح لكتاب هذه الأعمدة مساحة أكثر من غيرهم فى حرية التعبير عن الرأى[٧٣].

- ضرورة استجابة فن العمود الصحفى لحاجة المجتمع إلى الإصلاح والتقدم من خلال كشف الجوانب السلبية وتدعيم الجوانب الإيجابية[٧٤] وكلتاهما تحتاج إلى خبرات صحفية وقيم أخلاقية تمكن صاحبها من الفصل بين الدعاية وتدعيم الايجابيات، أو بين الخلافات والأهواء الشخصية وكشف السلبيات وهو ما عرف به «أحمد بهاء الدين» طوال عمله فى الوسط الصحفى بشكل عام .

- ضرورة أن يقوم كاتب العمود الصحفى بتسجيل موقفه من الأحداث الهامة وإن كان ليس بالضرورة أن يرتبط العمود بكل الأحداث الجارية التى تهتم بها معظم أشكال التحرير الأخرى فى الجريدة[٧٥] غير أن القراء عادة ما ينتظرون رأى كتاب العمود فى الأحداث الهامة، وعلى قائمة هؤلاء الكتاب أحمد بهاء الدين، وقد وضح ذلك جليا أثناء أزمة الخليج الثانية (العراق- الكويت) حيث عبر كثير من الكتاب والقراء عن افتقادهم لرأى أحمد بهاء الدين بسبب مرضه.

٢- ابتعاد «أحمد بهاء الدين» عن كتابة الأعمدة الذاتية، حيث لم يتحقق ذلك إلا مرة واحدة خلال عينة الدراسة وهى إيجابية

عظمى يتميز بها أحمد بهاء الدين عن غيره من كتاب العمود، خاصة وأن الإغراق فى كتابة الأعمدة الذاتية يعتبر تزييفا لوعى الجماهير من القراء لأنه يصرفهم عن الاهتمام بقضاياهم الأساسية والهموم التى يعانون منها(٧٦). ويعكس هذا مدى حرص أحمد بهاء الدين على حق القارىء فى أن يجد ما يهمه، لا ما يهم أحمد بهاء الدين نفسه.. إذ أن مشكلات القراء واحتياجاتهم أهم كثيرا من السير الذاتية لكاتب العمود.. فالعمود ملكا لكاتبه داخل الصحيفة، وملكا للقراء خارجها(٧٧)، فهو حر داخل صحيفته ولكن حريته هذه ينبغى أن يقابلها مسئولية الالتزام بأولويات الاهتمام عند القراء والمجتمع(٧٨) .

ثالثا: نوعية المصادر التى يستقى منها أفكاره:

تنوعت المصادر التى استقى منها «أحمد بهاء الدين» أفكاره فى عموده «يوميات» غير أن الواقع (بمشاكله وأحداثه وقضاياه وهموم الناس ومتاعبهم وحقوقهم وواجباتهم) سيطر على الحيز الأكبر من أفكاره فاحتل المرتبة الأولى بنسبة (٤ . ٣١٪)(٧٩) ثم جاءت المصادر الإعلامية فى المرتبة الثانية بنسبة (٤ . ٢١٪)(٨٠) يليها رسائل القراء بنسبة (١ . ٧٪)(٨١) ثم الوثائق بنسبة (٣ . ٤٪)(٨٢)، والمصادر الذاتية بنسبة (٦ . ٢٪)(٨٣)، المسئولون الحزبيون بنسبة(٩ . ٢٪)(٨٤)، الأشخاص أو الأفراد بنسبة (٦ . ٢٪)(٨٥)، المسئولون المتخصصون بنسبة (٤ . ١٪)(٨٦)،

التاريخ بنسبة (٤٫١٪)[٨٧]، ولم يعتمد أحمد بهاء الدين على المسئولين الحكوميين أو المتخصصين أو الدين أو المأثورات خلال عينة الدراسة .

ومما تقدم يتضح لنا أن «أحمد بهاء الدين» كاتب يسعى فى المقام الأول إلى تغيير الواقع المحيط به إلى واقع أفضل من خلال رصد وتحليل ما يحمله الواقع وما تحمله وسائل الإعلام ورسائل القراء كأهم ثلاثة مصادر يعتمد عليها «أحمد بهاء الدين» فى الحصول على أفكاره، كما أنه يعتبر من الكتاب القلائل فى العالم العربى الذين يسعون إلى الحقيقة وتحرى الصدق فى كتاباتهم وذلك من خلال اعتماده على الوثائق بعد اعتماده مباشرة على الواقع والإعلام ورسائل القراء وهى مصادر وثيقة الصلة أيضا بالحقائق إذ أن المقصود بالحقائق فى العلوم الاجتماعية أو علم الاتصال خاصة هى «الوقائع الملموسة» وهى حقائق متصلة بالواقع الفعلى للخبرة الإنسانية ولكنها حقائق ليست مطلقة بل نسبية بالقياس إلى الزمان والمكان والظرف والحال[٨٨].

ويمكن تفسير ذلك فى ضوء الاعتبارات التالية:

- ملاءمة هذه المصادر مع الوظائف الأساسية المنوط بها العمود الصحفى ، حيث يجب أن يعنى فى المقام الأول بتفسير وإيضاح الأحداث والقضايا التى تنقلها وسائل الإعلام أو

يعكسها الواقع ورسائل القراء وكذلك إبداء الرأى فيها[٨٩] .

– تلبية هذه المصادر للاحتياجات الإعلامية لجمهور القراء.. إذ أن كل من الواقع والإعلام ورسائل القراء تعتبر من أقرب وأكثر المصادر التصاقا باحتياجات الجمهور ومشاكله[٩٠].

– اقتناع أحمد بهاء الدين بأهمية رسائل القراء وتقدير ما تتضمنه هذه الرسائل من آراء واقتراحات وانتقادات لجوانب عديدة فى المجتمع؛ الأمر الذى دفع القراء إلى مراسلة هذا الكاتب أكثر من غيره[٩١]، فضلا عن مكانة الكاتب المؤثرة فى المجتمع وعلى صناع القرار فى مصر مما يدفع الكثيرين من أصحاب المصالح العامة أو الخاصة فى قطاعات الانتاج أو الخدمات أو التخطيط إلى الاتصال بالكاتب ونقل رسائلها نظرا لما تحظى به هذه الرسائل من اهتمام جماهيرى وتنفيذى من قبل المسئولين .

– حرص أحمد بهاء الدين على الإلتزام بمصداقية ما يكتبه رغم صعوبة الحصول على الوثائق فى الدول النامية عموما واستسلام معظم الصحفيين لتقاليد الحكومات والإدارات التى لاتوافق مطلقا على وصول أى مستند لديهم ، هذا فضلا عن الصراع الأزلى بين الصحافة والسلطة بشكل عام ليس فى مجال الوثائق فقط بل حتى بشأن المعلومات[٩٢] .

– حرص أحمد بهاء الدين على زيادة عدد قرائه وتوطيد علاقته بهم باعتبار أن الصدق هو أساس هذه العلاقة[٩٣]، فقد كشفت إحدى الدراسات الصحفية أن ثقة الجمهور فى الكاتب واستمرار نجاحه وفاعلية تأثيره تتوقف على الصدق أكثر مما تتوقف على أى عامل آخر مثل الثقافة أو الشهرة أو المنصب الذى يحتله داخل الصحيفة[٩٤] .

– اقتناع أحمد بهاء الدين بأن الكلمة الإنشائية تزول بينما تبقى الكلمة التى تعكس واقعا هو جزء من تصور الناس[٩٥] ولذلك جاء اعتماد أحمد بهاء الدين بشكل أساسى على الواقع والوثائق كمصادر حصول على أفكاره .

رابعا : الوظائف التى تحظى بأولوياته :

حرص أحمد بهاء الدين فى عموده «يوميات» على أن تكون مهمته الأساسية هى توجيه الرأى العام سواء اتبع فى ذلك الأسلوب المباشر الذى يقوم من خلاله الكاتب بدعوة القارىء إلى تبنى رأيه، أو اتبع الأسلوب غير المباشر الذى يقوم على شرح وتفسير ما يحيط به القارىء ويترك له حرية التوصل إلى رأى، ولذلك احتلت وظيفة التوجيه المباشر للقراء المرتبة الأولى عند «أحمد بهاء الدين» بنسبة (٣٥.٧٪)[٩٦]، تليها وظيفة التوجيه غير المباشر (التفسير) بنسبة (٣٠٪)[٩٧]، ولم يقتصر «أحمد بهاء الدين» فى عموده على وظيفة التوجيه ، بل قدم

وظائف أخرى لها أهميتها بالنسبة للقارىء المعاصر ومن أهمها وظيفة الإعلام والتثقيف التي يقوم من خلالها بإحاطة القارىء بما تدور حوله مضامين الأعمال العلمية والأدبية والمعرفية والفنية وكذا تقديم معلومات حول شخصية من الشخصيات أو المنظمات أو الحركات المختلفة، وقد احتلت هذه الوظيفة المرتبة الثالثة عند «أحمد بهاء الدين» بنسبة (٢٢.٩٪)[٩٨]- ثم وظيفة تقديم الخدمات والنصائح التي تيسر سبل الحياة للقراء بنسبة (٨.٦٪)[٩٩] وفى المرتبة الأخيرة جاءت وظيفة الترفيه التي تقوم بتسلية القارىء وإمتاعه بالأعمدة الفكاهية أو التأملية أو الذاتية وذلك بنسبة (٢.٩٪)[١٠٠] .

ومما تقدم يلاحظ أن «أحمد بهاء الدين» كاتب يتميز بترتيب أولويات أهدافه ووظائفه وفقا لأولويات المجتمع الذى يعمل فيه ومن أجله.. إذ أن الوظيفة الرئيسية التي ينبغى أن تشغل كل صحف الدول النامية - ومنها الصحافة المصرية - هى وظيفة المساهمة فى التنمية الوطنية الشاملة من خلال توجيه الرأى العام وتعبئته نحو التقدم[١٠١] وهو ما تحقق فى المرتبة الأولى عند «أحمد بهاء الدين» من خلال وظيفة التوجيه بنوعيها المباشر وغير المباشر .

وعلى جانب آخر فإن كتب التحرير الصحفى أجمعت على أن توجيه الرأى العام ينبغى أن يكون المهمة الرئيسية لكتاب

الأعمدة وهذا يفسر سر تنافس الصحف على الكتاب الذين يتميزون بنفوذ واسع عند الجماهير[١٠٢] .

ومما يدعم هذه الملاحظة – ترتيب أولويات الوظائف – أن الوظيفة الترفيهية احتلت الاهتمام الأخير عند «أحمد بهاء الدين» وهو ما يتمشى مع طبيعة المجتمعات النامية التى تعانى الأغلبية فيها من نقص كبير أو واضح في الاحتياجات الأساسية أو الضرورية كالغذاء والسكن والمواصلات والرعاية الصحية والتعليم وغيرها، فتصبح وظيفة الترفيه لاتلائم إلا قلة قليلة لاتشغلها الاحتياجات الضرورية، بل تحتاج إلى الترفيه والتسلية والإمتاع فى الدرجة الأولى وهذا يفسر سر اهتمام صحافة المجتمعات الغنية بهذه الوظيفة[١٠٣] .

وبذلك يكون أحمد بهاء الدين من الكتاب الذين يهتمون بالأغلبية كما سيتضح فى الجزء الخاص بنوعية الجماهير التى يدافع عن مصالحها أحمد بهاء الدين .

خامسا : نوعية الجماهير التى يركز على مصالحها :

اهتم أحمد بهاء الدين فى المقام الأول بمخاطبة الجماهير العامة والدفاع عن مصالحها وتبنى قضاياها حيث احتل الجمهور العام المرتبة الأولى من بين اهتمامات أحمد بهاء الدين وذلك بنسبة (٦٥.٧٪)[١٠٤] من إجمالى نوعية الجماهير التى

دافع الكاتب عن مصالحها خلال فترة الدراسة، بينما حظى المثقفون بالمرتبة الثانية بنسبة(٢٠٪)[١٠٥] ودافع عمود بهاء الدين عن مصالح هذه الفئة أكثر من دفاعه عن مصالح بقية الفئات الأخرى من الجمهور النوعى كالعمال والفلاحين والنخبة والمسئولين، وفى المرتبة الثالثة تأتى فئة المسئولين بنسبة (٧.٥٪)[١٠٦] ثم فئة أكثر من جمهور بنسبة (٩.٢٪)، فئة غير محددة الجمهور بنسبة (٩.٢٪)[١٠٧] وفئة جماهير أخرى بنسبة (٩.٢٪)[١٠٨] .

ولم يتعرض أحمد بهاء الدين خلال عينة الدراسة للدفاع عن مصالح العمال والفلاحين والنخبة.

ومما تقدم يتضح :

١- إن دفاع أحمد بهاء الدين عن مصالح الجمهور العام يعكس ما يلى :

- انشغال أحمد بهاء الدين بالقضايا العامة التى تهم مصالح الأغلبية من المجتمع أو تمس قيمها الإنسانية مسا مباشرا وهو ما يعكس فى جوهره المفهوم العلمى لقضايا الرأى العام[١٠٩] .

- معرفة جيدة بالقراء وإدراك واع للبيئة المحيطة به مما أتاح لأحمد بهاء الدين تناول أفكار ذات صلة وثيقة بغالبية القراء[١١٠].

- تبنى أحمد بهاء الدين اتجاهات ومواقف لصالح غالبية المجتمع بغض النظر عن مدى ملاءمة هذه المواقف مع المواقف التى تتبناها السلطة السياسية أو سياسة تحرير الأهرام وهو ما يفترض أن يتوافر لكاتب العمود[١١١] .

٢- إن دفاع أحمد بهاء الدين عن فئات المثقفين أكثر من غيرهم من فئات الجماهير النوعية الأخرى يتسق مع الاعتبارات التالية :

- تمثل هذه الفئة قطاعات كبيرة من المجتمع تظهر أهميتها بوضوح فى انتخابات النقابات والاتحادات والجمعيات والنوادى حيث تضم أساتذة الجامعة وعلماء الدين ورجال الدعوة (من غير المعروفين على مستوى المجتمع بأثره) والأطباء والصيادلة والمحامين والتجاريين والزراعيين والتطبيقيين والصحفيين والفنانين والقضاة والمهندسين والمعلمين والرياضيين ورجال الشرطة والقوات المسلحة وغيرهم[١١٢] .

- تنتمى هذه الفئات إلى الطبقة المتوسطة من المجتمع والتى تشكل الغالبية العظمى من قراء الصحف[١١٣] .

- تشكل هذه الفئات بحكم تجمعاتها فى شكل نقابات أو اتحادات أوجمعيات أو نوادى جماعات ضغط تمارس تأثيرا فعالا فى المجتمع وتدفع بفرض مصالحها على الصحافة

المصرية بشكل عام ولها من الأساليب والطرق والأنشطة التى تجعلها حاضرة فى اهتمامات كتاب العمود بشكل عام، فضلا عن امتلاك معظمها لأدوات إعلام وتعبير عن مصالحها الخاصة، تأخذ هذه الأدوات (صحف ومجلات متخصصة) طريقها إلى الصحفيين عامة ومن بينهم كتاب العمود(١١٤).

٢- إن غيبة مصالح العمال والفلاحين عن اهتمامات «أحمد بهاء الدين» ترجع إلى :

- تركيز أحمد بهاء الدين على مصالح الجمهور العام والتى فى معظمها مصالح تعود على غالبية المجتمع من العمال والفلاحين .

- انتماء فئتى العمال والفلاحين إلى فئات لاتملك التعبير عن نفسها لافتقادها من يمثلها فى ضوء تحول غالبية نواب الشعب الممثلين للعمال والفلاحين إلى رأسماليين وتجار تتعارض مصالحهم الخاصة مع مصالح الفئات التى يمثلونها، فضلا عن جهل هذه الفئات ومن يمثلها بقنوات التعبير وقدراتها المتواضعة فى معرفة الحقوق والمطالبة بها .

المبحث الثاني: طريقة التعبير عند أحمد بهاء الدين

أولا : طرق الكتابة التى يستخدمها فى التعبير عن أفكاره :

تنوعت الطرق التى استخدمها أحمد بهاء الدين فى كتابة «عموده» «يوميات» غير أنه اعتمد بشكل أساسى فى عرض مادته على طريقة الهرم المعتدل التى تقوم على ذكر ماهية الموضوع فى مقدمة العمود، ثم تفصيلاته أو شواهده فى «صلب العمود» ثم الخلاصة أو النتيجة أو الحل فى الخاتمة[١١٥] حيث احتلت هذه الطريقة المرتبة الأولى بنسبة(٦٧.١٪)[١١٦] من مجموع القوالب الفنية المستخدمة فى كتابة عموده.

وفى المرتبة الثانية اعتمد أحمد بهاء الدين على طريقة الهرم المقلوب بنسبة(١٤.٣٪)[١١٧] ثم قالب رسائل القراء بنسبة (١٢.٩٪)[١١٨] يليه قالب الانتقال من السؤال إلى الجواب بنسبة (٤.٣٪)[١١٩] ثم قالب الفقرات بنسبة(١.٤٪)[١٢٠].

ولم يستخدم أحمد بهاء الدين فى كتابة عموده خلال عينة الدراسة كل من طريقة الحوار أو الترتيب الزمنى للأحداث أو الترتيب المكانى .

ومما تقدم يلاحظ :

١- إن أحمد بهاء الدين فى معظم الأحوال يكتب عموده بطريقة الهرم المعتدل للاعتبارات التالية :

- تمثل طريقة الهرم المعتدل فى الكتابة الصحفية أكثر الطرق استخداما فى كتابة المقال الصحفى بشكل عام كما أقرت ذلك كتابات التحرير الصحفى القائمة على دراسة فن كتابة المقال الصحفى بأنواعه المختلفة .

- إن هذه الطريقة تتفق وترتيب الأفكار عند الكاتب وسهولة تقديمها فى زمن يناسب دورية صدور الصحيفة بشكل يومى أو أسبوعى.

- تحقق هذه الطريقة عرضا لمادة العمود الصحفى أكثر دقة من الطرق الأخرى لأنها تتيح للكاتب أن يتوصل إلى نتائج من نفس جنس الشواهد أو المقدمات المطروحة فى صلب العمود وهذه الدقة فى النتائج تمثل مطلبا حيويا للكاتب والقراء .

٢- إن أحمد بهاء الدين لم يقتصر فى كتابة عموده على طريقة واحدة- كما أشارت كتب التحرير الصحفى على أن الهرم المعتدل هو الطريقة الوحيدة التى يكتب بها فن العمود الصحفى- بل استخدم طرق متعددة فى مقدمتها طريقة الهرم المقلوب التى يكتب بها الخبر الصحفى عادة، حيث يبدأ أحمد بهاء الدين عموده بالنتيجة أو الحكم أو الرأى الذى انتهى إليه فى الموضوع أو القضية التى يعرض تفاصيلها أو شواهدها فى صلب العمود ثم يعود ليؤكد هذا الرأى أو النتيجة مرة أخرى فى الخاتمة، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء حاجة أحمد بهاء الدين فى

كثير من الأحيان إلى الإسراع في إعلان رأيه أو حكمه قبل أن يقدم الأدلة والشواهد التى تدلل على ذلك انطلاقا من أهمية هذا الرأى أو الحكم بالنسبة للقراء وإحساس الكاتب بمدى حاجتهم إلى ذلك .

ثانيا : الأساليب التى يعتمد عليها فى الإقناع :

ارتفعت مصداقية ما يكتبه أحمد بهاء الدين فى عموده «يوميات» إلى درجة عظمى، حيث اعتمد فى إقناعه للقراء على الأسلوب العلمى بنسبة (٩٥٫٧٪) وكانت الوقائع من أكثر أدوات هذا الأسلوب استخداما وذلك بنسبة (٤٤٫٣٪)[١٢١]، ثم التسلسل المنطقى بنسبة (٣١٫٤٪)[١٢٢]، عرض وجهتى النظر بنسبة(١٠٪)[١٢٣]، الأرقام بنسبة(٤٫٣٪)[١٢٤] ثم الجمع بين أكثر من أداة بنسبة(٢٫٩٪)[١٢٥]، وفى المرتبة الأخيرة تأتى النصوص الدينية وفئة أخرى كل منها بنسبة (١٫٤٪)[١٢٦] .

ونادرا ما يلجأ أحمد بهاء الدين إلى الأسلوب غير العلمى فى إقناع القراء حيث لم تتجاوز استخداماته لهذا الإسلوب (٢٫٩٪) اعتمد فيه على أداتين فقط هما: التحيز والتركيز على العواطف كل منها بنسبة (١٫٤٪)[١٢٧]، كما اعتمد أحمد بهاء الدين على طريقة المزج بين الأسلوبين العلمى وغير العلمى بنسبة (١٫٤٪).

ولم يلجأ أحمد بهاء الدين خلال عينة الدراسة إلى التعميم أو

المبالغة أو الخرافات كأدوات فى إقناع القراء .

ومما تقدم يتضح :

- إن استخدام أحمد بهاء الدين للأسلوب العلمى بشكل دائم فى إقناع القراء يتمشى مع الاعتبارات التالية :

- يمثل الأسلوب العلمى فى التخاطب والإقناع اللغة السائدة فى الوقت الراهن بعد أن تضاءلت لغة الخداع والغيبيات الخرافات، وأصبحت الجماهير مع انتشار التعليم وتقدم تكنولوجيا نقل المعلومات لاتقتنع طويلا إلا بأدوات الأسلوب العلمى كالحقائق والأرقام والوقائع والمنطق وغيرها(١٢٨)، وحتى عندما يقوم الإعلام بتزييف عقول الجماهير يلجأ أيضا إلى استخدام الأسلوب العلمى فى الإقناع فيزيف الأرقام وينقى الوقائع ويفسر النصوص الدينية تفسيرات خاطئة(١٢٩). ورغم ذلك لايمكن لهذه الأساليب أن تخدع الجماهير طوال الوقت. فلقد عرف العالم كله بما فيه الشعب الكويتى نفسه أن أمريكا وأوروبا لن تحرر الكويت إلا من أجل احتلال حقول النفط الكويتى والسيطرة على بترول الخليج وتدمير القوة العسكرية العراقية(١٣٠) .

- يعتبر أحمد بهاء الدين واحدا من كبار كتاب العمود الذين تتوافر لديهم الخبرة الطويلة والثقافة الواسعة والعلاقة الطيبة مع

مصادر متعددة وهامة مما تتيح له إمكانية الاعتماد على الأساليب العلمية فى الإقناع من خلال إمكانية الحصول على الأرقام والوثائق بسهولة أكثر نسبيا من كتاب العمود الآخرين.

- تجنب أحمد بهاء الدين استخدام عموده فى طرح الخلافات الشخصية التى يمكن أن تنشب بينه وبين كاتب آخر أو مسئولين أو أشخاص أو جهات معينة مما يؤدى إلى تفادى الوقوع فى التحيز أو المبالغة أو عرض جانب واحد من الحقيقة[١٣١].

- انتماء أحمد بهاء الدين إلى تيار وطنى يعمل بعيدا عن التعصب لصالح تيار سياسى معين أبعده عن أحادية النظرة التى لاترى إلا ما هو سلبى فى التيارات الأخرى وما هو إيجابى فى التيار الذى يقتنع به.. فضلا عن عدم وقوعه تحت إغراء المنصب أو تأثير السلطة أو كرم المسئولين أو الحقوق التى يتمتع بها من قبل الصحيفة أو المالك وهو ما يفسر رحيله عن مصر إلى الكويت بعد الخلافات التى نشبت بينه وبين الرئيس السادات بسبب الإغراءات والضغوط التى مارسها الرئيس السادات عليه فى محاولة لاحتوائه إلى مجموعة السياسات الاقتصادية والإعلامية والخارجية التى كانت تمثل تحولا مفاجئا وسريعا لطبيعة المجتمع المصرى[١٣٢] .

- امتلاك أحمد بهاء الدين لضمير يقظ وقيم أخلاقية جنبته

الوقوع فى استغلال عموده فى المجاملات أو الحصول على الهدايا والرشاوى المقنعة فى الداخل أو الخارج كما يحدث لبعض كتاب العمود الآخرين.

٢- لجوء أحمد بهاء الدين بكثرة إلى استخدام الوقائع والتسلسل المنطقى واعتماده بشكل ضعيف على الأرقام والنصوص الدينية، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء :

- سهولة الاستشهاد بالوقائع والتسلسل المنطقى حيث يمتلأ المجتمع المصرى بالوقائع والأحداث والقضايا التى يمكن أن يستدل بها الكاتب على صدق ما يقوله أو البرهنة على ما توصل إليه، وعندما يكون موضوع العمود لايرتبط بالواقع فإنه من السهل على الكاتب أن يمنطق ما يقوله .

- صعوبة الحصول على الأرقام وخاصة الأرقام الصحيحة فى دول العالم الثالث، حتى أن المسئولين بهذه الدول لديهم استعداد لتسريب الأرقام لجهات أجنبية فى حين لايطمئنوا للجهات المحلية ولذلك تجد أن معظم الحقائق المهمة عن دول العالم الثالث متوافرة لدى هيئات أجنبية[١٣٣] كما أن الصراع بين الصحفيين والسلطة بشأن المعلومات والبيانات صراع غير متكافىء فى دول العالم الثالث حيث ترجح كفة السلطة فى حجب البيانات التى تؤثر عليها[١٣٤]، كما أن الصحفيين لايمتلكون القوة التى تمكنهم من الحصول على هذه البيانات،

ولايتوافر لديهم مقومات الشجاعة لنشر البيانات الخطيرة حتى أن معظم هذه البيانات والمعلومات الخطيرة لاتنشر إلا بعد موافقة السلطة أو عدم رضاها على بعض الشخصيات الفاسدة[١٣٥] وبالتالي يصبح من الصعب الاعتماد كثيرا على الأرقام كبراهين تدلل على وجهات نظرهم وذلك بالنسبة لمعظم كتاب العمود في الصحافة المصرية .

– غياب المنظور الديني في معالجة القضايا ليس عند أحمد بهاء الدين فقط ولكن عند معظم كتاب العمود في الصحافة المصرية، فضلا عن قناعة هؤلاء الكتاب ومن بينهم أحمد بهاء الدين بالحلول الوضعية في إصلاح المجتمعات وتقدمها[١٣٦].

ثالثاً:السمة المميزة للغته :

على الرغم من أن «أحمد بهاء الدين» ينتمي إلى جيل الرواد المعاصرين للصحافة والذين يجيدون استخدام الأسلوب الأدبي في الكتابة الصحفية.. إلا أن عموده «يوميات» التزم في المقام الأول بسمات اللغة الصحفية الخالصة التي تخلو من ملامح اللغة الأدبية (كالكنايات والتشبيهات والمجازات والتورية وألوان البديع وغيرها) فجاء اعتماده على اللغة الصحفية بنسبة (٩٠٪)[١٣٧]، تليها اللغة التي يغلب فيها الطابع الصحفي على الطابع الأدبي

بنسبة (١ . ٧٪)[١٣٨] ثم فى المرتبة الأخيرة اللغة التى يغلب فيها الطابع الأدبى على الطابع الصحفى وذلك بنسبة (٩ . ٢٪)[١٣٩] .

ومما تقدم يمكن تفسيره فى ضوء الاعتبارات التالية :

١- لم يكن أحمد بهاء الدين صاحب اهتمامات أدبية، بل كان محللا للسياسة كما أشرنا من قبل ، كما أنه لم يكن أديبا تحول إلى كتابة المقال كما يحدث بالنسبة للمقال التحليلى فى الصحافة المصرية حيث تستعين الصحف بنخبة من الأدباء فى كتابة المقال الصحفى الطويل كما فعلت الأهرام مع توفيق الحكيم وثروت أباظه ويوسف إدريس وأحمد عبد المعطى حجازى وسعد الدين وهبه وغيرهم، وبالتالى جاءت لغته صحفية خالصة تمرس عليها منذ بداية عمله الصحفى فى كتابة التحليلات السياسية .

٢- إن معظم الموضوعات التى تناولها أحمد بهاء الدين فى عموده تنتمى إلى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهى مجالات يقل الافتراض فيها باستخدام اللغة الأدبية، وعلى الجانب الآخر ينخفض اهتمام أحمد بهاء الدين بالموضوعات الأدبية التى يمكن أن تستخدم فيها اللغة الأدبية[١٤٠] .

٣- إن لغة الصحافة نفسها لغة بسيطة موجهة إلى كل من يعرف القراءة والكتابة بغض النظر عن اختلاف المستويات

الثقافية[١٤١]، وبالتالى فهى لغة تبتعد فى معظمها عن سمات اللغة الأدبية التى قد يصعب فهمها على كثير من قراء الصحف أو قد تفهم فهما خاطئا من بعض القراء، فقد لايفهم البعض الكتابة بلغة الرمز أو قد يفهم من القراء المعنى القريب للتورية فى حين يقصد الكاتب المعنى البعيد لها .

٤- إن المرات القليلة التى استخدم فيها بهاء الدين مفردات اللغة كانت بهدف تحريك الأحاسيس من خلال إضفاء المزيد من جمال العبارة خاصة وأن الإسهامات النظرية فى كتابة العمود تجيز استخدام سمات الأسلوب الأدبى حتى يجمع العمود الصحفى بين بساطة اللغة الصحفية وجمال اللغة الأدبية[١٤٢] .

رابعا : المستوى اللغوى الذى يستخدمه فى التعبير عن أفكاره :

تميز أحمد بهاء الدين فى عموده «يوميات» بقدرات هائلة فى التعبير اللغوى مكنته من عدم اللجوء مطلقا إلى استخدام المستوى اللغوى الذى يغلب فيه العامية على الفصحى، بينما اعتمد بشكل رئيسى على مستوى الفصحى المعاصرة التى تخلو تماما من الفصحى القديمة وكذا العامية وذلك بنسبة(٩٨,٦٪) ثم بشكل هامشى على المستوى اللغوى الذى

يغلب فيه الفصحى المعاصرة على العامية وذلك بنسبة (٤ . ١٪)[١٤٣].

ومما تقدم يمكن تفسيره في ضوء الاعتبارات التالية :

١- إن الفصحى المعاصرة مستوى لغوى يشترك في فهمه واستيعابه الغالبية العظمى من جمهور الصحف بمختلف مستوياتهم الثقافية وبالتالى فهو مستوى مناسب لمخاطبة أكثر عدد ممكن من القراء[١٤٤] .

٢- تمثل الفصحى المعاصرة المستوى اللغوى الذى يفهمه قراء الصحف داخل مصر وخارجها في العالم العربى، بينما يقتصر فهم العامية على القراء داخل مصر فقط[١٤٥]، فضلا عن أنها لهجات متعددة تختلف من مكان لآخر ومن عصر لآخر ومن فئة لأخرى فعامية المثقفين تختلف عن عامية العامة[١٤٦]، وهكذا تحقق الفصحى المعاصرة لكاتبها انتشارا لفكره وأسلوبه خارج مجتمعه حتى في البلدان الأجنبية التى تقوم بترجمة هذه الأعمدة- إذ أنه من المعروف أن ترجمة الفصحى أيسر بكثير من ترجمة العامية - بينما تحصر اللهجات كاتبها في مكان واحد أو فترة واحدة أو فئة معينة من القراء لأن اللهجات شأنها شأن اللغات تخضع لقوانين التطور الاجتماعى والحياتى .

٣- إن الفصحى المعاصرة مستوى من اللغة يتناسب مع نوعية الإعلام المطبوع وجمهوره بينما يمكن أن تتسع جماهير

اللغة المسموعة للذين يقرأون والذين لايقرأون، وبالتالى فإن مستوى الفصحى المعاصرة تتناسب مع أحمد بهاء الدين ككاتب عمود يخاطب جماهير تجيد القراءة والكتابة وتمثل العامية المكتوبة بالنسبة لها صعوبة فى الفهم لا يسرا كما يعتقد البعض «فضلا عن أن استخدام العامية فى بعض الأحيان يعكس ضعفا لغويا يفقد الكاتب قدرته فى التعبير عن أفكاره بالفصحى فيلجأ إلى العامية كنوع من الاستسهال»[١٤٧].

خامسا : نوعية المقدمات التي يبدأ بها عموده

لجأ أحمد بهاء الدين إلى استخدام العديد من المقدمات لبداية عموده «يوميات» من أهمها المقدمة الخبرية بنسبة (٣١.٤٪)[١٤٨]، مقدمة القضية أو المشكلة بنسبة (١٤.٣٪)[١٤٩]، المقدمة الذاتية بنسبة(٨.٦٪)[١٥٠]، مقدمة الاقتباس بنسبة (٥.٧٪)[١٥١]،مقدمة السؤال بنسبة (٥.٧٪)[١٥٢] أيضا المقدمة الوصفية بنسبة (٤.٣٪)[١٥٣]، مقدمة الشخصيات ومقدمة التوقع والمقدمة التلخيصية كل منها بنسبة (٢.٩٪)[١٥٤]، مقدمة الدعاء والمقدمة التاريخية ومقدمة الربط كل منها بنسبة (١.٤٪)[١٥٥] .

وقد بلغت نسبة الأعمدة التى كتبها أحمد بهاء الدين بدون مقدمات (١٧.١٪)[١٥٦] .

ومما تقدم يتضح أن أحمد بهاء الدين لايضطر وهو يكتب عموده أن يتقيد بنوع واحد من المقدمات لأن «كاتب العمود حر

فى استخدام المقدمات التى يراها مناسبة، ولايمكن تفسير ذلك إلا فى ضوء المساحة الإبداعية التى يتمتع بها الفن الصحفى عموما وكاتب العمود بصفة خاصة»[١٥٧]، ولذلك فإن الحرية والإبداع وما يقتضيه الظرف والموقف الكتابى هى المساحة الكبرى التى تحدد كيف يبدأ أحمد بهاء الدين عموده، ولذلك جاء الكثير من أعمدة بهاء الدين بدون مقدمات رغم أن دراسات التحرير الصحفى توصى بالمقدمة التى تمهد الموضوع للقارىء وتجذبه إليه، غير أن تركيزه على المقدمة الخبرية ومقدمة القضايا والمشكلات نتيجة منطقية لملاءمة هذه المقدمات مع أعمدة الأحداث الجارية وأعمدة القضايا والمشكلات التى تصدرت الاهتمام الأول عند أحمد بهاء الدين .

سادسا : نوعية الخواتيم التى ينهى بها عموده

استخدم أحمد بهاء الدين فى نهاية عموده العديد من النهايات أو الخواتيم من أهمها :

الخاتمة التلخيصية بنسبة (٢٣.٩٪)[١٥٨]، الخاتمة الاستحثاثية بنسبة (٧.١٪)[١٥٩]، الخاتمة الناصحة بنسبة (٥.٧٪)[١٦٠]، الخاتمة الاقتباسية ، وخاتمة الرسائل وفئة أخرى كل منها بنسبة (٤.٣٪)[١٦١]، خاتمة التساؤلات وخاتمة التعجب وخاتمة التوقع والخاتمة الوصفية كل منها بنسبة (٢.٩٪)[١٦٢]، الخاتمة التأكيدية والخاتمة الطريفة وخاتمة الدعاء كل منها

بنسبة (٤ . ١٪)[١٦٣] .

وقد بلغت نسبة الأعمدة التى كتبها أحمد بهاء الدين بدون خاتمة(٧ . ٢٥٪)[١٦٤] .

ومما تقدم يتضح أن أحمد بهاء الدين ينهى عموده فى معظم الأحوال بخاتمة تتضمن خلاصة ما توصل إليه فى الموضوع الذى يعالجه أو خاتمة تستحث القارىء إلى تبني موقف أو اتخاذ قرار أو تقديم النصح والإرشاد فى كثير من الموضوعات التى تشغل القراء، وهذه الطرق التى يستخدمها أحمد بهاء الدين فى نهاية عموده تتفق مع الوظائف التى ينبغى أن يقدمها كاتب العمود .

غير أن أهم ما يلاحظ على أحمد بهاء الدين أنه يفضل فى كثير من الأحوال كتابة عموده بدون خاتمة، ويفسر ذلك فى إطار الحرية التى يتمتع بها كاتب العمود فى طريقة الكتابة، فضلا عن وجود نوعية من الأعمدة لاتحتاج إلى خاتمة.. فالعمود الذى يبدأ بالسؤال يتضمن إجابة على هذا السؤال دون حاجة إلى خاتمة.. والعمود الذى يبدأ بالتوقع أو التنبؤ يتضمن الشواهد التى تدلل على هذا التنبؤ دون حاجة إلى خاتمة، والعمود الذى يستحث القارىء إلى اتخاذ قرار أو تبنى موقف يورد البراهين المقنعة دون حاجة إلى خاتمة وكذلك الحال فى العمود الذى يبدأ بخلاصة ما يتوصل إليه الكاتب وهكذا، وإذا كان أحمد بهاء

الدين في كتابة عموده استغنى في كثير من المرات عن المقدمة أو الخاتمة.. إلا أنه لايمكن أن يستغني عن الاثنين معا لأن هدف الكاتب ينبغي أن يظهر في المقدمة أو الخاتمة .

هوامش البحث :

(١) اقتبس الباحث مصطلح «أسلوب التفكير وطريقة التعبير» من كل من :

- عبد اللطيف حمزة، المدخل إلى فن التحرير الصحفي،ط٤(القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٦٨)ص٢٠٨-٢٠٩.

- صلاح قبضايا، تحرير وإخراج الصحف (القاهرة : المكتب المصري الحديث،١٩٨٥)ص١٨١-١٨٣ .

(٢) انظر: سيد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء، ط١(القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٦)ص١٢٤-٢٠٦ .

(٣) انظر: عواطف عبد الرحمن، وآخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع،١٩٨٢)ص٢٢-٢٤ .

(٤) انظر تفصيلا لإمكانية تقليل حجم العينة في حالة تجانس مجتمع الدراسة في :

ريتشارد بن وآخرون، تحليل مضمون الإعلام : المنهج والتطبيقات العربية، ترجمة محمد ناجي الجوهر ط١ (الأردن: قدسية للنشر، ١٩٩٢)ص٣٩-٤٢ .

(٥) يتعرض العمود العام لمختلف الموضوعات والقضايا العامة في مختلف

المجالات كالسياسة أو الاقتصاد أو الثقافة أو الفكر أو الأدب أو الدين أو القانون أو الطب أو السياحة أو الرياضة أو قضايا الحب والزواج والطلاق ومشكلات الحياة الاجتماعية اليومية.. انظر :

د. فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية (القاهرة: دار المأمون للطباعة والنشر، ١٩٨١)ص٢٠١.

(٦) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٦/٢/٨ .

(٧) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٦/٢/١٤ .

(٨) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٦/١٠/١٤ .

(٩) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/٣/١٦ .

(١٠) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/٣/١٨ .

(١١) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/٣/٢٠ .

(١٢) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/٣/٢١ .

(١٣) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/١٠/٢٧ .

(١٤) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٢٨ .

(١٥) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٢٦ .

(١٦) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٣٠ .

(١٧) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٣١ .

(١٨) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٨/٣١ .

(١٩) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٩/٤ .

(٢٠) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/١٢/٤ .

(٢١) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/١٢/٣ .

(٢٢) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٦ .

(٢٣) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/٢/١٢ .

(٢٤) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/٢/١٣ .

(٢٥) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٩/٢ .

(٢٦) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/٧/٥ .

(٢٧) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٩/٢٤ .

(٢٨) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٢٩ .

(٢٩) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/١٢/٧ .

(٣٠) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/٧/٨ .

(٣١) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/٢/١١ .

(٣٢) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٣/١٩ .

(٣٣) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٦–١٩٨٦/١٠/١٨ .

(٣٤) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/٤/٢٤ .

(٣٥) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٨/٣٠ .

(٣٦) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٢ .

(٣٧) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٤ .

(٣٨) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/٧/١٠ .

(٣٩) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٩/١٩ .

(٤٠) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/٤/٢٥ .

(٤١) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/١ .

(٤٢) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/١٠/١٣ .

(٤٣) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٩/٢٠ .

(٤٤) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ٢٦-١٩٨٨/١٠/٢٧ .

(٤٥) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٢ .

(٤٦) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/١٠/١٥ .

(٤٧) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٨/٢٩ .

(٤٨) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٩/٣ .

(٤٩) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٧ .

(٥٠) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٢/١٥ .

(٥١) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٩/٢١ .

(٥٢) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٩/١ .

(٥٣) انظر: يوسف صائغ، «في الاقتصاد السياسي والاجتماعي لإدارة التنمية العربية»، مجلة المستقبل العربي، العدد ١١٤ (بيروت : مركز

دراسات الوحدة العربية، اغسطس١٩٨٨) ص٤-٢١.

(٥٤) نصار عبد الله، «كتب وكتاب» برنامج تليفزيونى حول كتاب «أيام لها تاريخ» لاحمد بهاء الدين، القناة السابعة بتاريخ ١٩٩٥/٦/٣٠.

(٥٥) انظر أمـــثلة فى : ١٩٨٦/٢/٨-١٩٨٧/٣/٢١- ١٩٨٧/٩/٢٥، ١٤-١٩٨٦/٨/١٧- ٢٧-١٩٨٨/١٠/٢٨- ٥-١٩٨٩/١٢/٨.

(٥٦) انظر أمـــثلة فى : ١٩٨٧/٣/١٦، ٧-١٩٨٥/٩- ١٩٨٦/١٠/١٨، ١٩٨٧/٩/٢٠ - ١٩٨٨/١٠/٢٩ - ١٩٨٨/١١/١ - ١٩٨٦/٢/١٣ - ١٩٨٧/٣/١٦.

(٥٧) عبد العزيز الغنام، مدخل فى علم الصحافةج١ط٢ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٧)ص٢٧٤ .

(٥٨) نظر أمـــثلة فى : ١٩٨٨/٤/٢٢- ١٩٨٨/٤/٢٣ - ١٩٨٨/٤/٢٣- ١٩٨٦/١٠/١٢ - ٣٠-١٩٨٨/٢٠/٣١ - ١٩٨٩/١٢/٢ - ١٩٨٦/٢/١٠ - ١٩٨٩/٩/٣ - ١٩٨٩/٨/٣١ .

(٥٩) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/٢١ - ١٩٨٥/٧/١١ - ١٩٨٩/٨/٢٩.

(٦٠) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/١٩ - ١٩٨٥/٧/٦ - ١٩٨٦/١٠/١٣.

(٦١) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٣/١٩ - ١٩٨٥/٧/٥ - ١٩٨٩/٨/٣٠.

(٦٢) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/١٩-١٩٨٧/٣/١٩ .

(٦٣) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/٢٤- ١٩٨٥/٧/١٠ - ١٩٨٦/٢/١٢.

(٦٤) انظر أمثلة فى : ٢٢/٩/١٩٨٧– ٢٣/٩/١٩٨٧.

(٦٥) انظر أمثلة فى : ٣–٤/١٢/١٩٨٩.

(٦٦) انظر أمثلة فى : ٢/١/١٩٨٥– ٨–٩/١٠/١٩٨٨.

(٦٧) انظر أمثلة فى : ٢٦/١٠/٨٨التأملى، ١٧/٢/١٩٨٧الذاتى.

(٦٨) رصدت إحدى الدراسات العلمية ٨٠ قضية يعانى منها المجتمع المصرى فى أربعة مجالات (١٧قضية سياسية، ٣٠ قضية اقتصادية، ١٣ قضية ثقافية،٢٠ قضية اجتماعية) انظر تفصيلا لهذه القضايا فى :

– عزه عبد العزيز، المسئولية الاجتماعية للصحافة المصرية: دراسة تحليلة لوظائف الصحافة فى الفترة من ١٩٧٨–١٩٨٧، بالتطبيق على صحيفتى الأهرام والأهالى، رسالة ماجستير غير منشورة (سوهاج: كلية الآداب،١٩٩٢)ص٢٣٢–٣٠٩. ٧١٠–٧٢٧ .

(٦٩) انظر: عواطف عبد الرحمن، إشكالية الإعلام التنموى فى الوطن العربى (القاهرة: دار الفكر العربى،١٩٨٥)ص٧–١٢.

– فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٦)ص٧٨–٨١ .

(٧٠) انظر: فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، مرجع سابق،ص١٩٣ .

(٧١) انظر:

– محمود فهمى، فن تحرير الصحف الكبرى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢)ص٢٠٢ .

- صلاح قبضايا، تحرير وإخراج الصحف (القاهرة: المكتب المصرى الحديث،١٩٨٥)ص١٧٩.

(٧٢) انظر: عواطف عبد الرحمن، مقدمة فى الصحافة الافريقية (القاهرة: الجمعية الافريقية،١٩٨٠)ص١٢٣.

(٧٣) انظر:

- مختار التهامى، الإعلام والتحول الاشتراكى، ط١ (القاهرة دار المعارف، ١٩٦٦)ص١٢ .

- مختار التهامى، الصحافة والسلام العالمى، (القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية،١٩٦٤)ص٣٣٩-٣٤٤ .

(٧٤) محمد منير حجاب، المقال الافتتاحى (طنطا : مؤسسة سعيد للطباعة، ١٩٨٧)ص٢٣.

(٧٥) انظر : المرجع السابق،ص٢٤.

- عبد العزيز شرف، فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٦)ص٦١.

(٧٦)- جلال الدين الحمامصى، الصحيفة المثالية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢)ص١٩٥-٢٠٠.

(٧٦) انظر :

- عبد الباسط عبد المعطى، الإعلام وتزييف الوعى (القاهرة: دار الثقافة الجديدة،١٩٧٩)ص٦٢-٨٥.

- محمد أبو الاسعاد، الصحافة المصرية وتزييف الوعى (القاهرة: مجهول الناشر وسنة النشر)ص٣١-٣٢.

(٧٧) انظر :

Julian Harriss and others, the Complete Reporter 5th-ed,(New york and London Macmillan publishing company, N.D) p.979.

(٧٨) انظر : عبد اللطيف حمزة، المدخل فى فن التحرير الصحفى، مرجع سابق، ص٣١٣-٣١٤ .

(٧٩) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/٩ -١٤-١٨-١٩٨٦/١٠/١٨- ٢٦/١٩٨٨/١٩٠- ١٩٨٩/١٢/٤ - ١٩٨٩/١٢/٨ - ١٨-١٩٨٧/٣/٢١ - ٢٩/١٩٨٩/٨/٣١ .

(٨٠) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/١١ - ١٢/١٩٨٦/١٠/١٢ - ٢٨-١٩٨٨/١٠/٣١ - ٢-١٩٨٩/١٢/٣ - ١٩٨٩/١٢/٧ - ١٩٨٥/١/٣ - ١٩٨٧/٣/١٥ .

(٨١) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/١٠ -٥-٦-١٩٨٩/١٢/٦ -٥-٦-١٩٨٥/١/٦ - ١١-١٩٨٦/٢/١٢ -٢٦- ١٩٨٨/٤/٢٨ .

(٨٢) نظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/٨ -٢٧- ١٩٨٨/١٠/٢٧ - ١٩٨٦/٢/١٣ .

(٨٣) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/٥ - ١٩٨٧/٩/٢٤ .

(٨٤) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/٢٥ - ١٩٨٥/١/٤ .

(٨٥)انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٣/١٧ - ١٩٨٨/١١/١ .

(٨٦) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/٧.

(٨٧) انظر أمثلة فى : ١٩٨٩/٩/٤ .

(٨٨) محمد منير حجاب، المقال الافتتاحى، مرجع سابق، ص٦٥-٦٦.

(٨٩) انظر: محمود أدهم : المقال الصحفى (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية- ١٩٨٤)ص٢٨ .

(٩٠) انظر :

Ray Eldon Hilbert and others, Massmedia; An Introduotion to communication, (New york and London: Longman, 1982) p.441 .

(٩١) انظر تفصيلا لأهمية رسائل القراء بالنسبة لكاتب العمود فى :

F.W. Hodgson , Modern Newspaper Pratice, 2nd ed., (Oxford, London and Nairobi: Heieman Professional Publishing,1989) p.54.

(٩٢) انظر:

- صلاح الدين حافظ «إشكالية الصحافة والسلطة فى الوطن العربى» مجلة الدراسات الإسلامية، العدد (٤٣) ابريل - يونيو١٩٨٦ ،ص٣-٧.

- حسن عماد مكاوى، أخلاقيات العمل الإعلامى (القاهرة: الدار المصرية

اللبنانية، ١٩٩٤)ص١٦٩-١٧٢ .

- منبرك، ناصر، «قيم الأخبار فى مقابل الأيديولوجية: منظورمن العالم الثالث» فى ل جون مارتن وأنجلو جروفر شودرى، نظم الإعلام المقارنة، ترجمة على درويش (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩١) ص٧٥-٨٨ .

- بسيونى حماده، «العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين فى الوطن العربى» مجلة عالم الفكر، العدد الأول والثانى (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، يوليو- ديسمبر١٩٩٤) ص١٩٣ .

(٩٣) انظر :

Milton Hollstein and Lorry Kurtz, Editing zith Understanding: Atext book and Workbook, (London: Collier Macmillan Publishers,1981),p.81.

(٩٤) صابر حارص، تأثير الصحافة المصرية على الرأى العام المحلى : دراسة ميدانية على محافظة سوهاج، رسالة ماجستير غير منشورة(سوهاج : كلية الآداب، ١٩٨٩)ص٣٧٠-٣٧١ .

(٩٥) محمد حسنين هيكل، «وجها لوجه» مجلة العربى ، العدد ٣٢٦ (الكويت : وزارة الإعلام، ١٩٦٨)ص١٨.

(٩٦) انظـــــــر أمــــــثلة فى : ٧-٨/١٩٨٥- ١٤-١٨/١٠/١٩٨٦ -

٢٦-٢٩/١٠/١٩٨٨ .

(٩٧) انظر أمثلة في : ٩/٧/١٩٨٥ - ٣٠-٣١/١٠/١٩٨٨- ٥-٥/١٢/٨٩-١٠-١١/٢/١٩٨٦ - ٢٦-٢٧/٤/١٩٨٨ - ١٦/١٩/٣/١٩٨٧ .

(٩٨) انظر أمثلة في : ٥-٦/٧/١٩٨٥ - ١١/٧/١٩٨٥ - ١٣/١٠/١٩٨٦ - ٢٥/٤/١٩٨٨ - ٢٠-٢٣/٩/١٩٨٧ - ٣-٤/١٢/١٩٨٩ - ٢٩-٣٠/٨/١٩٨٩ .

(٩٩) انظر أمثلة في : ١٠/٧/١٩٨٥-٢٤/٩/١٩٨٧ - ٨/١٢/١٩٨٩ - ٥-٦/١/١٩٨٥ .

(١٠٠) انظر أمثلة في : ١٩/٩/١٩٨٧ - ١/١/١٩٨٥ .

(١٠١) انظر :

- فاروق أبو زيد ، مدخل إلى علم الصحافة، مرجع سابق، ص٧٨-٨١.

- إجلال خليفة، الصحافة : مقروءة، مرئية، مسجدية، تجارية، إدارية، (القاهرة: دار الطباعة الحديثة،١٩٧٦)ص٧ .

- عبد اللطيف حمزة ، مرجع سابق،ص١١٢ .١١٨ .

(١٠٢) انظر :

George Beveridge "Talking Back to Columnists", The Masthead, Vol.29,No.2, Summer 1979,p.20.

(١٠٣) انظر: فاروق أبو زيد مرجع سابق، ص٨١-٨٤ .

- Wilber Schram, Men, Messages, and Medis : Alook at Human Communication (New york: Harper and Rwa, 1973) p.p 246-249 ..

(١٠٤) أنظر أمـــــثلة فى : ٩-١٠/٧/١٩٨٥ - ٢١-٢٥/٩/١٩٨٧ - ٣-٨/١٢/١٩٨٩ - ٢٦-٢٨/٤/١٩٨٨ - ١٢/١٢/١٩٨٦ - ١٨-١٩/٣/١٩٨٧ .

(١٠٥) انـظـر أمـــــــــثلــة فـى : ٥/٧/١٩٨٥ - ٨/٧/١٩٨٥ - ١٦-١٧/١٠/١٩٨٦ -٥-٦/١/١٩٨٥ - ٢٠-٢١/٣/١٩٨٧ - ٩/٢/١٩٨٦ - ١٤/٢/١٩٨٦ .

(١٠٦) انظر أملة فى : ٦/٧/١٩٨٥ - ١٤-١٥/١٠/٨٦ - ٣٠/٨/١٩٨٦.

(١٠٧) انظر أمثلة فى : ٢/١٢/١٩٨٩ - ١٧/٣/١٩٨٧.

(١٠٨) انـظـر أمـــــــثلـة فـى : ٢٥/٤/١٩٨٨ - ١٣/١٠/١٩٨٦ - ١٩-٢٠/٩/٨٧.

(١٠٩) انظر : مختار التهامى «الرأى العام والحرب النفسية (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٢)ص٢٢ .

(١١٠) انظر : عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص١٩١.

- محمود فهمى، فن تحرير الصحف، مرجع سابق، ص٢٠٥.

(١١١) انظر : - فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية مرجع سابق،ص١٩٣.

(١١٢) انظر: محيى الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية،

ط٢(القاهرة: مكتبة الخانجى،١٩٨٤)ص١١٨.

(١١٣) انظر: عواطف عبد الرحمن، دراسات فى الصحافة المصرية المعاصرة (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٥)ص٣٢٦ .

(١١٤) انظر: أحمد سويلم العمرى، الرأى العام والدعاية (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥)ص٤٣ .

- أحمد محمد أبو زيد، الرأى العام ورسالته الديمقراطية (القاهرة: عالم الكتب ، ١٩٦٨)ص٦٠.

(١١٥) انظر : فاروق أبو زيد ، فن الكتابة الصحفية، مرجع سابق، ص١٩٦-١٩٨.

(١١٦) انظر أمثلة فى : ٧-١٩٨٥/٩ - ١٩-١٩٨٧/٩/٢٣ .

(١١٧) انظر أمثلة فى : ١٩٨٦/١٠/١٧= ١٩٨٨/٤/٢٣.

(١١٨) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/١٠ - ٥-١٩٨٩/١٢/٦.

(١١٩) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/١/٢ - ١٩٨٦/٢/٨ - ١٩٨٨/٤/٢٢ .

(١٢٠) انظر أمثلة فى : ١٩٨٦/١٠/١٤.

(١٢١) انظر أمـــثلة فى : ١٩-١٩٨٧/٩/٢٥ - ٢٩-١٩٨٨/١٠/٣١ - ١٦-١٩٨٦/١٠/١٧ -٦-١٩٨٥/٧/٧.

(١٢٢) انظر أمـــثلة فى : ٨-١٩٨٥/٧/٩ - ١٤-١٩٨٦/١٠/١٥ - ٢-١٩٨٩/١٢/٤ .

(١٢٣) انظر أمــثلة فى : ١٩٨٥/٧/٥ – ١٩٨٩/١٢/٧ – ١٩٨٥/١/٥ – ١٩٨٦/٢/٩ – ١٩٨٨/٤/٢٨ .

(١٢٤) انظر أمثلة فى : ١٩٨٨/١٠/٢٨ – ٨٨/٤/٢٤ – ١٩٨٨/٤/٢٦.

(١٢٥) انظر أمثلة فى : ١٩٨٨/١١/١ .

(١٢٦) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/١/٧.

(١٢٧) انظر أمثلة فى : ١٩٨٩/١٢/٦ لأداة التحين، ١٩٨٥/١/٦ للتركيز على العواطف .

(١٢٨) انظر:

– عدنان أبو فخر، فعالية النص الصحفى (القاهرة: دار الجيل،١٩٨٢ ص٨١.

– مختار التهامى، الرأى العام والحرب النفسية، ص١٠٩–١١٢.

– ابراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير ط٢(القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية،١٩٧٥)ص١٩٧ . ١٨٤ .

(١٢٩) انظر :

Harry Stonecipher, Editorial and persuasive Writing (New york: Hastings House Publishers, 1979)p.p.15,137.

(١٣٠) انظر تفصيلا لأعلى مستوى من التزييف والخداع فى معالجة

الصحافة المصرية لأزمة الخليج الثانية فى :

عواطف عبد الرحمن ، «تجليات التبعية الإعلامية فى حرب الخليج» مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٦٦، مارس ١٩٩٢،ص٤٧-٦٧ .

(١٣١) انظر على سبيل المثال لا الحصر :

تقرير المجلس الأعلى للصحافة عن الممارسة الصحفية فى الصحافة المصرية خلال شهور نوفمبر وديسمبر ويناير ٨٥-١٩٨٦، ص١١، ١٣، ٢٥.

(١٣٢) انظر بالتفصيل :

أحمد بهاء الدين، محاوراتى مع الساداتط٢ (القاهرة: دار الهلال،١٩٨٧)ص٩ .

(١٣٣) انظر :

– البرت ل. هستر و واى لان ح. تو ، دليل الصحفى فى العالم الثالث، ترجمة كمال عبد الرؤوف (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع،١٩٨٨) ص١٦-١٧ .

(١٣٤) انظر :

– رمزى ميخائيل جيد، أزمة الديمقراطية ومأزق الصحافة القومية (القاهرة: مكتبة مدبولى،١٩٨٦)ص١٥ .

– عبد الفتاح عبد النبى، الأداء المهنى للعاملين بالصحف المصرية، مجلة اليقظة العربية، العدد الثامن، أغسطس١٩٦٠، ص١١٠-١١٣.

(١٣٥) انظر:

- محمود عبد الفضيل، تأملات فى المسألة الاقتصادية المصرية (القاهرة: دار المستقبل العربى، ١٩٨٣)ص٦٠-٦٨ .

- محمد حسنين هيكل، خريف الغضب(بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،١٩٨٣)ص٣٩٨-٤٠٩.

- عبد الله إمام، قضية عصمت السادات: محاكمة عصر (القاهرة: روز اليوسف،١٩٨٣)ص١٥٠-١٧٠.

(١٣٦) يستثنى من الصحف المصرية صحيفة الشعب ومن كتاب العمود أحمد بهجت: انظر فى ذلك :

- أنور الجندى، الصحوة الإسلامية: منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله (القاهرة: دار الاعتصام ب.ت)ص٢٣٠-٢٣٢.

(١٣٧) أنظر أمثلة للغة الصحفية الخالصة فى التواريخ التالية :

٥-١٩٨٥/٧/١١- ١٥-١٩٨٦/١٠/١٨ - ٢٢-١٩٨٧/٩/٢٥ - ٢-١٩٨٩/١٢/٨.

(١٣٨) انظر أمثلة للغة التى يغلب عليها الطابع الصحفى فى:

١٩٨٦/١٠/١٣ - ١٩٨٧/٩/١٩ - ١٩٨٨/١٠/٢٦ - ١٩٨٨/٤/٢٥.

(١٣٩) انظر أمثلة للغة التى يغلب عليها الطابع الأدبى فى :

١٩٨٦/١٠/١٤ - ١٩٨٧/٩/٢٠ .

(١٤٠) انظر:

فاروق خورشيد، بين الأدب والصحافة(بيروت : داراقرأ،١٩٨٠) ص٩٨-١٠٦.

- محمد سيد محمد، الصحافة بين التاريخ والأدب (القاهرة : دار الفكر العربى،١٩٨٥)ص٥٢-٥٤ .

(١٤١) انظر:

- عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعايةط٢(القاهرة: دار الفكر العربى ١٩٨٤)ص٩١-٩٢.

- عبد العزيز شرف، التفسير الإعلامى للأدب، سلسلة كتابك رقم ١٧١(القاهرة: دار المعارف،١٩٨٤)ص٣-٤٢ .

(١٤٢) انظر:

فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، مرجع سابق،ص١٩٥.

(١٤٣) انظر أمثلة لمستوى الفصحى المعاصرة فى كل أعمدة أحمد بهاء الدين الخاضعة للدراسة باستثناء ١٩٨٧/٣/١٧ الذى ورد فيه بعض الجمل العامية.

(١٤٤) انظر: السعيد بدوى، مستويات العربية المعاصرة فى مصر (القاهرة: دار المعارف،١٩٧٣)ص٨٩.

(١٤٥) انظر: محيى الدين عبد الحليم وحسن الفقى، العربية فى الإعلام : الأصول والقواعد والأخطاء الشائعة (القاهرة: مطابع دار

الشعب،١٩٨٨)ص٣٦-٣٧ .

(١٤٦) انظر: على عبد الواحد وافى، فقه اللغة،ط٥ (القاهرة : لجنة البيان العربى، ١٩٦٢)ص١٧٤.

(١٤٧) فؤاد فواز صحفى بالأخبار وكاتب عمود يومى «رحلة كل يوم» بجريدة الوفد، مقابله معه بتاريخ ١٩٩٥/٥/٨.

(١٤٨) انظر أمثلة فى : ٢٧-١٩٨٨/١٠/٢٩ - ١٩٨٥/٧/٨ - ١٩٨٦/١٠/١٢ - ١٩٨٧/٩/٢٤ - ١٩٨٩/١٢/٢.

(١٤٩) انظر أمثلة فى : ١٩٨٦/١٠/١٦ - ١٩٨٦/١٠/١٨ - ١٩٨٨/١٠/٢٦- ١٩٨٩/١٢/٧.

(١٥٠) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/٥ - ١٩-١٩٨٧/٩/٢١ - ١٩٨٩/١٢/٤.

(١٥١) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/٧ - ١٩٨٧/٩/٢٥.

(١٥٢) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/١/٢ - ١٩٨٦/٢/٨ - ١٩٨٨/٤/٢٢.

(١٥٣) انظر أمثلة فى : ١٩٨٦/١٠/١٤ - ١٩٨٧/٣/١٩ - ١٩٨٥/١/١.

(١٥٤) انظر أمثلة فى : ١٩٨٦/١٠/١٢ - ١٩٨٥/١/٧ لمقدمة الشخصيات، ١٩٨٨/١٠/٣٠ - ١٩٨٩/١٢/٣ لمقدمة التوقع، ١٩٨٥/٧/٥ -١٩٨٦/١٠/١٧ لمقدمة التلخيص.

(١٥٥) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٣/١٨ لمقدمة الدعاء، ١٩٨٩/٩/٤ للمقدمة التاريخية. ١٩٨٩/١٢/٨ لمقدمة الربط.

(١٥٦) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/١٠ - ٥-١٩٨٩/١٢/٦ -

١٩٨٧/٩/٢٣.

(١٥٧) A.Gayle Waldrop, Editor and Editorial Writer, (New York: Rinehart & Company, Inc., N.D) p.451.

(١٥٨) انظر أمثلة في : ٧-٨/١٩٨٥ - ٢٨-٢٩/١٠/١٩٨٨ - ٧-٨/١٢/١٩٨٩ .

(١٥٩) انظر أمثلة في : ١٦/١٠/١٩٨٦ - ٢٧/١٠/١٩٨٨.

(١٦٠) انظر أمثلة في : ٩/٧/١٩٨٥ - ٦/٢/١٩٨٦ - ٢٠/٣/١٩٨٧.

(١٦١)انظر أمثلة في : ٣١/١٠/١٩٨٨ - ١٩/٣/١٩٨٧ - ٢٥/٤/١٩٨٨ لخاتمة الاقتباس، ١٠/٧/١٩٨٥ - ٥/١/١٩٨٥ لخاتمة الرسائل .

(١٦٢) انظر أمثلة في : ٢٥/٩/١٩٨٧ - ٨/٢/١٩٨٦ لخاتمة التساؤل، ١٨/٣/١٩٨٧ - ١/٩/١٩٨٩ لخاتمة التعجب، ٣٠/١٠/١٩٨٨ - ١٠/٢/١٩٨٦ لخاتمة التوقع، ٢٦/١٠/١٩٨٨ - ٣/١/١٩٨٥ للخاتمة الوصفية،

(١٦٣) انظر أمثلة في : ١٤/١٠/١٩٨٦ للخاتمة التأكيدية،١٩/٩/١٩٨٧ للخاتمة الطريفة، ٢/١/١٩٨٥ لخاتمة الدعاء.

(١٦٤) انظر أمثلة في : ٥-٦/٧/١٩٨٥ - ١٢/١٠/١٩٨٦ - ٣-٦/١٢/١٩٨٩.

النتائج

١- لم يكن أحمد بهاء الدين كاتبا منغلق الفكر على مجال واحد، محدود الاهتمامات والوظائف، قاصر الرؤية والمصادر، بل كان كاتبا شموليا ، في الرؤى والمصادر، متنوع الاهتمامات والوظائف، فلم يقتصر «أحمد بهاء الدين» على الاهتمام بمجال واحد من المجالات المعرفية، بل اهتم بالسياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأدب والفن والدين والعلم وغيرها، وفي إطار هذه المجالات تنوعت اهتماماته من القضايا والمشكلات إلى نقد المجتمع، ومتابعة الأحداث الجارية وتسجيل موقفه منها، إلى الاهتمام بالتاريخ والشخصيات العامة في مختلف المجالات من زعماء وقادة ومسئولين ونجوم، إلى الاهتمام بالأنشطة وخدمات القراء وعروض الإنتاج العلمي والمعرفي والكتابات التأملية والذاتية والتكهنية وكذلك أعمدة المناسبات وغيرها.. كما تنوعت الوظائف والمهام التي قدمها «أحمد بهاء الدين» من خلال عموده من وظيفة التوجيه المباشر والتوجيه غير المباشر كالتفسير والتوضيح إلى وظائف التثقيف والترفيه وتقديم النصائح والخدمات التي تيسر سبل الحياة للقراء، فضلا عن ذلك فقد تعددت المصادر التي استقى منها أحمد بهاء الدين أفكاره من الواقع والأعلام ورسائل القراء والوثائق إلى المسئولين والمتخصصين والتاريخ والمصادر الذاتية، كما

تعددت الجماهير التى دافع أحمد بهاء الدين عن مصالحها من الجمهور العام إلى الجمهور النوعى وخاصة جمهور المثقفين والموظفين ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة فى المجتمع .

٢- وعلى الرغم من تنوع وتعدد اهتمامات ومصادر ووظائف وجماهير، أحمد بهاء الدين إلا أنه لم يكن عشوائيا فى هذا التنوع والتعدد، بل اتسم بمبدأ ترتيب الأولويات وفق أولويات المجتمع واحتياجاته، فعلى مستوى الموضوعات أعطى أحمد بهاء الدين أولوية للموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على بقية الموضوعات الأخرى الأدبية والفنية والعلمية وغيرها، وعلى مستوى أنواع الأعمدة أعطى أحمد بهاء الدين أولوية لأعمدة القضايا والمشكلات والنقد والأحداث الجارية على بقية أنواع الأعمدة الأخرى وعلى مستوى الوظائف اهتم «أحمد بهاء الدين» بوظائف التوجيه المباشر وغير المباشر أكثر من اهتمامه بالوظائف الأخرى، وعلى مستوى الجماهير فقد ركز على المصالح التى تمس الجمهور العام أكثر من تركيزه على مصالح الجمهور النوعى، وعلى مستوى المصادر فقد لجأ أحمد بهاء الدين إلى الواقع وما تنقله وسائل الإعلام وما يصل إليه من رسائل القراء وما تتوافر لديه من وثائق أكثر من بقية المصادر الأخرى.

٣- وفى إطار هذا التنوع مع ترتيب الأولويات يأتى أحمد

بهاء الدين ككاتب قومى عربى أولا، إقليمى ثانيا، محلى ثالثا، عالمى رابعا، فهو ينتقل فى اهتماماته من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء ويعكس هذا قناعته بأهمية التفاعل مع المتغيرات القومية والإقليمية لخدمة القضايا القومية والمحلية ومواجهة التحديات العالمية ولذلك فإن الفكرة المحورية التى تسيطر على الاهتمام السياسى لأحمد بهاء الدين هى الصراع العربى الإسرائيلى وخاصة القضية الفلسطينية والفلسطينيين والسياسة الخارجية الأمريكية نحو هذا الصراع ونحو الأوضاع فى الشرق الأوسط بصفة عامة وكذلك سبل المواجهة العربية لهذه السياسات وكيفية الاستفادة من العلاقات الافريقية وحركة عدم الانحياز، ولذلك فإن أحمد بهاء الدين لايتناول السياسة الدولية مجردة عن انعكاساتها على القضايا القومية العربية ، بل يصل به الأمر إلى أن يربط ذلك بقضايا الديمقراطية والعنف والانتخابات على المستوى المحلى، وهذا الشمولية فى المعالجة الصحفية تعكس إحدى سمات المصداقية التى يتسم بها أحمد بهاء الدين فى كتاباته السياسية .

٤- وكما سيطر المنظور القومى على أحمد بهاء الدين فى معالجة القضايا والمشكلات التى تواجه مصر والمجتمع العربى ، فقد سيطر المنظور السياسى على معالجته للقضايا والموضوعات فى المجالات الأخرى، فعلى المستوى الدينى لم

يهتم أحمد بهاء بالدين كعبادات وأحكام، بل ركز على علاقة الدين بالحياة وبالسياسة واستقرار المجتمع وأمنه، فأبرز وصاية كل من الإسلام والمسيحية بالوحدة الوطنية ونبذ الفتنة الطائفية.. وعلى المستوى الثقافى اهتم أحمد بهاء الدين بالهوية المصرية من خلال قضايا الأصالة والمعاصرة وإحياء ذكرى الشخصيات الأدبية والفكرية التى كانت اهتماماتها السياسية بارزة فى التاريخ المصرى الحديث مثل صلاح جاهين وتوفيق الحكيم.. وعلى المستوى الاقتصادى ركز أحمد بهاء الدين على انتقاد كل ما يتعارض مع الإصلاح الاقتصادى باعتباره ضرورة للاستقلال السياسي فركز على سلبيات التخطيط والإدارة والقوانين والتشريعات الاقتصادية التى تضعها الحكومة وفى إطار ذلك اهتم أحمد بهاء الدين بالفلسطينيين المقيمين فى مصر فطالب باستثنائهم من منع تملك أراض زراعية بأثر رجعى.. وعلى المستوى الاجتماعى ركز أحمد بهاء الدين على السياسات التعليمية وسياسات الحكومة فى النقل والمواصلات والتليفونات والنظافة وقطاع الموظفين ومشاكله كما انتقد التسهيلات التي تقدمها الحكومة فى تعاملها مع المجرمين الأجانب لظروف سياسية معينة.. وعلى المستوى الفنى لم يهتم أحمد بهاء الدين بالجانب الترفيهى المسلى، بل ركز على علاقة الفن بالدين وعلاقة الفن بالسياسة وما تعكسه هذه العلاقة من

خلاف فكرى ومواجهات مسلحة بين جماعات العنف الدينى وبعض أفراد وجماعات ومؤسسات المجتمع .

٥- أبرز ما يميز أحمد بهاء الدين هو اتصال فكره بالواقع وإدراكه لما يحدث فيه بوعى وما يحتاج إليه من تغيير وقد وضح ذلك من نوعية الموضوعات ونوعية المصادر ونوعية الأعمدة التى ركز عليها وأعطاها أولوية على حساب الأخرى كما ورد ذلك فى النتيجة الثانية .

٦- ارتفاع مصداقية ما يكتبه أحمد بهاء الدين وقد وضح ذلك من خلال نوعية الأساليب التى استخدمها فى التدليل على صحة ما يقوله ، حيث اعتمد على تقديم الوقائع واستخدام المنطق وعرض وجهتى النظر وذكر الأرقام فى حين ابتعد تماما عن المبالغة والتعميم ولم يقع فى التحيز وإثارة العواطف والانفعالات مرة واحدة خلال عينة الدراسة .

٧- لم يقتصر أحمد بهاء الدين فى كتابة عموده على طريقة الهرم المعتدل التى تبدأ بذكر التفاصيل وتنتهى بالنتيجة، بل استخدم طرق أخرى من أبرزها طريقة الهرم المقلوب التى تبدأ بالحكم أو النتيجة ثم ذكر التفاصيل أو الشواهد الدالة على ذلك، وكذلك الطريقة التى تقوم على ذكر سؤال فى مقدمة العمود ثم الإجابة عليه .

٨- يستخدم أحمد بهاء الدين فى التعبير عن أفكاره لغة صحفية خالصة تكاد تخلو من المفردات الأدبية ومفردات العامية وهو ما يتناسب مع جماهير لقراء الصحف وجمهور العمود بشكل خاص.

٩- لم يتقيد أحمد بهاء الدين بنوع معين من المقدمات أو النهايات فى كتابة عموده الصحفى ولكنه كان يفضل أن يبدأ عموده بحدث أو خبر، ثم يقوم بالتحليل والتعليق على هذا الخبر ، أو يبدأ بذكر قضية أو مشكلة ثم يناقشها ويتوصل فيها إلى رأى وتوجيه للقراء، كما استخدم بقلة أنواع عديدة من المقدمات كالمقدمة الذاتية، الاقتباسية، الوصفية، مقدمة الدعاء، الربط، التوقع، السؤال، التلخيصية، كما أن أحمد بهاء الدين لم يتقيد بنوع واحد من النهايات ولكنه كان يفضل أن ينهى عموده بالخاتمة التلخيصية التى يقدم فيها خلاصة ما توصل إليه فى الموضوع الذى تناوله وكذلك الخاتمة الاستحثاثية التى يستحث فيها القارىء لاتخاذ موقف ما أو قرار بشأن موضوع العمود، وكذلك الخاتمة الناصحة التى يقوم فيها بتوجيه القارىء ونصحه وحل مشكلاته والإجابة على استفهاماته، كما استخدم بقلة أيضا أنواع أخرى كالخاتمة الاقتباسية، خاتمة الرسائل، التساؤلات، التعجب، التوقع، الدعاء، الخاتمة الوصفية، التأكيدية، الطريفة.

١٠- يميل أحمد بهاء الدين فى كثير من الأحيان إلى الاستغناء عن المقدمة أو الخاتمة فى كتابة عموده لدرجة أن هذه السمة احتلت المرتبة الثانية عند أحمد بهاء الدين، حيث بلغت نسبة الأعمدة التى بدون مقدمة (١٧.١٪) والأعمدة التى بدون خاتمة (٢٥.٧٪) وهو بذلك يفضل فى مرات كثيرة حسب طبيعة المضمون الدخول فى الموضوع مباشرة أو يبدأ عموده من حيث ما يريد أن ينتهى به فلا يحتاج الأمر إلى الخاتمة.

١١- أحمد بهاء الدين كاتب سياسى اجتماعى قومى متصل بالواقع العربى أولا ويعمل دائما على تغييره من خلال الإلتزام بمستوى عال من الصدق فى الكتابة والدفاع عن مصالح الأغلبية، ويستخدم فى التعبير عن ذلك طرق كتابه، ومستوى وسمات لغة، وبدايات ونهايات تتلاءم جميعها مع جمهور الصحافة وجمهور العمود بشكل خاص.

ملحق رقم(١)

اسم العمود/ يوميات

التاريخ	الموضوعات	مصادر الأفكار	أنواع الأعمدة	الوظائف	الجمهور
	١- سياسي ٢- اقتصادي ٣- اجتماعي ٤- ثقافي ٥- فني ٦- رياضي ٧- علمي ٨- ديني ٩- عسكري ١٠- أكثر من مجال ١١- أخرى	١- الذاتي ٢- المسئول الحكومي ٣- المسئول الحزبي ٤-المتخصص ٥- المسئول المتخصص ٦- الشخص العادي ٧- رسائل القراء ٨- الواقع ٩- المصادر الإعلامية ١٠- التاريخ ١١-المناسبات ١٢- الوثائق ١٣-المؤلفات ١٤- الدين ١٥-المأثورات ١٦- مجهول المصدر ١٧- أكثر من مصادر ١٨- أخرى	١- الفلسفي التأملي ٢- الإنساني ٣- الفكاهي ٤- النقدي ٥- النقدي الساخر ٦- العروض ٧- التكهني ٨- التاريخي ٩- الذاتي ١٠- الخدمي الناصح ١١- الشخصيات ١٢- الأحداث الجارية ١٣- القضايا والمشكلات ١٤- المناسبات ١٥- الأنشطة ١٦- أكثر من نوع ١٧- أخرى	١- التفسير ٢- التوجيه ٣- الخدمات ٤- الإعلام والتثقيف ٥- الترفيه ٦- أخرى	١- الجمهور العام ٢- الجمهور النوعي ١/٢ المسئولون ٢/٢ غير المسئولين ١/٢/٢المثقفون ٣/٢/٢ العمال والفلاحون ٤/٢/٢ أكثر من جمهور ٥/٢/٢ أخرى ٣- غير محدد الجمهور

اسم الكاتب / أحمد بهاء الدين

القوالب الفنية	اساليب الاقناع	سمات اللغة	مستويات اللغة	المقدمات	النهايات
١- الهرم المعتدل ٢- الهرم المقلوب ٣- الترتيب الزمني ٤- الترتيب المكاني ٥- من السؤال إلي الجواب ٦- الحوار ٧- الفقرات ٨- وسائل القراء ٩- أخري	١- الاسلوب العلمي ١/١ الارقام ٢/١ الوقائع ٣/١ النصوص الدينية ٤/١ التسلسل المنطقي ٥/١ عرض وجهتي النظر ٦/١ أكثر من أداة ٧/١ أخري ٢- الاسلوب غير العلمي ١/٢ التحيز ٢/٢ التعميم والمبالغة ٣/٢ الخرافات ٤/٢ التركيز علي العواطف ٥/٢ أكثر من أداة ٦/٢ أخري ٣- الاسلوبان معا (العلمي وغير العلمي)	١- صحفية خالصة ٢- يغلب عليها الطابع الأدبي أكثر ٣- يغلب عليها الطابع الصحفي أكثر	١- الفصحي المعاصرة ٢- يغلب عليها طابع العامية أكثر ٣- يغلب عليها طابع الفصحي أكثر	١- القضية أو المشكلة ٢- الاقتباس ٣- اللهجة ٤- الدعاء ٥- الذاتية ٦- المقارنة ٧- السؤال ٨- الرسائل ٩- الساخرة الهجومية ١٠- الساخرة ١١- المثيرة للعجب ١٢-الشخصيات ١٣-التاريخية ١٤- الوصفية ١٥- الربط ١٦- التوقع ١٧- القصصية ١٨- التلخيصية ١٩- الاستعطافية ٢٠- بدون مقدمة ٢١- أخري	١- التلخيصية ٢- التأكيدية ٣- الاستعطافية ٤- الاقتباسية ٥- الوعظية ٦- الناصحة ٧- الطريفة ٨- التساؤلات ٩- الرسائل ١٠- التعجب ١١- الدعاء ١٢- الدينية ١٣- التوقع ١٤- الوصفية ١٥- الساخرة الهجومية ١٦- التاريخية ١٧- الساخرة ١٨- بدون خاتمة ١٩- أخري

أحمد بهاء الدين مفكرًا

د.عبد الله هديه

فى الليلة الظلماء يفتقد البدر، عندما تدلهم الأمور ويختلط الحابل بالنابل ويكثر الأشقياء ويندر الفضلاء، وتمتلىء الساحة بالمهرجين والطبالين وتختفى الآراء الموضوعية التى تبتغى صالح الله والوطن والناس وتزكم الأنوف معانٍ وكلمات تقف وراءها أموال ومصالح وافدة من خارج حدود مصر المحروسة ، ينيخ الظلام بكلكله على صدور وعقول أبناء غررة، يصنع منهم المهووسين والقتلة والمأفونين.. ويضيع الوطن فى الزحام.. فى هذا الجو الصاخب نكون أحوج ما نكون إلى مجموعة الشرفاء الذين يبددون سواد الليل الحالك ويغرسون زهور الحقيقة فى تربة الوطن والناس بعيدا عن أية فلوس من خارج الحدود، نكون أحوج ما نكون إلى أمثال أحمد بهاء الدين الذى أغنى الحياة الفكرية المصرية على مدى ثلاثين عاما وناضل ضد الأراجيف وكل آراء الإفك والباطل، أحوج ما نكون إلى أحمد بهاء الدين ،

الكاتب الموضوعى العاقل ، المهموم بقضايا أمن وطنه وشعبه، لم يبع قلمه فى سوق النخاسة والنخاسين وإنما وظّفه على مدى هذه السنوات لخدمة أشرف القضايا وأنبلها: تقدم وطنه ورفع مستوى شعبه على جميع الأصعدة واستعادة فلسطين حرة وكريمة، ووحدة عربية دون قهر أو إكراه ذات مضامين اجتماعية واقتصادية عادلة.

إن أهم شيء يبرز فى جل كتابات «أحمد بهاء» الرأى العاقل الموضوعى، يحس معه أنه يهدف إلى مصلحة الوطن والشعب، يحس معه أنه لايكتب لصالح رأس مال خارجى أو داخلى وإنما يعبر عن قضايا وآمال الملايين من بسطاء الناس فى مصر والوطن العربى.. أحمد بهاء الدين يقلب لك المسألة على جميع الوجوه بأسلوب سهل وشيق ينفذ إلى عقول الناس وقلوبها ثم بعد ذلك يبسط لك الرأى الأقرب إلى الصحة الذى يتفق مع مصالح الأغلبية أصحاب المصلحة الحقيقية فى هذا الوطن وترابه .. إن أحمد بهاء الدين لايعد كاتبا عاديا وإنما جاءت هذه الآراء الموضوعية ثمرة سهر طويل على كتب الثقافة والفن.. إنه كاتب (تعب على نفسه) كما يقولون، لم يكتف بليسانس الحقوق ودراساته القانونية، وإنما قرأ الكثير والكثير وتعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية إلى حد الإتقان، وقرأ بهما كثيرا، الأمر الذى عكس نفسه على عقله وعلى آرائه وأفكاره المستنيرة

الموضوعية الزاهرة التي تحل فى النفوس والعقول مباشرة لقد بدأ أحمد بهاء رحلة صحفية شاقة، عمل فى معظم الدور الصحفية المصرية: دار الأخبار ودار الهلال ودار الأهرام.. وكل جريدة أو مجلة عمل بها، قفز بعدد من المشترين لها إلى أرقام كبيرة، حيث ارتبط به الكثير من قراء الوطن العربى رجالا ونساءا عبر مقالاته وآرائه النيرة.. إن الكثير والكثير من قراء الأهرام اليومى، كان أول ما يقع عليه بصرهم فى الأهرام هو عمود أحمد بهاء الدين اليومى ، وأنا لا ألقى الكلام على عواهنه وإنما هذا مؤكد من خلال العديد من الدراسات الأكاديمية والعلمية التى تقدم بها الباحثون لنيل شهادات أكاديمية فى كلية الإعلام وأقسام الصحافة المصرية والعربية.. لقد تواكب لمعان أحمد بهاء الدين فى الصحافة المصرية والعربية مع لمعان كاتب آخر له قيمته ووزنه فى الصحافة العربية وتربع على دست الأهرام عددا طويلا من السنين خلق فيها المبنى والجريدة، ويملك حرفية عالية فى الصياغة والسرد ألا وهو الأستاذ محمد حسنين هيكل.. واتسعت الساحة للإثنين لم يغط أحدهما على الآخر، كل منهما كان له مذاقه وطعمه الخاص، وبالرغم من أن هذه الفترة شهدت صحافيين بارعين وكتابا مرموقين إلا أن محمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين كانا فى مقدمة الصفوف.. تميز الأول باستناده إلى مصدر هام تفوق فى

الأخبار والمعلومات الجديدة التى لايعرفها القارىء وتتميز مقالاته الأسبوعية فى الأهرام بصياغة جذابة شديدة الحبكة والمهارة، وتميز أحمد بهاء بتحليل المعلومات المتاحة له بقدر كبير من الموضوعية والعمق، تظهر ثقافته العريضة الموظفة فى خدمة الناس والوطن جليًا فى هذه الكتابات وهذه التحليلات.. يسوق إليك أفكاره دون صخب ودون جلبة وتنفذ إلى عقلك وجسمك عبر استنشاقك لها كنسمات النسيم العليل وقطرات المطر الندية التى تبلل فؤادك وجسدك.. أحمد بهاء كاتب يحترم قارئه لايحاول أن يخدعه ويقدم له الزيف المغموس فى قطرات العسل كما يفعل البعض لم ينافق حاكما ولم يزمر أو يطبل لسلطة، وإنما كان همه أن يسوق الآراء التى تخدم المواطن البسيط فى الأساس وتخدم السلطة إذا كانت تتبنى هى قضايا هذا المواطن وتعمل من أجله ومن أجل وطنه.. فعلى الصعيد الداخلى خاض أحمد بهاء معارك شرسة ضد قوى الظلام المتسربلة بعباءة الدين وتحاول أن ترتد بنا إلى عصور سحيقة من التأخر والتخلف عبر سوء النية فى تفسير النصوص الدينية وأدرك أحمد بهاء من زمن أن هذا التيار الظلامى يرتبط بالخارج وليس نابعا من الأرض المصرية وأنه يركز على مفاتيح التقدم فى هذا البلد يحاول ضربها وهدمها.. ومن هذه المفاتيح كانت قضية المرأة، حيث اشتبك «أحمد بهاء فى بداية الستينات

مع بعض رموز هذا التيار الذى نظر إلى القضية من خلال اختزال المرأة - هذا المخلوق البشرى شقائق الرجال «الذى يلد ويربى ويعلم ويعمل - فى جسدها الذى اعتبروه عورة ولهذا يتعين على المرأة فى رأى هؤلاء أن تقبع فى ركن لاتبارحه وتنسحب نهائيا من الحياة وعليها أن تنتظر فقط فى هذا الركن «السيد» الذى يجيء بعد أن يفرغ من أعماله، يستمتع بها، ثم تنتظر الولادة ثم تنتظر بعدذلك الموت وهكذا تنتظر فى الدنيا ثلاثة أشياء

١- لحظة الاستمتاع بها -٢- لحظة الولادة -٣- لحظة الموت.

دافع «أحمد بهاء» عن شخصية المرأة وعقلها وشرفها وعملها ودورها الحيوى والأساسى فى الحياة جنبا إلى جنب مع الرجل، ودورها فى خطط التنمية وتربية النشء.. هاجم سوء النية لهذه التيارات المتمسحة بالدين إزاء المرأة وهاجم تفسيرهم الجنسى للتاريخ ولكل ما يحدث من ظواهر فى العالم.

ناصر قضايا البسطاء فى هذا الوطن باعتبارهم الأغلبية الساحقة وعندما يرتقون يرتقى الوطن.د افع عن حقهم فى السكن اللائق الصحى وعن حقهم فى المأكل الكريم المفيد، وعن الملبس الجميل الذى يتناسب معهم فى الصيف والشتاء ، عن حقهم فى الحياة وفى قضاء أوقات فراغ مفيدة فى الرياضة

والتسلية واللهو كما دافع عن حقهم فى التعليم والعمل فى الحياة الكريمة والاستمتاع بعائد عملهم.. إن ثقافته الواسعة وإجادته للانجليزية والفرنسية مكنته من أن يطلع على ثقافات متعددة، شكلت له فى النهاية عقلية مستنيرة تزن الأمور بميزان من ذهب، ونظرا لأن أحمد بهاء « إنسان ملتزم بوطنه وبربه.. استخدم هذه الثقافة فى الدفاع عن قضايا الأغلبية البائسة المحرومة التى تشكل الجزء الأكبر من الشعب العربى.. وهذا ما دفع البعض أن يسمه بالاشتراكية وإذا كانت هذه الأوصاف والتسميات نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر وفقا لدرجة تطوره الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ووعى شعبه، فإن أحمد بهاء بالنسبة للمجتمع الفرنسى مثلا يقع فى صفوف الليبراليين المستنيرين.. ولكن فى المجتمع المصرى الذى يرتع فيه الفكر المحافظ بل والفكر المغالى فى العودة إلى الماضى، يكون من السهولة أن يلصق البعض بأحمد بهاء صفات ونعوت مثل الشيوعية والاشتراكية وبالرغم من هذا ألحت عليه الكويت أن يتسلم مقاليد مجلة العربى ، وإذا كانت مجلة العربى ولدت عملاقة على يد عالم مصرى فاضل هو الدكتور «أحمد زكى» فإن النخبة الحاكمة الكويتية وهى تتميز بقدر من التفتح والاستنارة، لم تجد سوى أحمد بهاء بالرغم من كل أوصاف الاشتراكية والشيوعية التى كانت تلصق به.. ليكمل مسيرة مجلة العربى

ويحافظ على مستواها المرتفع.. وقد كان، حيث استطاع أحمد بهاء بتقلده رئاسة تحرير مجلة العربى أن يدفع بها إلى الأمام ويحافظ على المستوى المرتفع الذى بلغته هذه المجلة ويتقدم به فى درجات الرقى حتى صارت المجلة الشهرية الأولى لدى القارئ العربى فى جميع أقطار هذا الوطن.. وكان الكثير من القراء ينتظرون بفارغ الصبر هذه المجلة حتى يقرأوا المقال الشهرى لأحمد بهاء الذى كان يكشف الكثير عما يستغلق أمام المواطن من أحداث ويستعصى على فهمه ويأتى مقال أحمد بهاء بأسلوب سهل وأنيق يفسر له ما استعصى وما صعب على فهمه. ولقد استمر أحمد بهاء.. فى رئاسة تحرير هذه المجلة ما يقرب من خمسة عشر عاما إلى جانب كتاباته التى لم تنقطع من الصحف المصرية واستطاع أن يحفر فى الحياة الثقافية العربية شواهد ومعالم الأفكار الحية المستنيرة ويشرح مفاهيم العدالة والحق والحرية وشرف الإنسان فى أذهان الكثيرين من المواطنين العرب. ولذا فنحن أحوج ما نكون اليوم إلى قلم أحمد بهاء وفكره الحر ليساهم بفاعلية فى تبديد الظلام وينقذ البقية الباقية من الشباب من تلك الأوهام المؤذية المسلطة على عقولهم وسلوكهم تلك الأوهام التى ضللت الكثيرين منهم بشذوذها وانحرافها.. إذا كان أحمد بهاء انفعل بمشاكل وطنه وكرس قلمه لاستنباط الحلول لهذه المشاكل وحث الحكومات على اتخاذ

القرارات التى تقضى على هذه المشاكل فإن أهم مشاكل الشعب التى بدأ أحمد بهاء فيها الكتابة هى القضاء على الفقر والجهل والمرض والقضاء على الفسدة والفساد قبل ثورة ١٩٥٢ وبعدها، ثم المساهمة فى خطط التنمية ورفع مستوى معيشة الناس والتخلص من الثالوث الرهيب الذى ما زلنا حتى اليوم بالرغم من تعاقب الحكومات لم نقض عليه نهائيا، انفعل أحمد بهاء بقضايا عصر الستينات فى التحرر وتخلص شعوب العالم الثالث من نير الاستعمار ودعم حركات التحرير فى كل مكان والدعوة إلى العدالة الاجتماعية والنضال من أجل الوحدة العربية والقومية العربية.. والقضية الكبرى التى أخذت الكثير من قلمه وتفكيره كانت قضية فلسطين.. ففى كتابه «أبعاد فى المواجهة العربية الإسرائيلية» الصادر من المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت١٩٧٢، يتحدث فيه عن عنصر الزمن فى سياسة إسرائيل وأنه كلما طال الزمن ولم نتوصل إلى حلول استفحلت التناقضات فى المجتمعات العربية وبدأت تتاكل من الداخل وتمر فى دوامات لامتناهية من عدم الاستقرار والفوضى، ثم يكشف عن «اللوبى الصهيونى» فى أمريكا وأن زعماء اليهود فى أمريكا أكثر تشددا وتعصبا وبغضا للعرب من زعمائهم داخل إسرائيل وأن هؤلاء الزعماء فى أمريكا لهم نفوذ ضخم داخل المجتمع الأمريكى ولدى صناع القرار بالرغم من أنهم يشكلون ٣٪ من

عدد سكانها وأنهم يدرون تماما أن هذه فرصتهم التاريخية لتحقيق أحلامهم فى دولة يهودية صهيونية فى قلب الوطن العربى، كما يكشف عن أبعاد التعاون العلمى والعسكرى الوثيق بين أمريكا وإسرائيل الذى مكّنها من أن تقيم قاعدة عسكرية علمية متقدمة وتملك الكثير من أجهزة التوجيه والاتصال مركزا على أن يهود أمريكا يعملون دائما على خلق التوافق التام بين أهداف إسرائيل وأهداف السياسة الخارجية الأمريكية فى المنطقة.. ويفصل أحمد بهاء فى هذا الكتاب الكثير من خبايا العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ويبرهن على أنها علاقة خاصة، تشدها المصالح الاستراتيجية فى المنطقة والعمل على منع قيام أية دولة عربية قوية ومتحدة فى المنطقة) كما يبين الكثير والكثير من خبايا السياسة الاسرائيلية وتطبيق «بن جوريون» سياسة الأمر الواقع وبناء الجيش الإسرائيلى والتلويح دائما بأن حدود إسرائيل تقف عندما يقف الجيش الإسرائيلى وأن إسرائيل لم يكن ممكنا أن تترك مصر قبل ١٩٦٧ وفيها كل هذه القوة المكدسة خصوصا أن قواتها ذاهبت إلى خارج مصر إلى اليمن والعراق والجزائر فى بعض الظروف، وأن قوتها فى هذه المنطقة يتعين أن تنكسر كما يعرج فى هذا الكتاب على سيناء ويوضح أنها كانت معبرا وممرا طول تاريخها بين أفريقيا وآسيا، وتهدف

إسرائيل إلى فصل مصر عن الشرق عن طريق المشاركة فى سيناء، وعدم انفراد مصر بها والتحرك فيها بحرية.. ولايمكن أن تواجه مصر هذا الخطر إلا بقيام دولة عصرية فى الإنسان والعادات والتقاليد والأخلاقيات وتنظيم العمل إلى توزيع المسئولية وتحديد الاختصاص، وفى كتابه الاخر «وتحطمت الأسطورة عند الظهيرة يحكى فيه قصة ٦ أكتوبر ١٩٧٣، وهو بهذا العنوان يرد على كتاب وتحطمت الطائرات عند الفجر ذلك الكتاب اللقيط الذى دبجته الدعاية الصهيونية لتخريب النفس العربية وهزيمتها من الداخل ولكن ٦ أكتوبر كان يمكن لنا أن نهزم الهزيمة لا أن نرفضها فقط ونبقى ساكنين.. إن أحمد بهاء الدين أفرد الكثير من كتاباته عن فلسطين وعن إسرائيل ودراستها من الداخل حيث كان العقل العربى يرفض فى البداية على أساس تجاهل ذلك الكيان وإذا قمت بدراسته فهذا نوع من الاعتراف به، ولكن هذا التفكير الساذج لم يأبه به أحمد بهاء مؤكدا أنه لابد أن تعرف خصمك جيدا إذا كنت تريد أن تقهره.. ولذا كتب الكثير عن إسرائيل وعلاقتها بكل دول العالم والمؤسسات الحاكمة فيها وخلفياتها وسياساتها.

إن أحمد بهاء صحفى وكاتب ينير الطريق للناس ويرشد صاحب القرار فى كيفية ما يتعين عمله إزاء مشكلة ما.

إننا نحس بغيابه وتفتقد الساحة الداخلية والعربية رأيه العاقل الموضوعى القائم على دراسة وثقافة عميقة. لندعو الله أن يشفى أحمد بهاء ويعود سالما معافى «إلى قلمه» وإلى الذين أحبوه ويحبونه والذين في شوق إلى عودته مرة أخرى للعب دوره التنويرى الهادىء والمؤثر.

يناضل أيضا من يقعد ينتظر

د. علي الراعي

حين أخذ بصر الشاعر الانجليزى العظيم جون ميلتون يتناقص رويدا رويدا حتي انتهى إلى العمى التام، جعل ذلك الرجل المناضل يتأمل حاله ويأسى لما آل إليه. لم يكن مجرد شاعر فخيم اللفظ جليل الخيال، بل كان أيضا مقاتلا فى صفوف ثورة «كرومويل»، وكان يدعو إلى سيادة حكم الشعب، وحقه فى مساءلة الحكام ملوكا كانوا أم أفرادا كبارا فى السلطة.

جعل هذا المقاتل العظيم هدف حياته أن يبذر بذور الفضيلة وحب الخدمة العامة بين صفوف شعبه، وأن يكفكف من شطحات العقل واندفاعاته، وأن يضبط عواطف البشر على النغمة الصحيحة. كان يريد أن يرفع أناشيد سامية ومجيدة إلى مقام صاحب العرش: الله فى علاه، وأن يظهر للناس قدرته التى وسعت كل شىء.

وقد حقق ميلتون من هذا الشىء الكثير: كتب ملحمته الخالدة:«الفردوس المفقود» وفيها يعلى حق البشر فى مساءلة

الكبار، ومزج بين حسه الأخلاقى الكبير وبين تطلعات النظرة الإنسانية إلى تحرير العقل والروح من ربقة الاستغلال. ودعا إلى إلغاء الرقابة على الأعمال الفنية والذهنية، وتحميل الكاتب - لا الرقيب - تبعة الدفاع عن القيم الجادة، كما دعا إلى تخفيف القيود على الطلاق، وطالب- قبل كل هذا وبعده- بالنظر الثاقب فى أمور الكنيسة، وتحريرها من أثر المفسدين والمتزمتين .

ولما انتهت ثورة كروموبل بالفشل، وعادت الملكية إلى بريطانيا، كتب ميلتون مسرحية عن شمشون تخيل فيها نفسه في شخصية ذلك الأخير الذى لم يقعد به عماه عن تقويض المعبد على رءوس أعدائه، وهتف، علىّ وعلى أعدائى يارب، كان ميلتون- رغم عجزه وفشل ثورته- لايزال يهفو إلى أن يخدم هذه الثورة التى تحطمت، وأن يحرم أعداءها من الأعمدة التى استندت إليها، حتى ولو أدى هذا إلى أن يقتل نفسه .

على أنه فى لحظات أكثر هدوءا، كتب قصيدة عزّى فيها نفسه لعجزها عن العمل والنضال، وختمها بقوله «يناضل أيضا من يقعد ينتظر».!

***

لست أدرى ما الذى ذكرنى بهذا كله وأنا أتهيأ لكتابة تحية لصديقى ورفيق شبابى وزميل فكرى، ومشاركى ميولى فى كثير

من الأحيان: الإنسان العظيم أحمد بهاء الدين، بيننا كثير من نقاط التشابه، برزت فيه هو بوضوح: النظرة الهادئة، الثاقبة الحكم العقلانى غير المندفع، وضوح الرؤية.. الخ.. غير أن بهاء الدين يمتاز عنى فى نقاط أخرى كثيرة، لعل أولها هو أنه كان من رواد فكرة القومية العربية، حتى قبل أن تطرحها ثورة ٢٣ يوليو طرحا علنيا. وكان بعض أصدقائه - وأنا بينهم - يتشككون فى جدوى التمسك بالقومية العربية، مادامت القوة الرئيسية موجودة فى مصر، غير أن بهاء كان يرى ما لم نكن نرى إذ ذاك، كان يرى فى اجتماع العرب، القوى منهم والضعيف، نواة لقوة كبرى يمكن أن تعيد تشكيل منطقتنا العربية من جديد، وقد ظللت أنا على تشككى فى جدوى القومية العربية حتى أتيح لى أن أسافر على نطاق واسع فى أرض العرب من الخليج إلى المحيط، فعلمنى الواقع الحى أن القومية العربية قائمة بالإمكان وبالفعل أيضا، لاتنتظر إلا من يتبناها ويعمل فى سبيلها حتى يتحقق الحلم الكبير: حلم الوطن العربى. إذ ذاك أدركت كم أن بهاء كان بعيد النظر، سابقا الكثير من معاصريه من الشباب.

شجاعة فكرية

وقد أظهر بهاء فى كثير من المناسبات شجاعة فكرية واضحة. من ذلك أنه سافر فى الخمسينات إلى الاتحاد

السوفيتى، وأمضى شهرا هناك، ثم عاد ليكتب كتابا سرعان ما لفت النظر وهو كتاب «شهر فى روسيا» لم يتردد بهاء فى أن يثبت فى الكتاب بعض النقاط السالبة التى وجدها فى الاتحاد السوفيتى . فأثار هذا امتعاض اليساريين الذين كانوا يؤيدون الاتحاد السوفيتى لأسباب مختلفة: منها الإيمان المطلق، غير المدقق فى صحة كل ما يقوله أو يفعله القائمون على السلطة هناك، ومنها شعور البعض - وأنا منهم- بأن أى نقد للاتحاد السوفييتى فى الظروف التى كانت سائدة إذ ذاك، إنما يصب فى طاحونة الأعداء الرأسماليين، ويضر بالتالى بموقف التقدميين فى بلادنا..

ولقد غضب بهاء غضبا واضحا على سخط الساخطين على كتابه، وأظنه كتب مقالا صغيرا ما زلت أذكره، ونشره فى صباح الخير بعنوان :«الإرهاب» هاجم فيه- إن لم تخنى الذاكرة- ظاهرة تقديس كل ما يجرى فى الاتحاد السوفييتى، واعتبر الهجوم على اتجاهه فى الكتاب نوعا من الإرهاب الغرض منه إسكات أصوات الغير .

على كل حال ، فقد واصل أحمد بهاء الدين اتجاهه هذا، بدعوة الشاعر السوفييتى ايفتوشينكو إلى زيارة مصر، وكان هذا الشاعر يتخذ لنفسه موقفا مميزا من الخط الرسمى، وأذكر أنه عقب جولة له فى مصر، انتهى به المكان إلى القاهرة فقام

فى حفل أقامه له بهاء فى دار الأوبرا يقول: اسمعوا: إذا كنتم تظنون أننى جئت إلى هنا لأحدثكم عن منجزات الاشتراكية من إقامة السدود وتصنيع وما إلى ذلك، فأنتم واهمون. أنا سأحدثكم عن الحب وعواطف البشر!.

***

ويمتاز أحمد بهاء الدين عن كثير من معاصريه من الكتاب بروح مواطن فائق الحس، يتمتع بما يسمى بالحس المدنى Civic Conscience، أو الضمير المدنى إذا شئنا، وهذا الحس هو الذى دفع به إلى تقديس البيئة والدفاع عنها، والدخول فى معارك متصلة فى سبيل الدفاع عنها، وكلنا نذكر النضال العنيف الذى بذله، كى ينقذ مزرعة كلية الزراعة بالقاهرة من العدوان عليها وتحويلها إلى مساكن لأعضاء هيئة التدريس . وكلنا يذكر أيضا النضال الآخر الذى قام به بهاء فى سبيل تحويل أرض كلية دار العلوم القديمة إلى حديقة تخدم الحى، بعد أن كان زبانية أقفاص الأسمنت المسلح يتلمظون كى يحولوها إلى عمارات سكنية قميئة يسجنون فيها البشر وأرواحهم، وقد نجحت جهود بهاء، وفى كل مرة أمر بالحديقة التى قامت بفضل استخدامه لضميره المدنى، أوجه له التحية وأشعر نحوه بالامتنان العميق نيابة عن سكان حى المنيرة!

ودعوة بهاء إلى تعميم استخدام الكمبيوتر، وتنبيهه إلى أن

نهاية القرن سوف تحمل معها معنى آخر للأمية غير ذلك الذى نعرفه الآن: لن يكون أميا من لايقرأ ولا يكتب بل سيكون من لايستخدم الكمبيوتر فى مجالات استخداماته المختلفة من صناعة وتجارة، وتعليم-التعليم خاصة، وقد أثمرت دعوة بهاء الدين فى هذا المجال ثمرات كثيرة وأصبح الوعى بالكمبيوتر عميقا، وأصبح استخدامه من قبل تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات أمرا شائعا، وباعثا على البهجة ..

جريمة العصر!

على أن أهم ما فعله أحمد بهاء الدين فى سبيل خدمة وطنه الأكبر: الوطن العربى هو الصفحة التى اشتراها من حر ماله وخصصها للاحتجاج على ما سماه: «جريمة العصر». ظهرت هذه الصفحة عقب سماح الاتحاد السوفيتى لأعداد كبيرة جدا من اليهود السوفيت بالهجرة إلى إسرائيل، بزعم أن هذا السماح هو إعمال لحق أساسى من حقوق الإنسان، هو حق السفر من بلده إلى أين شاء. وقد رأى أحمد بهاء الدين فى هذا كله جريمة كبرى ترتكب فى حق عرب فلسطين وحق العرب جميعا، فليس هذا تمسكا بحقوق الإنسان وإنما هو مساعدة على الإجهاز على ما تبقى من فلسطين من أرض وبشر. خاصة أن حقوق الإنسان تنتهك فى بلاد كثيرة من العالم ولا من يغضب أو يحتج من بين الدول الكبرى، بل إن الاتحاد السوفييتى ذاته

كان إلى تلك اللحظة يسهم فى انتهاك حق الشعب الأفغانى فى الظفر بحريته وحكومة لا تسندها دبابات الأجنبى .

من ثم ثار بهاء الدين ثورة عارمة، واشترى الصفحة التى سلفت الإشارة إليها ، وأخذ يجمع التوقيعات تأييدا لما بها من احتجاج، وأذكر أنه قابلنى من بعد فقال معتذرا: عفوا ، وضعت اسمك بين المحتجين دون أن أشاورك، فأجبت: لم تكن فى حاجة إلى مشاورتى أو الحصول على موافقتى فأنت تعلم تماما أننى أؤيد الاحتجاج من كل سبيل.

غير أنى لم أذكر السبب الذى من أجله بدأت هذه التحية بذكر ميلتون، السبب واضح إذا ذكرنا إخلاص الرجلين للمبادىء الأساسية للديمقراطية، وعلى رأسها حق الشعب فى مساءلة حكامه. ودعوتهما الشعب إلى حب الخدمة العامة والعمل من أجلها، وتحريضهما الناس على استخدام العقل- واعيا ومنضبطا- فى خدمة المجتمع. ويجمع بينهما أيضا أن الثورة قد نالت كلا منهما فى بدنه، وأنهما- مع هذا- لم يكفا عن النضال ، قال ميلتون:«يناضل أيضا من يقعد ينتظر» وطبع بهاء صفحته، التى كانت آخر صيحة احتجاج على الظلم قبل أن يدهمه المرض، على أنه واصل احتجاجه رغم اشتداد المرض وصرح فى أسى، بعد أن انجابت عنه سحابة العتمة ذات مرة- صاح «ليه، ليه؟»، وذلك حين علم بالغزو العراقى للكويت.

أخي الحبيب بهاء، ما زلت تناضل الظلم وتدعو إلى الاستنارة رغم مرضك الشديد ما زالت كتاباتك تتحدث نيابة عنك ما زالت سيرتك العطرة على كل لسان، ما زال شوقنا إليك لم تخمد له نار. ما زلت تهتف ونهتف معك: يناضل أيضا من يقعد ينتظر رعاك الله، وأعظم قدرك!..

أحمد بهاء الدين

أحد أعمدة التحليل السياسى العربى الحديث

د. علي الدين هلال

عندما يؤرخ للتحليل السياسى فى مصر وبلادنا العربية فإن إسهام أحمد بهاء الدين سوف يحتل مكانة بارزة لمنهجه الذى أتبعه لأكثر من عشرين سنة ولجرأته الفكرية ولعدم تردده فى قول ما يعتقد أنه صحيح– دون تزيد أو اصطناع شجاعة.

ورغم أن أحمد بهاء الدين قد اختار الصحافة كحرفة فإن ما دونه من مقالات وتحليلات لها قيمة مستمرة. وتعكس فى مجملها منهجا لتحليل الوقائع السياسية، ونظرة شاملة للنظام الدولى خارجيا. والنظام الإجتماعى داخليا والعناصر المؤثرة على كل منهما.

اتسمت كتاباته بعمق المضمون ويسر الإسلوب فكان بحق السهل الممتنع، يستطيع أن يقرأه كل طالب جامعى ومثقف،.

ولكن يفهمه كل واحد حسب مستواه وإدراكه.

وتأثر جيل من الشباب المصريين فى الستينات بالمقال الإسبوعى «هذه الدنيا» الذى كان الأستاذ بهاء يكتبه فى أخبار اليوم، وكانت هذه الصفحة نافذة يطل منها هذا الجيل على ما يحدث فى الدنيا. فعلى هذه الصفحة كان بهاء يلخص أحدث الكتب، والتحليلات وأذكر أننى عرفت لأول مرة عن نظرية والت وايتمان روستو عن مراحل التطور الاقتصادى من «هذه الدنيا».

واتسمت كتاباته بالتجديد الفكرى والتحديث الثقافى،. وهو الذى فتح على صفحات المصور حوارا كبيرا بعد عام ١٩٦٧ بعنوان «نحو مجتمع عصرى» وكان رأيه أننا لا نستطيع أن نفصل الأخطاء والهزيمة العسكرية عن مجمل أوضاع المجتمع، وأنه لابد من تطوير أوضاعنا ونظمناومؤسساتنا .

وفى نفس المجلة، وفى نفس الفترة، طرح الأستاذ بهاء فكرة أخرى لاتقل جرأة فى ذلك الوقت وهو إنشاء دولة فلسطين، ووقتها لم تكن هذه الفكرة مطروحة ومقبولة مثلما هو الوضع الآن.

ولأن أحمد بهاء الدين بدأ حياته الصحفية فى روز اليوسف، ثم تولى رئاسة تحرير صباح الخير، ولم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره. فقد كان تفكيره السياسى جزءا من تصور اجتماعى

أشمل.. وعبر حياته كتب في الأدب والنقد، وكتب في العلاقات مقالا بعنوان «عن الرجال والنساء» يطرح فيه قضية العلاقة بين الجنسين، وله كتاب بعنوان «أفكار عصرية» يشمل عددا من مقالاته عن الشباب والجيل الجديد.

كان أول من كتبه كتاب «أيام لها تاريخ» الذى ما زال واحدا من أكثر الكتب إمتاعا عن بعض صفحات تاريخ مصر. وفيه قدم التاريخ لقارئه من خلال مجموعة من الأحداث والشخصيات. ومزج فيه التاريخ السياسى بالتحليل الاجتماعى بالسمات الشخصية للأفراد. مثل الفصل عن زواج الشيخ على يوسف، أو تحليله للضجة التى أثارها كتاب الإسلام وأصول الحكم.

ولسبب لا أعرفه فإن أحدا من المؤرخين لحقبة الستينيات لم يسجل أن أحمد بهاء الدين كان هو الذى اقترح فى مقال بأخبار اليوم ضرورة تغيير اسم الاتحاد القومى ليكون الاتحاد الاشتراكى تعبيرا عن المرحلة الجديدة التى كانت مصر تدخلها وقتذاك.

ولم يكن يتردد فى أن يعبر عن رأيه حتى عندما كان يعرف أنه سيكون ضد التيار أو عندما يتردد الاخرون. من ذلك فى عام ١٩٨٢ عندما أعلن الرئيس ريجان عن مبادرته للتسوية فى المنطقة. ولأيام لم يكن هناك رد فعل عربى، وكتب الأستاذ بهاء فى عموده بالأهرام يتساءل عن لماذا لم يرحب العرب بهذه

المبادرة. وأن يقتنصوا الفرصة. ومرة أخرى عندما قامت بعملية عسكرية لاعتقال نوريجا رئيس بنما، كان بهاء- ربما- الصوت الوحيد الذى أيد ذلك باعتبار أنه لم يكن هناك طريق آخر للتخلص من نوريجا الذى انتهك كل القوانين والأعراف.

ولعل القارئ يتذكر أن معركته الأخيرة قبل مرضه كانت بخصوص هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين والتى أسماها بمأساة القرن العشرين.

يمتلك الأستاذ بهاء قلما طيعا، يعبر عن أفكار صعبة معقدة بعبارات سهلة وكلمات واضحة. يختار عباراته بدقة لتؤدى المعنى المطلوب. كانت أحيانا تنساب فى هدوء ووداعة، وكانت أحيانا أخرى تنطلق فى حسم طلقات الرصاص، ولكنها فى كل الأحوال لاتتخلى عن أدبها حتى عندما كان يدخل فى منازلات فكرية عنيفة .

لم يتاجر أبدا بقضية أو برأى. وعندما اختلف مع الرئيس السادات ترك مصر إلى الكويت حيث ترأس تحرير مجلة العربى لسنوات. وكتب الكثير ولكن لم يجعل من قضية الخلاف هذه مادة للمزايدة أو ادعاء البطولة والشجاعة فظل مثلا للعفة.

وتشاء إرادة الله سبحانه وتعالى- أن يسكن هذا العقل الناقد الوثاب فى جسد ضعيف لذلك سقط صريعا للمرض.

لقد عرفت أحمد بهاء الدين فكريا منذ منتصف الخمسينات، وقابلته لأول مرة عام ١٩٦١ وكنت طالبا بالجامعة، ولم تنقطع صلتى به منذ ذلك الوقت، وأسميت ابنى باسمه تيمنا به.

شفاه الله وأعاد قلمه إلى ساحة الفكر والعقل فما أشد حاجتنا له فى هذه الأيام.

أحمد بهاء الدين.. صديقا

فتحي غانم

صداقتى مع أحمد بهاء الدين لها ذكريات تفيض حيوية تلازمنى منذ حوالى نصف قرن ولاتغيب عن خاطرى أبدا، فمنذ رأيته وتحدثنا معا أيقنت أني عرفت هذا الإنسان النادر. الصديق. كان اللقاء فى نهاية الأربعينات - قبل الثورة- شابين تخرجا حديثا فى كلية الحقوق، وجمع بينهما العمل فى إدارة تحقيقات وزارة المعارف..كنت أقرأ التاريخ وأتابع السياسة باهتمام وأتمنى أن أعبر عن نفسى بكتابة القصة وربما يوما ما أكتب الرواية. وكان بهاء يقرأ الأدب ويحفظ أبياتا لاحصر لها من الشعر ويتمنى أن يعبر عن نفسه بكتابة الرأى السياسى وربما يوما ما كانت له كلمته فى الحياة السياسية .

وعندما ذهبت فى تحقيق إلى قرية «القرنة» بالشاطىء الغربى لمدينة الأقصر. عدت وكتبت رواية «الجبل» كان التحقيق عام ١٩٤٧. وكتبت الرواية عام ١٩٥٨. أما بهاء فسافر فى نفس الوقت فى تحقيق بشبين الكوم. وأرسل لى من هناك قصة قصيرة وهاهى ذى بعض فقرات من خطابه.

شبين الكوم في ٩ مايو ١٩٤٧

عزيزي فتحي

ثعبان كسيح، لم تكد تقرع له الأجراس، حتى أخذ يزحف متلويا بين المروج الخضراء، ذات المنظر الثابت الذي لايتغير.. إنه قطار الركاب الذي كان على أن أركبه إلى شبين الكوم!.

ومع ذلك فالمروج الواسعة ليست كلها- في هذه المرة- خضراء فإن مساحات كبيرة منها تزدحم بالأعواد الصفراء المثقلة بحبوب القمح الذهبية ووقفت - كعادتي - في النافذة، أتأمل تلك السنابل الناضجة وهي تراقص الأنسام تحت ضوء الشمس الغادية. وكنت ألمح بين الحين والحين فلاحة تملأ جرة. أو فلاحا يقود بقرة. وسألت نفسي: ألا تصلح هذه البقاع الجميلة مسرحا لقصة ما؟.و هل يستطيع هؤلاء الفلاحون السذج القيام بأدوار البطولة فيها؟.. لنحاول! وكانت نتيجة هذه المحاولة تلك القصة القصيرة التي أنقلها إليك بصورتها الأولى المهوشة.. كما أتممتها منذ دقائق، وبعد وصولي إلى الاستراحة بساعتين.

كتب بهاء القصة وهي عن فلاحة وشاب فلاح يريد أن يتزوجها ولايجد المهر الذي يطلبه أبو الفتاة خمسة جنيهات ثم يتعرض الشاب لحادث من شاب يركب سيارته فيكون الحادث

سببا فى حصول الفتي الفقير على تعويض خمسة جنيهات من الشاب صاحب السيارة. فينفتح باب الأمل أمام الفتى والفتاة فى الزواج ويتوقف ابن عم الفتاة عن مطاردة العريس الفقير الذى أوشك أن يتعرض للقتل بسبب غيرة ابن عم الفتاة.

وبعد أن انتهى بهاء من قصته كتب يختتم خطابه.

عزيزى فتحى :

تلك هى المحاولة ، ولكنها ليست المحاولة الكاملة إنها الخطوط الأولى لها . ولكننى آمل أن أجد عندك حين أعود، نقدا قاسيا لها .

كان بهاء منذ البداية يحاول كتابة القصة، والشعر، وكان يكتب كل صباح تقريبا خطابا غراميا لفتاة مجهولة لايعرفها ولكنه يتخليها . كأن لم يقابل بعد ويحب ويتزوج تلك السيدة الرائعة شريكة حياته .

هذا هو ما فى أعماقه. أما إذا أراد أن يواجه الناس، القراء فيما بعد، فهو يكتب فى السياسة ويرى أنها الأولى بالاهتمام فى بلادنا التى تعانى من مآس عديدة كان على رأسها احتلال الانجليز لمصر، والفقر الذى يسحق الفلاحين والجهل يضرب حصاره على الجميع. وكانت حكايات بهاء عن «دراو» حيث أهله فى أقاصى الصعيد فيها مرارة وحدة. ووصف وحشى لجرائم

قتل، ورجال يتراقصون مذبوحين وسكاكين وخناجر تقطر دما، تطعنهم، والدماء تنفجر نافورات ترش الأرض والجدران.

إنه ينتمي إلى تلك المنطقة من صعيد مصر، التي يتعامل فيها الرجال بقانونهم الخاص بعيدا عن الحكومة. ووسيلتهم في التعامل مع المشاكل هي في الغالب السلاح. حياة قاسية خشنة لايهدأ فيها الصراع، ولايبقى على البشر سوى تلك الرقة أو الواحة العاطفية الناعمة التي تختبيء في أعماقهم. قسوة الحياة في صعيد مصر فرضت على بهاء أن يتجه إلى السياسة. الرغبة في البقاء والاحتفاظ بالأمل في الحياة فرضت على بهاء حب الشعر والأدب وأجمله هو ما كان غزلا رقيقا عاطفيا.

كاتب من نوع فريد

عندما كتب بهاء كتابه «شهر في روسيا» كتبت عنه أن من أهم ميزات الكاتب السياسي «أحمد بهاء الدين» قدرته البارعة على توضيح وتبسيط أعقد المسائل السياسية لقرائه، وهو كاتب من نوع فريد، فهو يكتب في السياسة، ولايشتغل بها، لم ينضم فيما مضى-قبل الثورة- إلى حزب من الأحزاب، ولم يربط نفسه بأي تيار سياسي، واكتفى بأن يشغل نفسه بشرح المبادىء العامة. والتيارات السياسية السائدة في الجو السياسي الداخلي أو العالمي على السواء. وإذا كان أحمد بهاء الدين لم يربط نفسه باتجاه سياسي عملي معين، إلا أنه يعتبر من كتاب

اليسار، أى من الكتاب الذين يستخدمون العقل والمنطق والدراسات الاقتصادية فى تفسير الظواهر السياسية... ولكن لماذا لم ينضم أحمد بهاء الدين إلى أية جماعة سياسية يسارية.. إن المسألة عنده ليست مجرد خوف من خرق القانون والاعتداء على نظام الدولة العام فهو ليس مثل برنارد شو المفكر السياسى الذى قال إنه يتطرف إلى الحد الذى يقول له فيه القانون «قف عند حدك» ويناوش خارج مرمى نيران القانون..

إن أحمد بهاء الدين ليس من هذا الرأى ، فهو على الرغم من استعانته بالعلم والمنطق والتفسير الاقتصادى للتاريخ.. ما زال يحتفظ فى قلبه بعاطفة مكبوتة وفى رأسه خيال بعيد عن إمكان الاحتفاظ بحرية الفرد كاملة مطلقة. جنبا إلى جنب مع الاحتفاظ بمصلحة المجموع. لقد اكتشف أن التفسير العلمى للتاريخ السياسى هو أقرب إليه وإلى الناس، فاستخدمه ببراعة، ولكنه لم يؤمن إيمانا مطلقا. إنه يرحب بالمقدمات التى تعلن الظروف الاقتصادية عاملا مهما فى تحريك السياسة والسياسيين، ولكنه يكره النتائج التى قد تؤدى إلى ديكتاتورية الجماعة وطغيانها على حرية الفرد. إنه يخشى أن يفقد الشخصية، وحريته فى التعبير عن رأيه مهما كان، ويخشى أن يرسم له أحد طريقة للتفكير ومنهجا للتعبير عن الرأى، مهما كان ذلك فى مصلحة الجماعة.

وفى كتاب «شهر فى روسيا» الذى صدر عام ١٩٥٤ تقرأ المناقشة الهامة التى أثارها عالم الاقتصاد «يوجين فارجا» الذى قال إن الحكومات فى الدول الرأسمالية لم تعد تترك الشركات حرة تنتج كما تشاء، بل أصبحت الحكومات الرأسمالية تتدخل فى الحياة الاقتصادية، بحيث تستطيع أن تتلافى الأزمات الدورية التى تقع فى النظام الدورى، فالحرية الاقتصادية فى البلاد الرأسمالية لم تعد حرية مطلقة وخلص فارجا من هذا الرأى إلى أن الدول الرأسمالية ما دامت تتدخل فى إنتاج شركاتها، فستمنع حدوث تضارب بين هذه الشركات مما قد يؤدى إلى وقوع حرب بينها أى أن الدول الرأسمالية ستظل متحدة لا يحدث بينها خلاف لمواجهة الدول الشيوعية، وقد عارض ستالين هذا الرأى وقال إن احتمال وقوع الحرب بين الدول الرأسمالية أكبر من احتمال وقوعه بين الرأسمالية والشيوعية.

رؤية المستقبل

إن هذه الرؤية المبكرة الواضحة لمستقبل الشيوعية والرأسمالية كانت لدى أحمد بهاء الدين، لأنه احتفظ بحريته الفكرية بعيدا عن التورط فى التزام سياسى حزبى يسارى، لذلك كان قادرا على رؤية المستقبل واستشرافه، أكثر وضوحا من المثقفين المعاصرين له. وأذكر أننى كتبت عدة مقالات فى

روز اليوسف عن الاشتراكية وتدخل الدولة. فكتب ينتقد بشدة ما كتبته، ويقول إنى أدافع عن رأسمالية الدولة لأن الاشتراكية تعنى عدالة توزيع الدخل. وليست مجرد تدخل الدولة أو رقابتها على النشاط الإقتصادى. وعندما قرأت مقاله فى «أخبار اليوم» سألته إذا كان يريد أن يحدد نوعا معينا من الاشتراكية قرر أن يلتزم به. والاشتراكية لها حوالى مائتى مدرسة. فكان رده السريع الساخر. إنه انتقد مقالى، لأنه شجع الحكومة على التدخل وأنه يعلم كما أعلم أنا نوع تدخل رجال السلطة، فهو لاصلة له بأى مذهب سياسى سواء كان يمينيا أو يساريا. كانت إجابته حاسمة ومقنعة وعلمت منها أنه مع الوقت، لم يعد يقتصر على شرح السياسة وتوعية الناس بأسرارها نظريا. بل أصبح يهتم بالسلطة ورجالها ومواقفهم واتجاهاتهم، أصبحت يده فى النار يواجه شللا سياسية، وتيارات ومناورات بين أصحاب المناصب العليا. ويرى تأثير ذلك على مصالح الجماهير، بينما الحديث النظرى فى السياسة لم تعد له قيمة وسط الحيوانات السياسية فى غابة بالسلطة، كان قد اقتحم الغاب يحارب وسط أدغاله وأحراشه. وما زالت كلماته ومواقفه تكشف اليوم خبايا كثيرة فى الغاب .

أحمد بهاء الدين

الاشتراكى الديموقراطى العقلانى

فريدة النقاش

«أحمد بهاء الدين» صحفى وكاتب من ذلك النوع النادر الذى يحظى بما يشابه الإجماع على امتداد الزمن ليصبح عموده الصباحى فى الأهرام لسنوات طويلة مرجعا ومعيارا يشابه التوجيه اليومى لمئات الآلاف من الشعراء الذين منحوه ثقتهم، لأنه لم يستخف أبدا بعقولهم كما يفعل الكثيرون من كتاب الأعمدة الثابتة، بل إن بهاء حرص بصورة حازمة على أن يستفز العقل ليعمل، ويستدعى المنطق ليكون أداة فى يد هذا العقل الذى يؤمن الكاتب بقدراته وسلطانه، وتبقى بحسم استعصاء أى قضية على قدرات هذا العقل اذا ما تخلص من الأوهام والخرافات.

ولعل أبرز ما يلفت النظر فى كتابته عموما وعموده القصير خصوصا هو هذا التجلى الباهر للوعى بالتفاصيل، والقدرة على

التقاطها وإضافة المعلومات إليها وتحليلها تحليلا عميقا واستخلاص دلالاتها الأشمل فتخرج هذه التفاصيل من إطار الثرثرة لتندرج كأجزاء صغيرة من منظومة فكرية شاملة سياسية اقتصادية ثقافية.

يتحدث عن «أتعس الأخبار» وهو سرقة ثلاثة آلاف فيلم، كلها أفلام تسجيلية وتاريخية نادرة تسرق من المركز القومى للسينما فيقول:

«ليس لأن سرقة هذه الأفلام هى سرقة لتاريخ وذاكرة شعب ووطن، وليس لأنها تجعل حياتنا القريبة مجهولة، وكأنها حدثت من العصر الحجرى مثل ظهور التسجيل السينمائى.. ثم يقول:

هل صارت مكونات المجتمع والدولة مستباحة إلى هذا الحد المأساوى؟ ألا توجد إرادة لوقف هذا الانهيار؟

لقد ضرب المرض فى كل النفوس، بصراحة ، صار المصريون فى حاجة إلى علاج، المأساة طرفاها الدولة والمواطن معا» ويقول فى عمود آخر، مستخلصا معنى خطيرا يحكم حياتنا الآن بصورة قاسية:

«مصر بلد يحكمها ويربط بينها جهاز حكومة منذ آلاف السنين، وانهيار مقاومة هذا الجهاز كارثة يصعب حسابها بالملايين والبلايين..»[1].

وهو يعتذر عن اضطراره بسبب ضرورات النشر الصحفي- إلى تجزيء المشكلات والقضايا.

«فيبدو أن النشر بهذا الشكل المجزأ عن كل فرع من الفروع الصغيرة لايوضح لبعض القراء أنها فروع من مشكلة كبرى متفاقمة ومتضخمة.[2]».

ويقول في مجال آخر:

«فخطة لإصلاح التعليم لن تنجح إلا كجزء من خطة عامة أشمل[3]».

وتتسم هذه الرؤية الشاملة المستقاة دائماً من التفاصيل الواقعية لا التجريدات النظرية ببعد نظر نفسي، وعمق في التحليل يحرص على عدم استبعاد أي عنصر حتى لو كان صغيرا أو قليل الأهمية من العناصر المكونة للموقف أو للصراع أو للشخصية التي يدرسها، وهو قد سبق من ذلك بعض المؤرخين الواقعيين أصحاب المدرسة الجديدة العلمية الموضوعية الذين استبعدوا من علمهم وأدواته كل ما هو ذاتي وشخصي في بعض الصراعات التاريخية الكبرى ثم عادوا إلى تحليلها بعد أن تبين لهم أن هذه العناصر التي تنهض في الأساس على الموقع الطبقي والخيار الاجتماعي والثقافي للشخصية المعنية- تلعب دورا قد يكون حاسما في بعض

الأحوال رغم صغرها .

وفى مقاله الأدبى السياسى التاريخى الممتع عن «الأمة بين سعد وعدلى» يكتب أحمد بهاء الدين»

«هذان العظيمان.. كل منهما جاء من نبع، وسارا فى واد وكل منهما كان يمثل تيارا معينا، فاتفاقهما تحالف بين التيارين، وخلافهما صراع بين القوتين يكتب فيه النصر لتيار والهزيمة لآخر، ومن النصر والهزيمة يولد التطور.

عدلى. سليل الأسرة التركية العريقة، وربيب الطبقة الحاكمة فعلا، وابن الذوات الذى ولد ليجد كل شىء مهيأ لاستقباله التعليم الرفيع، الآفاق الأوروبية الحديثة، الصداقات الكبيرة التى تمهد سبل الوصول السريع، فإن حدث وذهب إلى الريف، فهو يذهب إلى أملاكه لا إلى بلدته.

وسعد الفلاح بين الفلاحين، الذى نجد إخوته من يحملون أسماء شلبى وستهم وفرحانه، وإن كان من طبقة متوسطة ميسورة الحال..

عدلى الرقيق الأنيق المرهف، عيونه الحالمه وشاربه المخفف، وطربوشه المائل فى كبرياء، عليه سيماء رجل مترف، من غنى عن المطالبة بأى شىء، لأن كل شىء لديه فعلا.

وسعد الخشن العنيف، عيونه المقتحمة وشاربه المنفوش

بطربوشه الذى يلبسه ملقى إلى الوراء كما تلبس اللبدة أو الطاقية تصرخ هيئته بأنه رجل جاهد واقتحم وطالب بعناد[٤]».

إضافة لهذا الوعى العميق بأثر التكوين الشخصى والطبقى على النفس الإنسانية بل وعلى الشكل الخارجى للشخصية تتضح لنا عناصر الطاقة الأدبية من أسلوب الكاتب ، تلك اللغة المفعمة بالمشاعر والتى يمتزج فيها الوصف بالتحليل وتختلط الصحافة بالأدب. فهو يعطى نفسه وعواطفه لكل ما هو إنسانى نبيل وتقدمى ومستنير، وتفيض هذه العواطف إذا ما اقترب الحديث من الشعب ومن الكادحين عامة فتصفو لغته الأدبية وترق حينئذ..

«وغدت قرية دانشواى لوحة قاسية تعبر عن حالة مصر كلها، أمة مسلوبة مسوقة إلى حتفها تلهب ظهرها العالى سياط الاحتلال، وتنهش لحمها المتمزق غربان المصالح الاقتصادية الأجنبية، وطارت أنباء دنشواى فى القطر الهاجع تهز النائم وتوقظ الغافل، وتشير بإصبع من الدم إلى حاضر أسود ومستقبل مجهول[٥]» .

ولعل منهجه فى كتابة التاريخ أن يفتح لنا الباب واسعا للتعرف على جذور التوجهات الإشتراكية الديمقراطية فى فكره .

فالصراع السياسى يتأسس على الانقسام الاجتماعى

الطبقى وموازين القوة تقوم لا فحسب بين الطبقات، ولكن وفى حالة البلدان المستعمرة بين مجموع القوى الوطنية والمحتل ويمدى ما تنحاز الطبقات المالكة أو القصر إلى المحتل أو إلى الشعب بقواة الوطنية تبرز لديها توجهات وطنية ديموقراطية، وحين تبتعد عن الشعب وتتحالف مع المحتل ليكون الإستبداد عنوانها.

يتحدث عن الجيل الذى خرج منه مصطفى كامل بعد هزيمة الثورة العرابية فيقول مشيرا إلى نقطة الضعف الرئيسية فى توجه الزعيم الشاب:

«لقد خرج هذا الجيل إلى الوجود والوعى ليجد أن انجلترا هى الخصم الرئيسى، وهى التى تستغل مصر وتستبد بها، فظنوا أنها الخصم الوحيد، لم يشهدوا إستبداد العرش، والأتراك بالمصريين ليكرهوه كما كرهوا استبداد الانجليز، ولم يشهدوا قصة كفاح المصريين المرير ضد الخديوى حتى استعان الخديوى بالانجليز، كى يدركوا أن الإستبداد المحلى صديق صدوق لاستبداد الأجنبى[٦] .

وفى هذا السياق يسجل قول محمد فريد :إنى خارج إلى سجن آخر.. وهو سجن الأمة المصرية، الذى تحدده سلطة الفرد ويحرسه الاحتلال.

وهو يتحدث عن إنقشاع الأوهام حول الموقف الأمريكي منذ بداية القرن ومبادىء ويلسون الأربعة الشهيرة من حق تقرير المصير للشعوب بعد الحرب الأولى. وعن مفاوضات الوفد المصرى فى لندن من أجل الاستقلال:

«وبعد أربع سنوات من المحنة يتبدد الظلام، ويلتفت المصريون جميعا باحثين عن نصيبهم من نور السلام، من المبادىء الرنانة التى تنادى بها أمريكا بلسان رئيسها ويلسون، والتى لم يتكشف زيفها بعد[٧]».

ثم تجيء الأحداث بسرعة، لتعجل بالانقسام، فما أن يضع الوفد قدميه فى باريس حتى تعلن أمريكا خيانتها لكل مبادئها التى تتشدق بها، وتعترف رسميا بالحماية الإنجليزية لمصر..[٨]».

وهو يبنى هذا الموقف من أمريكا الذى يتواصل فى كل كتاباته على أساس القراءة العلمية لتاريخ الاستعمار القديم والجديد، وحين يغير بعض التفصيلات فى موقفه بعد ذلك شأن تأييده لاتفاقيات كامب دافيد- وإن بتحفظ أو مطالبته للفلسطينيين بقبول مبادرة ريجان التى لم تتأسس على قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية أى كان يفعل ذلك تأسيسا على تقديره لاختلال موازين القوة لغير صالح القضية العربية فى ذلك الحين، أى انطلاقا من نظرة واقعية عملية

لاتضحى بالممكن المتاح من أجل المستحيل غير المضمون، إذا كان العقل من وجهة نظره لا تحده حدود، فإن السياسة هى فن الممكن، وهو لاينتقد الوفديين الأوائل حين رسموا خطتهم على أساس هذا - الأمر- الواقع والذى يفرضه المنتصرون على العالم .

وعندما يتبدد غبار أى معركة كبيرة سرعان ما نكشف مجددا حقيقة الانقسام الطبقي والخيارات السياسة التى ترتكز عليه باعتبارها خيارات مصالح، يقول عن ثورة ١٩١٩ «عبارة الوطنية الواسعة التى شملت الجميع أيام الثورة تتكشف عن فريقين لكل منهما طريق، القوة القديمة. من الأعيان وأصحاب المصالح التى اعتادت أن تكون لها الغلبة والقوة الجديدة الزاحفة[٩]..

وللك ترتبط الوطنية فى كل كتاباته سواء تلك التى تتناول التاريخ الذى انقضى أو ذلك التاريخ الذى يجرى صنعه فى الحاضر بمسألتين رئيستين الاستقلال من الأجنبى وتحقيق السيادة من جهة، وسيطرة الشعب على ثروات البلاد من جهة أخرى.

«فلابد إذن أن يتحرر الشعب من كل سيطرة أجنبية ولابد أن يصبح أبناؤه جميعا شركاء فى الحكم ، متساويين فى الحقوق والواجبات، متساوين فى القوة والحرية..[١٠]».

وإذا كان أحمد بهاء الدين يصف بهذه الكلمات أفكار الزعيم الوطنى «محمد فريد» فإنه فى حقيقة الأمر، إنما يقدم أفكاره هو نفسه التى تنتظم فى كل كتاباته سواء كانت تاريخية أو صحفية يومية .

وعن الصراع الذى دار حول الناصرية يكتب.

إن السياسات والممارسات محل الصراع والمتخلفة من المراحل السابقة ما زال الكثير منها قائما، وبالتالى فهو صراع سياسى، وليس صراعا بين مدارس تاريخية وبالتالى أيضا، فإن أقوى محركات الصراع هى المصالح والآراء والعقائد، والغرائز..[11]» ولاتدور مثل هذه الصراعات فى الفراغ وإنما فى الإطار المحدد بطبيعة الدولة أوالنظام القائم «ولكل زمان دولة ورجال هناك دولة العمال ودولة رجال المال، ودولة المقاولين..[12]».

ورغم أنه يحرص على التنويه – من حين لآخر– لحقيقة أنه لم يعارض سياسة الانفتاح الاقتصادى من حيث المبدأ إلا أنه يصف الانفتاح فى الممارسة بأنه انفتاح انفضاحى يؤدى حتما إلى التبعية، وهو يعقد مقارنات من الأوضاع الجديدة وحكم الخديوى إسماعيل الذى أفضى إلى السيطرة الأجنبية المباشرة على البلاد. ويشن حربا شعواء على الطفيلية، ومظاهر الإسراف والفشخرة، ويتابع الكتابة بدأب عن سلسلة القروض المنهوبة،

العمارات التى تسقط ويشن حربه الجسورة على الفساد الذى يعدد مظاهره، ويربط بينه وبين الغياب شبه الكامل للقانون، ولايكتفى بفضح هذه المظاهر وإنما يتذكر الحلول فى كل قضية يثيرها، ويلح عليها داعيا قراءة للمناقشة بالرفض أو القبول..

«إن الظروف مناسبة لكى نجعل شعبنا يخوض معركة مكافحة الإسراف، معركة الانضباط الاقتصادى، وكأنها معركة وطنية، معركة الاستقلال فى مواجهة التعبية».

ويكشف الوجه الثقافى للنشاط الطفيلى غير المنتج والقائم على تكديس الثروات دون عمل حقيقى.

«هذه الفئات ، على شتى مستوياتها، لاتعرف إلا الإنفاق المباشر على أنماط الاستهلاك، الطعام بكثرة، الملابس، أغلى السيارات، واللهو المتسع من اقتناء التليفزيون الملون والفيديو، إلى السهر، وإنفاق مئات الجنيهات على مائدة واحدة، وهى التى تملأ مثلا مسارح القطاع الخاص، بأسعار لايقوى عليها زبائن المسرح الأصليون الذين إنسحبوا من السوق وكباريهات شارع الهرم للعلم صار يملؤها المصريون بعد أن كانت مقصورة على السياح العرب..(١٢)».

ويتساءل «هل يكسب المال من يحترم القوانين الموضوعة،أم يكسبه من يخترق القوانين؟

هل يكسب الفرد قيمة عمله – من العالم إلى الكناس– أم يكسب الفرد قيمة علاقاته ومصاهراته وبلطجته وإعفاء عين السلطة عنه؟

هل يكسب المال من يستطيع أن يقدم كشفا بمصدر كل مليم، أم يكسبه من لايستطيع أن يفسر إحرازه لعشرة ملايين؟.

تلك هى الأسئلة الأساسية ؟

وما السياسة إلا صراع وخلاف حول الأسلوب الذى يوضح أكثر من سواه الفارق بين الجهد والتطفل، بين العدل والظلم بين الحلال والحرام..[١٤]» .

والسياسة هى مرآة التاريخ اليومية ، فإذا كان التاريخ هو ابن الصراع بأطرافه المختلفة وعادة ما يرتبط تدهور السياسة بتسلط الحاكم الفرد واستشراء الفساد.

وتبين لنا القراءة الجدية للتاريخ أن هذا التاريخ ينتج فى تطوره الموضوعى من علاقات القوة والسيطرة وكدح البشر لتطوير حياتهم، أما الزعامة فلا تولد بالمزاج أو المصادفة أو الاختيار الشخصى، بل إنها تتخلق فى التاريخ أى فى الواقع الإنسانى أو فى الثورة التى يصنعها الشعب صانع التاريخ.

«والزعيم لايصنع الثورة أبدا، ولايخلقها من العدم، ولكن عوامل الإنفجار تتراكم فى قرارة الشعب تدريجيا حتى يصبح

الشعب كالبندقية المعبأة، المسددة ضغطة واحدة على الزناد وينطلق البارود، فكل مهمة الزعيم أن يضغط على الزناد...[١٥]».

وفي تحليله البارع للملابسات التي أدت لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والذي أعلنت إنجلترا بمقتضاه انتهاء الحماية على مصر والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، والذي كان نصرا محدودا في ذلك الحين يتساءل، وكان سعد زغلول منفيا في جزيرة سيشل التي سبق أن نفى الإنجليز فيها أحمد عرابي «لمن كان الفضل في هذه الخطوة للساسة الذين قاموا بالاتصالات مع الانجليز حتى صدر تصريح ٢٨ فبراير؟ أم للزعيم الذي يسكن سيشل؟

يرد بهاء:

« إنه قطعا الذي يسكن سيشل ، ولا أقصد بذلك أن الفضل يعود له شخصيا، ولكن يعود للجماهير التي يمثلها..[١٦]».

ويرتبط فهمه للتاريخ الذي تصنعه الجماهير بحس شعبي عميق، وهو يصف حياة عبد الله النديم باعتبارها «الحياة الحقيقية التي كانت الكتب حتى لك الحين تترفع عن دراستها والتعرض لها.. هذه الحياة المصرية الصميمة.. التي يعيش فيها (ابن البلد، الحقيقي، ابن البلد بذكائه الفطري الذي عصرته الآلام، فلم تبق منه غير لكنة حاضرة، بكسله الذي أورثته إياه

قرون عاشها فى بلده غريبا، يتفرج على الغرباء الذين يحكمون..[17]».

وبهاء مثله مثل عبد الله النديم الذى يصفه بأنه الثورى الحقيقى .

لم يكن ينظر إلى مصير أبناء هذا الشعب نظرة استسلام، ولم يكن يضحك منهم ضحكة بلهاء، ولكنه كان ينظر إليهم نظرة عامرة بالأمل، ويضحك منهم ضحكة مترعة بالنقد..[18]».

والشعب كما رآه «النديم» من روايته الحقيقية: عماله وفلاحوه وشبابه المثقف. لا كما كان يراه الناس باشوات وأتراكا وشراكسه..[19]».

وعن التأريخ لثورة ١٩١٩ يقول :

«وتاريخ هذه الثورة لم يكتب بعد حتى الآن، ولم يحاول أحد المؤرخين أن ينقب وراء سر هؤلاء الفلاحين الذين حاربوا فى دير مواس، وحاولوا الاستيلاء على السفينة المسلحة فى ديروط..[20]».

إن هذا الحس الشعبى العميق يدفعه لأن يؤكد مرارا وتكرارا أن ثروة مصر الأساسية ثروة بشرية وفى قاموسه يتكرر تعبير ينابيع الشعب الحقيقية كنغمة رئيسية .

وانطلاقا من هذا الحس الشعبى أخذ «بهاء» على عاتقه مهمة

المزج بين الصحافة والثقافة، بين فن إعطاء المعلومات للجمهور برشاقة وقدرة على الإمتاع، وبث الأفكار التى تتسلل إلى القلب مباشرة فقد كان بهاء يكتب بدم القلب لابريشة باردة محايدة يفعل ذلك وهو يقدم أبسط القضايا وأعقدها على السواء «والفن فى الصحافة والثقافة والإذاعة والتليفزيون جميعا، وعنصر الاتقان فيه، هو أن نجعل المفيد جذابا وأن نجعل المسلى راقيا[٢١]»..

وهو يدرك أننا فى بلد تنتشر فيه الأمية وتهيمن الثقافة المحافظة والتقاليد البالية أن تغيير العقليات هو أصعب المهمات وفى ها السياق لم يكن يخشى فى سبيل التغيير - المعرفة أن يخالف المزاج السائد، وكثيرا ما فعل رغم أن هذا كان يهدده كما قال له محبوه بفقد الإجماع، وغضب بعض جمهوره منه.

وليست الصحافة هي وحدها الرسالة التى تمتزج بالثقافة وإنما الأدب أيضا، فقد دافع «بهاء» بحرارة عن رسالة الأدب ودوره في التغيير .

يكتب عن مقدمة الزعيم «محمد فريد» لديوان «وطنيتى» للشاعر «على الغاياتى» الذى تسبب الديوان فى سجنه، وسجن كاتب المقدمة.

«ماذا قال فريد فى هذه المقدمة؟ أى جريمة ارتكبها وهو

يتحدث عن الفن الجميل؟ لم يقل أكثر من أن الشعر يجب أن لايكون مجرد كلام فارغ عن جمال الطبيعة، أو نفاق رخيص فى مدح الملوك والوزراء بل يجب أن تكون له - كأى فن جميل- غاية اجتماعية تنفع الناس ، وتدفع المجتمع إلى الأمام..[٢٢]».

ويواصل مناقشته للقضية على النحو التالى:

«هذا الرأى لم يعجب النيابة العامة، ولا وكيل النيابة توفيق نسيم- وهو فى الحقيقة- لايعجب الكثيرين عن الناس حتى الآن ومنهم الفنانون الكبار فأنت تسمع من مدرستين فى الفن والأدب مدرسة تقول الفن للفن، ومدرسة تقول إن الفن للمجتمع وأصحاب مذهب الفن للفن يعتقدون أن الفنان كاتبا أو شاعرا أو رساما، ليس له أن يهتم بمشاكل الناس السخيفة، همومهم الثقيلة، إنما مهمته أن ينتج لنا شيئا جميلا فحسب، شيئا نجد فيه المتعة والتسلية، وتزجية الفراغ، شيئا للزينة والتظاهر تماما كالمجوهرات للنساء المترفات. أما أصحاب الرأى الثانى فيقولون. إن الفن يجب أن تكون له رسالة أسمى من مجرد الإمتاع، وأن الفنان يجب أن يقدم إلى جمهوره شيئا يمتعه ويفيده شيئا يعمق إحساسه بالحياة، يدفعه إلى التقدم والارتقاء..[٢٣]».

ويقف بهاء بكل قوة إلى جانب المدرسة الأخيرة لأنه ما من عمل إنسانى من وجهة نظره ينبغى أن يتجرد من الرسالة.

وتحدد هذه الاختيارات العقلانية الموضوعية الهادفة أساس نظرته الديموقراطية العلمانية للعالم ورؤيته الإنسانية العالمية الطابع والعروبية فى نفس الوقت، ودعوته للحرية التى ينبغى «أن تظلل كل المتحاورين وليس البعض دون البعض».

ورغم تعاطفه العميق على سبيل المثال مع الشيخ «على يوسف» فى معركته ضد التقاليد القديمة التى وصلت إلى حد أن أصدر القاضى «أبو خطوة» حكما بتطليق الشيخ من زوجته بسبب أصل على يوسف الوضيع ومهنته غير المحترمة «أى الصحافة».

ومع ذلك فإن الشيخ على يوسف من وجهة نظر «بهاء» «كان فى حقيقته رجعيا، وإن قلت رجعيته عن الآخرين، وكان فى قرارة نفسه يؤمن بكل ماساقه خصومه ضده من حجج الحسب والنسب والحرفة، وهى رجعية ألقت بظلها على الكثير جدا من نواحى تفكيره السياسى، فكان إذا ثار شعب ليبيا على الغزو الإيطالى كتب المقالات مدافعا عن شعب ليبيا، داعيا إلى التطوع ضد إيطاليا، فاتحا أبواب الإكتتاب لإرسال المعونة الطبية إلى المجاهدين..فإذا ثار شعب اليونان على الإستعمار التركى هاجم شعب اليونان..[٢٤]».

وفحوى هذا النص أن «بهاء» يرى أن الحرية لاتتجزأ فهى حق لكل الشعوب حتى ولو كان المستعمر هو ابن الديانة

الإسلامية- شأن تركيا، والظلم مرفوض حتى لو كان الظالم ابن أمي وأبي.

وهو ما يقودنا مباشرة إلى موقفه العلماني، والعلمانية هي التفسير العلمي الموضوعي للنصوص الذي يؤدى إلى الفصل الكامل بين الدين والسياسة وفي مناقشته لكتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق يقول إنه بعد سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا. «التقط الإنجليز فكرة الخلافة الواقعة على الأرض.. نعم لماذا لاينشئون هم خلافة إسلامية جديدة تنمو في رعايتهم؟ وأن الخلافة لحجة قديمة للتغرير بالمسلمين، وخلف عباءتها الواسعة تنكرت أنواع من المظالم والخطوب، وهي قد خرجت من مكة وتنقلت بين دمشق وبغداد والقاهرة واستانبول، يمتطيها الحاكم الذي يستبد بالمسلمين، أمويا في دمشق، عباسيا في بغداد، فاطميا في القاهرة، عثمانيا على ضفاف البوسفور. واليوم بعد الحرب العالمية الأولى- أصبح المستبد بهذه البلاد هم الإنجليز، فلماذا لايعززون استعمارهم أيضا- بالخلافة الإسلامية؟ وإذا كان من المستحيل- هذه المرة- أن يكون الخليفة إنجليزيا، فالعملاء بين المسلمين ما أكثرهم، لماذا لايجعلون واحدا منهم خليفة للمسلمين وماهو أكبرعرش في الشرق الأدنى، وأقدم عرش يحمل بركة الإنجليز ويعترف لهم بالجميل إنه عرش مصر الذي

لولاهم لاقتلعته زوبعة عرابي، والجالس على العرش فؤاد الذى عينوه سلطانا فملكا منذ سنوات لاتبلغ العشر.

وسمع الملك فؤاد هذه القصة، فبدأ يحلم بها، وإن لم يطلق لحيته كما صنع «فاروق» من بعد!

وأدرك القصة أيضا الأذناب. وتجار الدين فبدأوا يبثون الدعوة للخلافة الجديدة.. التى علقوا بقيامها شرف الإسلام..[٢٥]».

وحين كشف الشيخ على عبد الرازق فى كتابه أنه ليس هناك أى سند فى القرآن والسنة للخلافة وإن هى إلا جناية الملوك واستبدادهم بالمسلمين» فماذا حدث ؟ يسجل بهاء :

«واضح فى سطوره أنه لايهاجم الخلافة فقط ولا الحكومة الدينية وحدها، بل والنظام الملكى أيضا ..[٢٦]».

وفى الستينات خاض معركة باسلة ضد عدد من الشيوخ المحافظين دفاعا عن حرية المرأة .

وقبل أن يدخل الكاتب فى مرضه الطويل الأخير- شفاه الله- خاض معركة عنيفة مع تيارات الإسلام السياسى دفاعا عن علمانية الدولة بمعنى عدم إدخال الدين فى السياسة، ومازال هذه المعركة الفكرية تشتعل جذوتها من حين لآخر رغم الغياب القسرى لأحد أشجع فرسانها، وقد أثار المحافظون «وتجار

الدين» زوبعة مشابهة لتلك التي ثارت في الثلث الأول للقرن لدى صدور كتاب الشيخ على عبد الرازق وذلك حين صدر كتاب المستشار سعيد العشماوى عن الخلافة الإسلامية.

على هذا الأساس العقلاني حيث لاشيء يستعصى على التفسير، والديموقراطي حيث الحرية حق الجميع والعلماني حيث لابد من فصل الدين عن السياسة من الدولة الحديثة نما وازدهر فكر «أحمد بهاء الدين الإشتراكى» الديمقراطى مشبعا بحسه الشعبى الذى تعاطف مع الكادحين باعتبارهم منتجى الثروة وصناع الحياة، ويستحيل أن يتحول مفكر حقيقى إلى الاشتراكية دون هذا الأساس العقلانى الديمقراطى العلمانى الشعبى.

فما الذى يميز فكره الاشتراكى الديمقراطى عن الاشتراكية العلمية؟ إنه ما يميز الاشتراكية الديمقراطية عموما عنها مع الأخذ فى الاعتبار أنها أى الاشتراكية الديمقراطية تجلت فى البلدان الاستعمارية التى أصبحت مراكز الرأسمالية المتقدمة فى العالم بعد ذلك بصورة مختلفة تماما عنها فى بلدان حركة التحرر الوطنى أو بلدان الجنوب كما تسمى الآن..

تؤمن الاشتراكية الديمقراطية عامة بالتطور التدريجى وترفض مفهوم الطفرة الذى صاغته الماركسية قائلة إن التراكم الكمى يؤدى إلى التغير الكيفى على شكل طفرات».

كذلك لاترفض الاشتراكية الديمقراطية النظام الرأسمالى من حيث المبدأ بل تسعى دائما لتحسينه والإرتقاء به وإصلاحه بصفة مستمرة بهدف الوصول إلى الاشتراكية عن هذا الطريق أى طريق الإصلاح لا طريق الثورة.

وتقوم الاشتراكية الديمقراطية عامة على الطبقة الوسطى أو البرجوازية الصغيرة باعتبارها الطبقة الأساس، بينما ترى الاشتراكية العلمية فى الطبقة العاملة الواعية المنظمة عنصر القوة الرئيسى فى عملية التغيير الثورى سواء تم هذا التغيير سلميا أو بالعنف، ولكنه سوف يتم فى كل الحالات عبر صراع طبقى مرير تحسم فيه الطبقة الوسطى أمرها سواء إلى جانب الاشتراكية فيما إذا كان ميزان القوة يميل لصالح الطبقة العاملة وتحالفها مع الفلاحين، أو إلى جانب الرأسمالية وإصلاحها إذا كان الميزان يميل لصالح الطبقات المالكة ويوسع بالتالى قاعدة ملكية الطبقة الوسطى نفسها لتتحول شرائح منها إلى رأسمالية كبيرة بعد ذلك .

واتخذت الإشتراكية الديموقراطية فى المراكز الرأسمالية الكبيرة شكل دولة الرفاهية والتى كانت فى حقيقة الأمر نتاجا للكفاح المتواصل للطبقة العاملة والكادحين متواكبة مع فترة ازدهار اقتصادى حقق فيها النظام الاشتراكى العالمى آنذاك انتصارات ضخمة على كل المستويات ووصلت هذه الدولة.. إلى

دولة الرفاهية إلى أوجها فى الستينيات.

بينما اتخذت الاشتراكية الديمقراطية فى سياق حركة التحرر الوطنى شكلا آخر لجعل وصف رأسمالية الدولة أن يكون أقرب الأوصاف له، والتى حققت فى ظل الناصرية مقولة سيادة الشعب العامل وتذويب الفوارق بين الطبقات وشهدت التوسع فى الخدمات الاجتماعية المجانية.

وفى هذا السياق فإن «أحمد بهاء الدين» هو الكاتب الناصرى الأرقى بامتياز، وإذا كانت ظروفه الصحية الطارئة قد حالت بينه وبين رؤية انهيار التجارب الاشتراكية التى قامت كتحد ضخم للرأسمالية وكان هذا التحدى هو أحد عناصر قيام دولة الرفاهية وتقدمها فى الغرب الرأسمالى، وحالت بينه أيضا وبين رؤية انهيار دولة الرفاهية وهجوم الرأسمالية الوحشية فى المراكز الرأسمالية وفى جنوب العالم على السواء.

إذا كان ذلك كله قد حدث فإن «بهاء » عاصر وعايش انهيار الاشتراكية الديموقراطية وحركة التحرر الوطنى فى العالم الثالث وفى مصر، فقد شهد الإنقلاب على الناصرية، وكتب كثيرا عن الأخطاء والخطايا التى وقعت فيها وأدت للإنقلاب عليها ولكنه أبقى على ولائه للاشتراكية الديموقراطية معتقدا أنه يمكن فى المستقبل إنجاز مشروع جديد لها يتجاوز القديم وتتجلى علامات هذا الولاء فى تفاصيل كتاباته السياسية وفى

تأييده لاتفاقيات كامب دافيد، وعدم جذريته فى نقد النظام الرأسمالى من الأساس، وقد ظل وفيا شأنه شأن جمال عبد الناصر لفكرة الرأسمالية غير المستغلة التى تجلت فى كتاباته فى شكل الرأسمالية المنتهجة الرشيدة والعقلانية دون انتقاد لها أو استشراف لحدودها التاريخية.

فلندع بالشفاء «لأحمد بهاء الدين» لنستعيد قلما شجاعا مدافعا عن العلم والعدل والحرية قادرا على إثارة «الشغب» والإجماع فى آن واحد، بسيطا وثاقبا وهو ما لايتوفر إلا لنفر محدود من الكتاب الذين نظروا لعملهم باعتباره مهمة فحملوه محمل الجد ومنحوه القلب والأعصاب والضمير.

الهوامش :

(١) « يوميات هذا الزمان» أحمد بهاء الدين، مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة ١٩٩١ص١٢-١٣.

(٢) المصدر السابق ص٤٦.

(٣) المصدر السابق ص٦٦.

(٤) أيام لها تاريخ أحمد بهاء الدين ، دار الهلال- القاهرة ١٩٩٠ ص١٠٦-١٠٧.

(٥) المصدر السابق ص١١٠.

(٦) المصدر السابق ص١١٢.

(٧) المصدر السابق ص١٢٥٠.

(٨) المصدر السابق ص١٣٤.

(٩) المصدر السابق ص١٤١.

(١٠) المصدر السابق ص٨٠.

(١١) يوميات هذا الزمان ص٣٢

(١٢) المصدر السابق ص٢٠ وص١٠٦.

(١٣) المصدر السابق ص١٦٣.

(١٤) المصدر السابق ص١٧٥.

(١٥) أيام لها تاريخ ص١٣٠.

(١٦) المصدر السابق ص١٥٦.

(١٧) أيام لها تاريخ ص١٤.

(١٨) أيام لها تاريخ ص١٧.

(١٩) أيام لها تاريخ ص٢٨.

(٢٠) أيام لها تاريخ ص٩٨.

(٢١) يوميات هذا الزمن ص٥٥ .

(٢٢) أيام لها تاريخ ص٨٢.

(٢٣) أيام لها تاريخ ص٨٣.

(٢٤) أيام لها تاريخ ص٧٠-٧١ .

(٢٥) أيام لها تاريخ ص١٦٦.

(٢٦) أيام لها تاريخ ص١٧٣.

أحمد بهاء الدين صحفيا

لمعي المطيعي

اذا أردنا أن نفـهم شـخـصـيـة أحـمـد بهـاء الدين الكاتب الصـحفى المتميز علينا أن نسـيـر مـعـه منذ النشأة والتكوين والتعليم وخط سيرة وظروفه التى جعلت منه مفكرا مثقفا يلجأ القـراء إلى عـمـوده اليـومى الذى اعـتـاد أن ينشـره فى جـريدة *الأهرام* كل صباح .

*** بهو الأعمدة**

واذ كان قد عُرف لدى القراء فى مصر بهذا العمود على يمين الصفحه الأخيرة بجريدة الأهرام فقد اعتاد أيضا أن يطل على القراء بعمود آخر فى جريدة عربية شهيرة.

وقد أخطأ أحد الصحفيين فى مصر عندمااتهم أحمد بهاء الدين- كذبا- أنه يكرر نفسه فى هذين العمودين. ولم يكن هذا صحيحا. وفى ندوة أقمناها له فى قاعة الاحتفالات بالهيئة المصرية العامة للكتاب- وسوف أعود إليها هنا- وصفت عموده

فى الأهرام بأنه (بهو أعمدة) وليس مجرد عمود واحد وذلك لما يتصف به من فكر ومعلومات وموقف صائب وجرىء .

* الأسرة

والأسرة التى ينتمى إليها أحمد بهاء الدين من قاع الريف المصرى من قرية (الدوير) بمحافظة أسيوط، وكان بين الحين والحين يذكر هذه المعلومة.. وأنه من قرية الدوير ومن أسرة متواضعة وابن لموظف صغير .

وكان وفيا ومنحازا لغالبية الشعب المصرى محددوة الدخل ووفيا لمحافظته أسيوط .يتألم قلمه وتحتد نبرته إذا ما وقعت أية أحداث فى أسيوط .

فى الأسبوع الأول من أكتوبر عام ١٩٨٧ قام الرئيس حسنى مبارك بزيارة تفقدية للهيئة المصرية العامة للكتاب، وكنت مكلفا بدعوة عدد من الأساتذة المفكرين والمثقفين والكتاب والصحفيين للقاء الرئيس عقب جولته فى مبنى الهيئة. وقمت باستقبالهم واصطحابهم إلى مقر اللقاء .

وأذكر الآن عددا من كبار الحاضرين الذين رحلوا إلى رحاب الله. د.زكى نجيب محمود، د.محود علام، د.لويس عوض، عبد الرحمن الشرقاوى، موسى صبرى، د.يوسف إدريس وكانت قد وقعت أحداث طائفية بأسيوط وعرج البعض فى الحديث عنها فى

وجود الرئيس مبارك، وفوجئنابابن الدوير، ابن أسيوط وبنبرة حادة يطلب أن ينقل رئيس الوزراء مكتبه من القاهرة إلى أسيوط وسط الأحداث، هذا ما حدث من أحمد بهاء الدين الدويرى الأسيوطى المصرى، ولعل من كان موجودا معنا ولم يزل على قيد الحياة- مد الله فى أعمارهم- يذكرون هذه الواقعة وأذكر منهم الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة وقت ذاك والذى كان يجلس إلى جوارالرئيس، والدكتور أسامه الباز، والشاعر محمد التهامى، والمؤرخ العسكرى جمال حماد والدكتورعبد العظيم رمضان. وهذا يكفى للشهادة على هذه الواقعة والتى تدل على غيرة بهاء الدين على وحدة الشعب العظيم .

لقد كان كاتبا صحفيا يضع قلمه فى خدمة الشعب.

* إدارة التحقيقات

درس أحمد بهاء الدين فى كلية الحقوق، ودراسة الحقوق كما تعلم تطبع أصحابها بالتدقيق بين السطور وتحليل عناصر القضية والوصول إلى نتائج والدفاع عن الرأى الذى يصل إليه الدارس، قوة الحجة وأظن أن أحمد بهاء الدين كان يتمتع بهذه الصفات كلها ففى كتاباته التسلسل المنطقى، وقوة الحجة، وسلامة المنطق والدفاع عما يرى من أفكار .

وكانوا ثلاثة، تخرجوا فى الحقوق وعملوا معا فى إدارة

التحقيقات بوزارة المعارف: عبد الرحمن الشرقاوى - رحمه الله - وفتحى غانم - متعه الله بالصحة - وأحمد بهاء الدين - رده الله الينا وقلمه فى يمينه، كان الشرقاوى أسبقهم تخرجا وأكثرهم ارتباطا بالحياة الصحفية والسياسية فى ذلك الحين..

وعرفت من «الشرقاوى» أنهم فى تلك الفترة تأثروا باثنين... الأول مفيد الشوباشى المثقف الشريف وكان معنيا بالدراسات الأدبية، والثانى توفيق الحكيم وكان اسما معروفا لامعا ربما حبّب إليهم الكتابة الصحفية والأدبية، وأعتقد أن عبد الرحمن الشرقاوى حاول أن يفتح لزميليه وصديقيه، أحمد بهاء الدين وفتحى غانم طريق العمل الصحفى والأدبى .

* مجلة فصول

وقد وجد أحمد بهاء الدين نفسه فى مجلة فصول التى كان يصدرها محمد زكى عبد القادر وفى تقديرى الخاص أن بصمات محمد زكى عبد القادر كانت مؤثرة على شخصية أحمد بهاء الدين وقد لقيت الصفات الشخصية لزكى عبد القادر أرضا خصبة فى طبيعة بهاء وفى تقديرى أيضا أن مجلة فصول كانت بأسلوبها وموضعاتها قريبة أيضا إلى طبيعة بهاء وسلوكه.

كان محمد زكى عبد القادر متواضعا لم تتعثر خطاه بفعل الغرور على الرغم من أنه بدأ يكتب عموده اليومى (نحو النور)

منذ عام ١٩٣٨ وهو بالقطع من أشهرالأعمدة الصحفية ومن أكثرها احتراما، ولعل الشاب بهاء حلم بأن يكون له مثل هذا (العمود) وربما أيضا تمثل الصفات التى تمتع بها «زكى عبد القادر» فى عموده (نحو النور).

وزكى عبد القادر آثر ألا ينضم إلى حزب من الأحزاب وهكذا لعل بهاء الدين .

ومجلة (فصول) اختارت منهجا رصينا موضوعيا تترفع به عن المهاترات ووجد فيها بهاء ضالته فكان يكتب مقاله ويذهب فى هدوء ويطرق باب المجلة ويسلم مقاله وينصرف وكتب محمد زكى عبد القادر بأنه فوجىء بمقالات هذا الشاب وحرص على أن يراه فوجده شابا قصيرا خجولا فدعاه إليه واتفق معه على أن يكتب مقالا لفصول الشهرية وأثنى على أفكاره وأسلوبه وموضوعيته وشخصيته المستقلة..

وكما كان محمد زكى عبد القادر مستقلا أصبح أحمد بهاء الدين كذلك، كانت له آراء ومواقف مؤيدة للوفد ولكنه لم ينضم إلى الوفد، وكانت له علاقات ومناقشات وصداقات مع عناصر ماركسية كثيرة إلا أنه لم ينضم إلى أى تنظيم ماركسى بل أنه- فيمابعد- كانت له صداقات مع البعثيين فى سوريا والعراق وخاصة مع المؤسس الثانى لحزب البعث «صلاح البيطار» إلا أنه لم ينضم لحزب البعث ولم يدخل أيضا أى تنظيم تنظيمات ثورة

يوليو لا هيئة التحرير ولا الاتحاد القومي ولا الاتحاد الاشتراكي حافظ على قلمه المستقل يكتب ما يراه صوابا.

وفي تقديري أن موقف بهاء المستقل حماه من الهزّات كتلك التي تعرض لها غالبية المثقفين في مصر، لم يتعرض للاعتقال أو السجن أو التشريد، عرضوا عليه منصب وزير الثقافة فرفض واحتفظ بقلمه كصحفي وككاتب وهذا هو الذي جعله يحظى باحترام القارئ والسلطان معا.

* مدرسة روز اليوسف

كانت مدرسة روز اليوسف أكثر المدارس الصحفية ملاءمة لنشاط الصحفي أحمد بهاء الدين وذلك للأسلوب الذي اتبعه الكاتب الصحفي الراحل إحسان عبد القدوس.

هامش من الحرية للعاملين بهذه الدار، أطلق الإبداع الكامن لدى الكتاب والفنانين الذين عملوا بها ونشأت ألفة شخصية بين غالبيتهم فازدهرت مجلة روز اليوسف في تلك الفترة.

وجاءت الفرصة عندما قررت الدار إصدار مجلة (صباح الخير) وأسندت رئاسة تحريرها إلى بهاء الدين وضع لها خطا رئيسيا.. مجلة تخاطب الشباب.. عقولهم وقلوبهم شيء من السياسة في قالب مشوق الجرأة في اقتحام المشكلات بعض الأدب دون قلة الأدب.. ونجحت المجلة ونجح أحمد بهاء الدين

ليس كمجرد كاتب وإنما فى المقام الأول كرئيس تحرير له أسلوبه الصحفى وأسلوبه فى الإدارة .

* أخبار اليوم

ودخل أحمد بهاء الدين دار أخبار اليوم كرئيس للتحرير وعليه أن يتعامل مع التوأمين المشهورين ونستطيع أن نقول أن أحمد بهاء الدين لم يكن يتفق تماما مع توجهات (أخبار اليوم) لاتاريخيا ولاسياسيا ولافكريا ولكنه بذكاء شديد بدأت شخصيته تظهر فى الدار وأعطى صحف أخبار اليوم اهتماما بالسياسة الخارجية على أساس عملى مدروس، بما تنشره كبريات المجلات فى العالم الخارجى مثل (التايم والنيوزيك) واهتم أيضا بالجانب الثقافى والأدبى، باختصار أعطى صحف أخبار اليوم طعما جديدا .

أما علاقته بالأخوين التوأمين فكانت طريفه وكما كتب هو ذات مرة أنه استراح للتعامل مع على أمين - رحمه الله- وكان يعمل حسابا لتعامله مع مصطفى أمين، وجد فى «على» شخصية مباشرة، رد الفعل عنده سريعا، اذا غضب فإنه سرعان ما يصفو.. «على» قلبه أبيض وقال عن «مصطفى» إنه لايظهر ما يبطن ثم يظهر الحساب ولو بعد فترة أى أنه (يخزن أو يشيل) على أية حال نجح أحمد بهاء الدين فى دار أخبار اليوم .

وفى كل الأحوال كان اسمه محترما لدى الذى يعرفه أو لايعرفه واستخدم احترام اسمه فى معاونة زملائه اذا ما وقعوا فى ورطة، اذكر أن زميلنا الراحل محمد جلال كشك كان بعد خروجه من المعتقلات قد أسس ما أسماه (كشك بريس) فى شقته بشارع اسماعيل محمد بالزمالك وعمل هذه الكشك بريس يتلخص فى طالب بقسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب يستمع إلى الإذاعات العربية ويترجمها إلى اللغة الانجليزية ويقوم محمد جلال كشك ويقوم كشك بتوزيع النشرة الصغيرة على السفارات الأجنبية، وفوجئنا باعتقال جلال كشك. وقيل إن وراء هذا الاعتقال هو أحد معاونى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وتم وضع هذه البيانات كلها أمام أحمد بهاء الدين وبعدها تم الإفراج عن الصحفى محمد جلال كشك.

* دار الهلال

وعندما تولى أحمد بهاء الدين مسئولية دار الهلال وكان لم يزل صغير السن وهناك عتاولة أمثال الصحفى الكبير فكرى أباظه والشاعر الكبير صلاح جودت والصحفى المخضرم صبرى أبو المجد، ولكن بهاء الدين كان مسموع الكلمة محبوبا من الجميع. وسارت مركب دار الهلال هادئة بفضل توجيهات بهاء الذكية، وأخذت مطبوعات دار الهلال سمت الوقار كسابق عهدها.

* الأهرام

وأعتقد أن فترة الصحفى أحمد بهاء الدين فى الأهرام شبيهة إلى حد كبير بدار الهلال، كلاهما دار لها تاريخ، وكلاهما به عناصر تقليدية أضاف إليها «بهاء» الحركة الهادئة، وكان أسلوب بهاء فى الأهرام موضع خلاف بين الصحفيين ولوحظ أن أرقام التوزيع للأهرام فى تلك الفترة كانت أقل من المعتاد لأن بهاء ليس من مدرسة الإثارة الصحفية .

* نقابة الصحفيين

على أية حال فإن الصفات التى تميز بها أحمد بهاء الدين جعلت منه شخصية هادئة ليقود نقابة الصحفيين فى فترة انصرف فيها الصحفيون عن حضور الجميعات العمومية، وكثرت الخلافات بين الصحفيين .

* يوميات هذا الزمان

ثم اضطرت الظروف المرضية الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين إلى الإحتجاب عن قرائه الذين ينتظرونه كل صباح وغاب عموده (يوميات) وحل محله إعلان عن أى شىء.

وكان أمرا طيبا من الأهرام ومن زميله وتلميذه مصطفى نبيل إصدار الكتاب المعروف (يوميات الزمان) وقدم له بمقدمة ودودة الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل وفى إحدى ندوات(كاتب وكتاب) التى كنت أعدها وأقدمها فى المعرض

الدولى للكتاب أدرجت كتاب(يوميات هذا الزمان) لعرضه ومناقشته وتحدثت إلى الأستاذ هيكل أرجوه أن يشارك فى مناقشة هذا الكتاب الذى قدم له ولظروف خاصة به اعتذر فلجأت إلى الزميلين العزيزين الأستاذ لويس جريس والأستاذ مصطفى نبيل وحضرا وأثريا الندوة .

حاولت من السيدة الفاضلة أن تحضر الندوة وتصحب معها الأستاذ بهاء ولكن ظروف المرضية حالت دون ذلك.

* أيام لها تاريخ

وفى منتصف الطريق أراد الله سبحانه وتعالى أن يحتجب بالمرض الكاتب الصحفى الكبير أحمد بهاء الدين وحسنا فعل الأهرام بإصدار كتاب (يوميات هذا الزمان) ليكون نموذجا ليومياته الفريدة.

وفى بلادنا من الصعب أن تفصل بين الصحفى والكاتب، غالبية الصحفيين كانت لهم كتبهم كان هكذا عباس محمود العقاد وابراهيم المازنى وأحمد الصاوى محمد إلى جانب أعمالهم الصحفية كانت لهم كتبهم التى أصدروها .

وقد أصدر بهاء الدين كتابا هاما فى فترة باكرة هو (النقطة الرابعة) وله كتاب آخر هام (أيام لها تاريخ) وحسبه أن هذا العنوان قلده الكثيرون واستعاره الكثيرون.

وتحية لأحمد بهاء الدين ابن الدوير، ابن أسيوط ، ابن مصر.

أحمد بهاء الدين: مفكر يعمل بالصحافة

د. محمد الرميحي

أيها الإخوة

«الرجل المناسب في المكان المناسب في الوقت المناسب» ربما كانت هذه العبارة هي أنسب وصف لاختيار المفكر العربى الكبير أحمد بهاء الدين لرئاسة تحرير مجلة العربى الكويتية فى نهاية عام ١٩٧٥، والذى استمر فى العمل بها حتى نهاية عام ١٩٨١.

ومن المعروف أن مجلة العربى الكويتية كان قد صدر العدد الأول منها فى أول ديسمبر سنة ١٩٥٨ برئاسة العالم الأديب أحمد زكى رحمه الله.

وقد كان صدور هذه المجلة بالصورة التى ظهرت بها وبالمنحى الذى اختارته في خدمة الثقافة العربية والذى تمثل فى أن تفتح صفحاتها لأفضل كتّاب العربية من كل الأقطار لتخاطب القراء العرب فى جميع أرجاء الوطن العربى، وبما أتيح لها ولكتابها من حرية واستقلال فى التعبير عن آرائهم وأفكارهم، كان هذه المجلة - بهذه المثابة - تعبيراً صادقا عن المناخ الديمقراطى الرحب والأصيل الذى عرفت به دولة الكويت منذ نشأتها.

كما كانت تعبيراً عن سياسة ثابتة لدولة الكويت في دعم العمل العربي الثقافي المشترك رعاها دائما سمو أمير البلاد وولي العهد رئيس مجلس الوزراء، ووزارة الإعلام الكويتية.

ولقد ساعدت هذه الصبغة التي حافظ عليها جميع رؤساء تحرير المجلة في كل العهود، على أن تقوم مجلة العربي بدورها التنويري الهام في كل الظروف الصعبة التي مرت بالوطن العربي خلال العقود الأربعة الماضية، ولقد برهنت كل المتغيرات التي عبرت بأوطاننا العربية على أن هذا الدور التنويري كان هو القيمة العظمى التي لم يختلف بشأنها أحد ولم تتغير منها المواقف. وقد جاء اختيار الكاتب العربي الكبير أحمد بهاء الدين ضمن التوجه الكويتي الثابت في استقطاب الكفاءات العربية، في كل المجالات إيماناً منها بأن مردود عمل هذه الكفاءات سيعود إلى الوطن العربي كله وإلى المواطن العربي حيث كان.

فالأستاذ أحمد بهاء الدين أحد كبار المؤمنين بفكرة القومية العربية، وأحد كبار المفكرين العرب الذين عملوا بالصحافة فأمكنه أن يمزج - بعبقرية نادرة - بين القدرة على الوصول الى العمق في أعقد القضايا والتعبير عنها في بساطة ويسر بحيث تصبح في متناول القارىء العادي، هذا الكاتب يأتي إلى مجلة العربي ليقود سفينتها في مرحلة قُدِّرَ لها أن تشهد أقسى

وأعنف صور التمزق العربى آنذاك الذى بدأ بالحرب الأهلية اللبنانية ووصل الى ذروته بعقد معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، وكان من المذهل أن يحدث كل هذا التمزق بعد أن حقق العرب بتضامنهم أول انتصار عسكرى لهم ضد اسرائيل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأول استخدام سياسى ناجح لقوة البترول العربى، فكيف تعامل الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين من خلال مجلة العربى، مع الأحداث العربية المتفجرة، ومع الأحداث العالمية التى كانت ترهص بالمتغيرات الكبرى التى بدأت إنذاراتها فى أوائل الثمانينيات ووصلت إلى ذروتها فى نهايتها؟ قد لا تسمح طبيعة هذه الكلمة التى لا تدخل فى نطاق البحوث أو الدراسات برصد دقيق للدور الذى قام به الكاتب الكبير من خلال مجلة العربى.

ومن هنا فإن هذه الكلمة سوف تكتفى بإلقاء شىء من الضوء على منحى الكاتب فى تناوله للقضايا والمشكلات، وكيف تفاعلت شخصية المفكر أحمد بهاء الدين مع شخصية الصحفى فيه، سواء فيما يتصل بما كان يكتبه بنفسه من مقالات فى المجلة أو فى إدراته لسياسة المجلة واختيار المادة التى كانت تنشر فيها آنذاك، إذا ألقينا نظرة طائر على عيِّنة من المقالات التى كتبها أحمد بهاء الدين فى مجلة العربى فى الفترة التى رأس فيها تحرير المجلة، وراعينا أن تمثل هذه العينة مختلف المجالات التى كتب فيها فسوف نجد ما يلى:

«العرب ولبنان» وهى عن الحرب اللبنانية، «نحن نعيش الحرب الصليبية العاشرة»، «العالم كله ضد الوحدة العربية»، «نحو نظرية أمن عربية شاملة»، «سنة التمزق العربى» وكان يتحدث عن سنة ١٩٧٧، «منطق حروب المائة سنة»، ثم نأخذ عينة أخرى فى مجال آخر «حضارات تزدهر ثم تهوى»، «حضارة الغرب بين السماحة والإباحة» «رؤية من لندن»، «لغز ماوتسى تونج أم لغز الصين»، «الشخصية الأمريكية»، «جان جاك روسو وفولتير»، «الحوار بين الحضارات»، «عقل جبار وضمير قلق» والمقال عن «برتراند راسل».

وفى مجال ثالث نجد هذه العينة «المثقفون والسلطة فى البلاد العربية»، «النخبة والجماهير»، «شرعية السلطة فى العالم العربى»، «معنى القانون».

من كل هذه العناوين يمكننا أن نلاحظ سيطرة المفكر على الصحفى، قد يكون وراء اختيار هذه الموضوعات خبر هنا أو حادث هناك، ولكن الخبر نفسه أو الحادث يكون مجرد مناسبة للدخول فى قضية كبرى تشغل منذ وقت بعيد عقل الكاتب المفكر وتؤرقه، وحتى بعد كتابة المقال الخاص بالقضية تبقى القضية تؤرق عقل الكاتب فيعود إليها مرة أخرى فى مقال ثان أو ثالث، قد يختلف العنوان قليلا ولكن القارىء يدرك أن الكاتب يعود إلى القضية ذاتها من زاوية جديدة وربما فى ضوء أحداث جديدة فيغوص فيها إلى أعماق أبعد وبأسئلة جديدة ليصل الى

نتائج مختلفة أو ليؤكد حيرته أو ليعيد صياغة أسئلته وتلك هى طبيعة المفكر المستقل الصادق الأمين مع نفسه ومع قارئه.

وهذا هو جوهر منهج الكاتب المفكر أحمد بهاء الدين جدل لاينتهى بين الثابت والمتغير عبر عقلانية هادئة ولا نقول باردة وسنكتفى باختيار نموذج لتجسيد هذا المنحى عند الكاتب الكبير «أحمد بهاء الدين» من خلال كتاباته فى مجلة العربى وحدها، مع أن النماذج ممتدة في كل ما كتب، قبل العربى أو بعدها، ففى مقاله بعنوان «حضارات تزدهر ثم تهوى» فى عدد أبريل ١٩٧٦ من مجلة العربى يقول الكاتب «هذا الموضوع كان دائما ولايزال يحيرنى كثيرا ويثير اهتمامى فى محاولة فهمه والبحث عن أسبابه ثم يقول إن النمو والتقدم فى حياة أى مجتمع أمر طبيعي ومفهوم ولكن السؤال اللغز هو لماذا يحدث العكس؟ ما الذى يجعل نظاما متكاملا للحكم يسقط؟ وازدهاراً كبيراً للعلوم والفنون والقيم السائدة ينهار ويتهاوى؟! ثم يستعرض الكاتب المفكر آراء العديد من المفكرين والعلماء الذين وقفوا أمام هذا السؤال من أوزوالد شبنجلر إلى توينبى وقبلهما ابن خلدون... وأنت هنا مع المفكر الذى يملك موهبة الصحفى القادر على تبسيط وتقديم خلاصات الأفكار فى عبارات واضحة تجعل من القارىء العادى شريكا فى الاحساس بالمشكلة... مؤهلا للتفكير فيما يصل إليه الكاتب من آراء بل وإلى حد تحريضه على الاختلاف معه... وفى هذا المقال يصل

الكاتب الى نوع من الاعتقاد بأن الحضارة تنشأ بسبب وجود فكرة كبيرة يؤمن بها رجال من ذوى العزم والقوة، وعادة ما تتجاوز هذه الفكرة حدود حياتهم الشخصية، كما أنها لابد أن تنطوى على أفكار إيجابية بناءة للحياة وللناس وللمجتمع ويندفعون في تحقيقها إلى حد أن يصبحوا قدرة لغيرهم من الأفراد والجماعات، وفى البداية تكون فكرة الواجب هى السابقة على فكرة الحق وتكون المتعة الروحية هى السابقة على المتعة الحسية ثم تتوازن القيمتان.. العطاء والأخذ المتعة الروحية، والمتعة الحسية لجيل أو أجيال حتى تؤتى مثل هذه الحضارة درجة أو درجات من الوفرة أو الرفاهية ثم يأتى جيل أو أجيال يصبح أكثر ميلا الى أن يستوفى حقه قبل أن يؤدى واجبه وربما دون أن يؤدى واجبه، وتسبق أو تسود المتع الحسية على المتع الروحية والنفسية والعقلية.. فيدب الانحلال الى الحضارة.. ولكن ما هكذا ينتهى اللغز فى بساطة، بل تبقى التساؤلات: ما القوى التى يمكن أن تضبط هذا التوازن؟ وما العوامل التى يمكن أن تعجل بهذا الخلل أو تمنعه؟ إن هذه التساؤلات نجدها وراء عودة الكاتب إلى القضية ذاتها فى مقال آخر وفى وقت آخر أثناء زيارته إلى لندن، المقال بعنوان «حضارة الغرب بين السماحة والإباحة» رؤة من لندن والزمن مايو عام ١٩٨١.

يتساءل الكاتب فى بداية مقاله مرة أخرى ما معنى الحضارة

بشكل عام حتى نستطيع أن نتتبع بزوغها وأفولها؟

ونكتفي من تعريفات الكاتب للحضارة بهذه الإشارة الى جوهر فكرة الحضارة عنده يقول: أننسى حيرة الجبرتي مؤرخ مصر أيام الحملة الفرنسية إذ يتعجب من أن أي مملوك مؤمن كان يقطع رقاب عباد الله المسلمين مثله دون حساب في حين أن الجيش الفرنسي حين قبض على سليمان الحلبي قاتل كليبر متلبسا واعترف بجريمته، ومع ذلك شكل الجيش له محكمة، وأتى له بمحام للدفاع عنه، وأجرى محاكمة علنية، قبل إصدار الحكم عليه بالإعدام مع أنهم كفار ثم يقول الكاتب:

«بهذا المعنى نفهم الحضارة، ونرى أن إنجلترا كمجتمع - مع نفسه لامع غيره - حقق درجة عالية منها، ولكن هل تكون الزيادة أكثر من اللازم حتى في المزايا هي بداية النهاية...

ثم يقول الكاتب: «إن شيئا من هذا نراه في انجلترا، وهو تجاوز مجتمع السماحة إلى مجتمع الإباحة.

هناك حكومة يمينية متطرفة برئاسة مسز تاتشر وجدت أن العلاج الوحيد لحالة إنجلترا الاقتصادية هو إلغاء قوانين حكومة العمال الاشتراكية منذ عام ١٩٤٥، وجهة نظر الحكومة أن إنجلترا صارت تعيش ترفا أكثر من مواردها، وجاء الرد في صورة اضرابات متوالية تزيد فوق الخسائر خسائر أخرى وحق الإضراب في إنجلترا جزء من قوانين المجتمع وله قواعده.

ثم يقول أحمد بهاء الدين: «القضية التى استوقفتنى ليست الاضراب، ولا قسوة الظروف، ولكن المدهش حقا أن يحدث كل هذا الصراع والتناقض دون حادث شجار واحد، ودون أن يقذف واحد الآخر بحجر، وهذا الأمر المدهش يكاد لا يحدث إلا فى انجلترا فقط، (فرنسا لا يحدث فيها هذا بهدوء) ومع ذلك فإن ما يحدث فى إنجلترا سيؤثر فى مسار المجتمع الغربى كله، وإذا حاولنا تأمل ما سوف يحدث سنجد أنفسنا أمام السؤال الذى طرحته أول هذا الحديث. هل زادت السماحة فوصلت إلى منطقة الإباحة؟ السماحة قوة، والإباحة بداية ضعف الدولة، فالإضراب شمل ضباط الجمارك فى المطارات وضباط قواعد الصواريخ، وترك الدولة بحدود مفتوحة دون دفاع قط لمدة ٢٤ ساعة سماحة أم تجاوز للمعقول وإباحة؟ هل هو الخيط الأبيض مع الخيط الأسود ساعة فجر تطور جديد، أو ساعة أفول وغروب ومغيب، وللفجر والغروب لونان متقاربان!

وإذا كانت المشكلة في إنجلترا قلعة الحضارة الغربية هى أن كفه الميل إلى الرفاهية والوفرة هى التي رجحت على كفة بذل المجهود، وأن الرغبة في الحفاظ على هذه الرفاهية دفعتهم إلى المبالغة فى نيل الحقوق مثل حق الاضراب، ولو أدى إلى زيادة الخسائر، ولو أدى الى انكشاف الحدود إذا كانت هذه - فى انجلترا - هى الثغرة التى قد تؤدى الى انحلال الحضارة.. فما الذى يمكن أن تصير إليه الأمور لو أن كفة الواجبات،

وسيادة قيم الانضباط والعمل ومصلحة الجماعة هى التى رجحت؟ ولم يكن هذا السؤال مجرد سؤال نظرى فلسفى، بل كان هذا هو ما حدث تماما فى الصين بعد ما يزيد على نصف قرن من الثورات والحروب التى قادها «ماوتسى تونج»..!

وفى واحد من أهم المقالات التى كتبها أحمد بهاء الدين فى مجلة العربى بعنوان «لغز ماوتسى تونج أم لغز الصين؟!» وبعد عرض رائع ممتع لكفاح ماوتسى تونج ودوره فى بناء الصين الحديثة، أوضح الكاتب كيف أن ماوتسى تونج نفسه: هو الذى كان يرفع أمام الصينيين شعار «دع مائة زهرة تتفتح» بعد نصف قرن من الثورة المتواصلة.. فهل كان الرجل يشعر بأن المرجل يوشك أن ينفجر؟ أم أنه حين أمر برفع الغطاء كان يريد أن يبصر ما فى داخل المرجل؟ لأنه يشك وما الذى أبصره يا ترى حتى عاد يرفع شعار «القفزة الواسعة إلى الأمام» ثم لا يلبث أن يعلن بعد ذلك عن «الثورة الثقافية»؟!

يقول الكاتب الفرنسى «مالرو» فى تفسير هذه الألغاز «إن ماوتس توج كان لديه ذلك القلق العميق الذى يلازم الثوار من أن حرارة الدعوة بعدهم تخبو، فمن يضمن له ألا يخرج بعده خروشوف آخر يلعنه كما لعن خروشوف ستالين؟!

هكذا كان المفكر أحمد بهاء الدين يفتش فى صدور الرجال وفى أحداث الحاضر والماضى، وفى شوارع المدن كما فى صفحات الكتب عن المعانى الحائرة وراء القضايا الكبيرة التى

تشغله «كيف تزدهر الحضارات وكيف تنهار؟؟» وعينه وقلبه على محاولات أمتنا العربية للنهوض بعد طول تعثر وبهذا المنحى ذاته ناقش في كل المقالات التي كتبها في العربي في هذه المرحلة قضايا العروبة والثقافة والفكر بروح المفكر الذي لا يتوقف عند زاوية واحدة، ولا يستريح لإجابة واحدة يلقى عندها الرحال، وبقلم الصحفي الذي لا يقنع بأقل من جميع القراء.

هذه كانت لمحة عن منحى الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين في تعامله مع القضايا التي يتناولها بقلمه فهل يمكن أن نختتم هذه الكلمة بلمحة أكثر إيجازا عن طريقة أحمد بهاء الدين في سياسة مجلة العربي.

كان للكاتب أحمد بهاء الدين كلمة مشهورة يرددها دائما.. كنصيحة لكل من يتولى مسئولية جديد في إدارة مؤسسة صحفية ناجحة، كان دائما يحذر هؤلاء المسئولين الجدد من أن يتورطوا في خطيئة قلب كل شيء في المؤسسة رأسا على عقب، وكان يدعوهم إلى سياسة أخرى أكثر حكمة فمادامت المؤسسة الصحفية ناجحة بمعنى من المعاني، فلنحافظ على هذا القدر من النجاح.. حتى لا نخسر قارئا واحدا من قراء المطبوعة الصحفية القدامى ثم فلنحاول أن نكسب إلى القراء القدامى قراءا جددا عن طريق التطوير المتدرج الهادىء الذي يتجه إلى تحسين الكيف والى تحسين المضمون دون أن نحدث صدمة للقارىء القديم وبخاصة في شكل المطبوعة، وهذا ما فعله في

مجلة العربى فى الفترة التى تولى فيها رئاستها، حافظ على صيغة التنوع الثقافى التى وضعها الدكتور أحمد زكى...

تنوع فى المادة بين العروبة والاسلام والقضايا العامة والعلم والطب والأدب والتربية والتاريخ والاجتماع إلخ..

وتنوع فى كتاب هذه المادة حتى يتلاقى - على صفحات المجلة - الكتاب من كافة الأقطار العربية مع القراء من كل هذه الأقطار.

وكان من الطبيعى أن يظهر التطور تارة فى اختيار القضايا المطروحة وتارة فى اختيار الكتاب، وشاء القدر أن يلتقى فى الكويت - فى هذه المرحلة - عدد من أهم الكتاب العرب للعمل فى جامعتها وفى مؤسساتها العلمية والتعليمية، ووجد هؤلاء جميعا على صفحات العربى متنفسا لآرائهم، ومهما تكن التيارات الفكرية أو السياسية التى ينتمون إليها.. فى هذه السنوات كان يكتب للمجلة في الاقتصاد كتاب مثل د/ حازم الببلاوى وإلى جواره - رغم اختلاف التوجه - د/ جلال أحمد أمين وفى مجال الفكر كان يكتب د/ زكى نجيب محمود والى جواره - رغم اختلاف التوجه - د/ فؤاد زكريا.

وفى مجال الفكر الاسلامى كان يكتب د/ أحمد كمال أبو المجد وسعيد العشماوى ود/ عبد الهادى أبو ريده ، وفى مجال

العلوم كان يكتب المرحوم الكاتب الفذ د/ عبد المحسن صالح، وفي مجال التاريخ كان يكتب د/ شاكر مصطفي وغيرهم كثيرون.

وتطورت فكرة الاستطلاعات فخرجت عن إطار الوطن العربى الى العالم الاسلامى ومن استطلاع مدينة إلى استطلاع مناطق بأسرها يمكن أن تكون بؤرة للتوتر مثل القرن الإفريقى أو ملتقى للطرق مثل المضايق بين البحار.. كما تطور المقال العلمى الواحد إلى فكرة الملف العلمي المتكامل عن موضوع علمى بدأ يشغل الانتباه مثل قضية طفل الأنابيب فى حينها أو قضية اللعب فى الجينات.. إلخ.

أيها الإخوة... هذه لمحات موجزة لا تقول شيئا بالنسبة لما ينبغي ولما يستحقه كاتبنا ومفكرنا العربى الكبير د/ أحمد بهاء الدين تحية عرفان وتقدير منى شخصيا ومن بلد قدر الرجال وفضلهم.. فله كل التحية ولكم كل الشكر على أن أتحتم لى تقديم هذه التحية.

★ شهادة ★

أحمد بهاء الدين

فتح للشباب باب الشهرة .. والزواج

محمود قاسم

كتب أحمد بهاء الدين في مقاله الرئيسى في مجلة العربى في أحد أعداد ١٩٨١ بمناسبة حديثه عن ثقافة العصر أنه في الأربعنيات كان المثقفون الشباب يقرأون أدب الشباب العالمى في مصر والعالم العربى وذلك بمجرد صدورها في بلا دها أى أن القراء في هذه الفترة كانوا يتابعون إبداع الكتاب العالميين من الشباب "آنذاك مثل جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار وأرنست هيمنجواى بالإضافة إلى الكتاب المخضرمين أيضاً في تلك الآونة مثل أندريه جيد دبرناردشو وجان كوكتو الذين زارو مصر وكتبوا عنها في رحلاتهم.

وفى مقاله الشهير هذا ولا أدرى لماذا لم يتم تجميع هذه

المقالات فى كتاب فى مثل هذا المؤتمر على الأقل. لنشارك الكاتب الكبير عن أحوال الثقافة العالمية فى مصر فى الثمانينات وأيضا فى العالم العربى. فهل نعرف أسماء الأدباء البارزين فى ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة مثلما كان يعرفها جيل أحمد بهاء الدين والمبدعين فى العالم من جيل الأربعينات .

كان الكاتب يتحسر على انحسار الثقافة العالمية وأيضا أحوال الترجمة وتساءل عمن يكون من الكتاب الذين يكتبون الآن عن هذه الآداب وعن الجديد من الكتب والإتجاهات الفكرية والمدارس الإبداعية وأشهر الأدباء.

عندما قرأت هذا المقال في أغسطس ١٩٨١ أحسست أن الأستاذ/ أحمد بهاء الدين ينادينى وكأنه يعزف معى على نفس الخط.. فقد كنت أحس بنفس أفكاره وأعانى من نفس الأشياء.. فالترجمة انحسرت- لواحد يتحمس لنشر مقال عن كاتب مغمور بالنسبة له. رغم تواجده العالمي وعلى سبيل المثال فإن بعض المجلات التى كنت أرسل إليها هذا النوع من المقالات .

كانت تردها إلي وعليها عشرت التساؤلات من هو الكاتب؟ وما هى أهميته؟ وما الداع لنشر مقال عنه؟

الوحيد الذى بدأ متحمسا لما أكتب هو صحفى كانت بيننا

مراسلات دون أن أعرفه وأكن له كل مودة وعرفان بالجميل حتى الآن وبعد خروجه إلى المعاش. كلما قابلته أذكره بما فعله معى اسمه «أحمد» والذى كان مشرفا على القسم الثقافى بجريدة المساء ونشر لى العديد من المقالات فى الجريدة وذلك باعتبار أن الصفحة كانت تفتح آفاقا للكتاب الشباب.

وما إن قرأت هذا المقال حتى أحسست أننى وجدت ضالتى فى سطور الكاتب وأنا الذى أعرف الأستاذ./ بهاء ككاتب سياسى أكثر منه فهما بالثقافة العالمية على الأقل وعلى الفور استجمعت نسخا من هذه المقالات المنشورة فى الجريدة وكتبت مقالا عن كاتب فرنسى شهير فى تلك الآونة - وما أبرز الأدباء فى الربع قرن الأخير - هو / باتريك موريانو وكان المقال تحت عنوان «الموريانية».

وأرسلت إلى الأستاذ بهاء مظروفا أشير فيه أن الزمن الذى تصوره فى انتهى لايزال موجودا وأن هناك فى الاسكندرية شبابا يهتمون بكل ما هو جديد فى العالم يقرأون عنه ويتابعونه وأنهم فقط ينتظرون الفرصة وشخصيات تفكر بطريقة أحمد بهاء الدين.

وتوقعت بعد ذلك أن يصلنى الرد بعد فترة لكنه جاء أسرع مما تصورت وكان الرد على النحو التالى :

السيد /.....

وصلنا مقالك عن «الموريانية» وأنا أشكرك على هذا الاهتمام ونعلمك أن المقال سوف ينشر فى عدد يناير القادم وأرجو متابعة إرسال مقالات أخرى عن كتاب يمثلون ثقافات مختلفة.

التوقيع: أحمد بهاء الدين

وهل هناك ما هو أسعد من هذا المقال يمكن أن يصل إلى كاتب شاب وفى مجلة العربى وقد كنت أيامها أكثر أبناء جيلى تأزما لظروف خاصة وجاء الرسالة لتفتح لى الأفق والآمال بدت كأنها البلسم الشافى من كل الأمراض وعكست فكر هذا الرجل المثقف الجميل فهو لم يوافق فقط على نشر مقالى عن باتريك موريانو وذلك بعد شهرين فقط من إرساله بل يطلب منى أن أرسل إلى المجلة مقالات أخرى عن أدباء عالميين آخرين يمثلون ثقافات مختلفة معاصرة حتى لانكون أسرى لثقافة أحادية .

وهل هناك فى الصحافة العربية من يمتلك هذه العقلية وهل هناك رئيس تحرير أعطى فرصة لكاتب جديد مثلما فعل أحمد بهاء الدين.

فالآن بعد أربعة عشر عاما من هذه التجربة فإننى لم ألتق بمن فعل هذا بنفس الدرجة وإن كنت لا أنسى دور كمال النجمى

رئيس تحرير الهلال الأسبق ثم مصطفى نبيل رئيس تحرير الهلال الحالى.

وإذا كانت الفرحة غامرة يوم وصول المقال فالفرحة كالسيل المتدفق يوم أن طالعت مقالى عن «موريانو» فى ست صفحات وصورة الكاتب تنشر لأول مرة فى مطبوعة عربية. أحسست أن هناك مجلة متطورة تتكلم عن نفس الشخص فى نفس الفترة التى يبرز فيها فى مجلات كبرى منها، لير. ماجران. ليترير، «كاتزان ليترير» وغيرها .

وقبل أن أقرأ خطاب الأستاذ/ بهاء للمرة العاشرة كنت قد أرسلت المقال الثانى عن الكاتب البريطانى انطونى بيرجيس(١٩١٧-١٩٢) ثم مقالا عن الكاتب الأمريكى.. إيريك سيجال صاحب رواية «قصة حب» وتتابعت المقالات المنشورة فى المجلة عن الكاتب التشيكى «خوسيه نوسو» .

وعن الكاتبة الفرنسية التى دافعت عن العرب. كلير اتشرللى وعن الكاتبة الزنجية جيمى بولدوين . وعقب فوز جابرييل جاريثا ماركيز بجائزة نوبل سنة ١٩٩٢ نشر مقال عن الكاتب فى يناير ١٩٩٣.

وتفتحت الأبواب أمامى ورحت أفخر أمام كل من أعرفهم بأننى أكتب فى مجلة العربى وأننى أراسل الأستاذ أحمد بهاء

الدين وتوافدت مكافآت مجلة العربى إلى عنواني فاستجمعت ستمائة جنيه استرلينى دفعتها كاملة لخطيبتى كمهر لأتزوج ولولا هذه المقالات التى نشرتها المجلة لى ما تزوجت ربما لفترة طويلة ولذا فإننى أحس بديون له في عنقي. وأقل شيء أن أرد إليه بعضها هو أن أذكر هذه الوقائع وأظل أذكرها حتى آخر كلمة تسطرها يداى .

أحمد بهاء الدين والقومية العربية

د. مصطفي عبد الغني

تعود فكرة هذه الدراسة إلى خريف ١٩٩٤، كنت على وشك الانتهاء من بحث ضخم عن أحمد بهاء الدين(*) والحصول منه على نتائج .وكنت قد اكتشفت وقتها أن لديّ عددا هائلا من المقالات والكتابات السياسية له.

ولما كانت قد انتهيت من البحث السابق مستخدما مناهج شتى. فقد خطر إليّ أن أعود إلى هذه النتائج بمنهج مغاير .

وبذلك آثرت استخدام منهج تحليل المضمون.

كان يعنى هذا على مستوى المنهج، الإفادة من أدوات استخدام تحليل المضمون(**) وكان يعنى هذا على مستوى الفكر، إعادة وضع النتائج التى سبق وأن توصلت إليها، تحت مخبار جديد، لاختبارها ، وعمل - فى الوقت نفسه - مقاربة مفيدة فى هذا الاتجاه .

وبهذا الشكل، حاولت الوصول إلى بعض النتائج من

(البيانات) التى يقدمها النص، وتحديد علاقات الترابط فيه للوصول إلى المعانى الكلية (للخطاب البهائى) إذا جاز لنا استخدام ذلك المصطلح .

تركزت الفروض الأولية هنا على محورين اثنين يمثلان معا مشروع (القومية العربية) بمفهومها العصرى عند احمد بهاء الدين، وهما :

= القومية العربية

= الدولة العصرية

الأول لتأكيد القومية، والآخر لتأكيد الهوية المعرفية

الأول لتأكيد الذات فى عصر جديد، والآخر لرسم أسباب الحفاظ على هذه الذات، فى زمن لم يعد ليهتم فيه إلا بتفتيت القوميات وزرع الشقاق، وتأكيد خرافة (نهاية التاريخ) فى نظام أحادى جديد، كان قد أحس به أحمد بهاء الدين مبكرا وحاول التعبير عنه ،.. فلنهبط أكثر إلى الخطوات الإجرائية..

الفرض الأول هنا يشير إلى أن أحمد بهاء الدين كان أحد المثقفين القوميين، الذين انفقوا سنوات حياتهم من أجل تأكيد هذا الانتماء، وله إسهامات مؤكدة، خاصة إبان فترات المد القومى النضالى فى الخمسينيات، إذ كان يرى ويكتب فى هذا الوقت ليؤكد على أن القومية تملك الكثير من الروابط التى تشير

إلى المصير العربى المشترك. كذلك كان دائم الربط طيلة الستينات بين معنى القومية العربية وضرورة الاستقلال وشروط المثقف التقدمي، وربط ذلك كله بالتنمية، والحرص على القيم الديموقراطية، والتنبه إلى الخطر الخارجي، بيد أنه بدء من السبعينيات كان قد وصل إلى قمة النضج القومى حين تهيأت- في الجانب الآخر- عوامل الانكسار للمد القومي خاصة مع زيارة السادات للقدس وسلسلة التحالفات العربية التى توالت..

ونستطيع أن نتمهل عند عوامل القومية العربية فى نموذجى التحليل الاتيين(١، ٢) لنرى إلى أى مدى مثلت هذه العوامل مؤثرات هامة فى فكر أحمد بهاء الدين.

إن أهم العوامل التى استحوذت على مفهوم القومية لديه، عامل الإقليم المتصل، والذى لايتصل بغيره بشكل مباشر وإن كان لاينفصل عنه، فهذا العامل حصل على أعلى نسبة تكرار(٥) بنسبة مئوية تصل إلى ٣٨.٤٦٪، كما حصل عامل التاريخ إلى (٣) تكرارات بنسبة (٢٣٪) تتوالى بعدها بقية العوامل بنسب متساوية كاللغة والتراث والأرض والتراث والعقيدة لتصل فى كل منها وحدة الفكرة إلى بنسبة ٧٧٪.

وهو ما يستوجب التوقف أكثر عند عدة استنتاجات :

(١) يلاحظ أن المعنى المتطور للقومية يصل إلى أقصاه عند

أحمد بهاء الدين إذ أنه رغم وجود عامل العرق أو الجنس فى أدبيات تطور القومية، فإن التطور الحديث، النابع من فهم التطور القومى العربى بوجه خاص (ساطع الحصرى مثالا) لايرى أن العرق يمكن أن يدخل كعامل مؤثر قط فى الفهم القومى، إذ أن اللغة والتاريخ كانا أكثر ما يميز رواد الفكر القومى العربى وفى مقدمتهم الآن بهاء الدين .

ومراجعة أدبيات الفكر القومى عندنا تؤكد ذلك ولاتنكره..

(٢) يسود عامل (الإقليم المتصل) نسبة كبيرة من العينة، وهو ما يعود إلى قناعة خاصة لدى الكاتب من أن اعتزاز أى قطر عربى بقطريته لايتنافى -قط- مع انتمائه العربى، راح يردد ذلك فى زياراته الكثيرة للأقطار العربية، خاصة، فى حقبة السبعينات حين فرضت ظروف كثيرة على مصر أن تنفصل - ظاهريا- عن محيطها العربى أثر اتفاقية كامب ديفيد فى النصف الثانى من هذا العقد، فعروبة مصر لم تكن لتمثل أى موضوع للبحث أو أى محل لتساؤل، وليس الجدل- كما كان يردد- بين مصر العربية وبين مصر غير العربية، ولكنه حول حدود (الدور) المصرى الجديد فى هذه الفترة.

وعلى ذلك، فإن قضية (الإقليمية) لديه لم تسيطر على قضية العروبة، فعروبة مصر لم تعد فى محال التساؤل (وقس على ذلك عروبة العراق وسوريا.. الخ) حين يهتم القطر العربى بالحدود

السياسية خاصة فى فترات الأزمات الكبرى فى تاريخنا..

(٣) ويرتبط بذلك الفئة التالية التاريخ إذ أن من أهم أسس الوحدة العربية لديه كان وحدة التاريخ، ذلك لأن «تاريخنا المشترك الضارب فى القدم، قد جعل بين هذه الشعوب العربية وشائج وروابط تجىء ظروف العصر الحديث لتوقظها وتدعمها لالتضعفها»

وقد كان واعيا بذلك إلى أن ما يسهم فى ذلك هذه الطفرة الحضارية المعاصرة حيث زال الاستعمار وجاءت ثورة الاتصالات والمعلومات وبتحديات العصر الحديث التى تفرض-ارتباطا بتاريخنا، التكامل والاتحاد .

ولأن أحمد بهاء الدين كان مغرما بالتاريخ الحديث، فقد كان دائم ضرب الأمثلة به لتأكيد قيمة هذاالتاريخ فى التقارب، وأثره فى استراتيجية كل إقليم على حدة، وهو يتمهل فى ذلك عند هذه القضية البديهية حين يقول إنه إما أن هناك مصر قوية، فهى آمنة وعلى علاقات متينة مع المشرق.. وإما أن هناك مصر ضعيفة، فهى مقطوعة الصلة مع هذه المنطقة إلى غير ذلك مما يبرهن به على أهمية التاريخ- ايجابيا- فى هذا الصدد.

(٤) ربما لايقل أهمية عند بهاء الدين عامل اللغة عن عامل التاريخ، فهو لايذكر ما يسميه عناصر القومية الواحدة كوحدة

التاريخ وتشابه التكوين النفسى والمصلحة المشتركة إلا ويذكر معها اللغة .

إن اللغة المشتركة هى أهم عامل فى التراث المشترك- كما يردد- بل إن لها أثر فادح فى خلق نوع من الانتماء لدى الفرد. حتى لو تعارض ذلك مع الجغرافيا كانت ظاهرة وحادة متسائلا، : فما بالنا اذا كانت الجغرافيا في حالة العرب تضيف إلى عناصر القوة اللغة..

(٥) واللافت للنظر هنا أن تكرار العقيدة عنده يكاد يأتى مرة واحدة في عقد السبعينات، بيد أن مراجعة (مشروعه) الفكرى قبل ذلك وبعده يؤكد أنه يفهم العقيدة بشكل متقدم جدا ، وهو الشكل الذى تردد، وإن يكن قليلا، فى أدبيات القومية فى تطورها الحديث.

إنه لا يتردد فى القول إن الإسلام له من الأهمية بحيث يفوق عامل العروبة فى حد ذاته، غير أن الإسلام هنا ينصرف إلى ذلك التراث الضخم القوى الطويل، إذ أن هذا التراث-على قوله- «هو تراثه الذى يفكر به ويكتب بلغته، ويتأثر بالكثير من عاداته».

وهذا الفهم ينطوى على باعث توحيد لاتفريق، نابع من الوعى القومى المرهف لصاحبه وهو ما يتضح أكثر حين يذكر فى ذلك

التراث المشترك والأرض الواحدة والمصلحة الاقتصادية، وما إلى ذلك، مما يتنبه معه إلى أهمية هذا التراث الضخم الذى لايتوقف عند الإسلام كعقيدة وحسب وإنما إلى كونه مشروعا حضاريا رحبا يمكن أن يكون - فى حالة فهمه- عامل توحيد وتكامل .

(٦) وهذا كله يصل بنا إلى أن تكرار الفكرة، ســـواء فى تكوينها لعوامل أو عناصر لاتلبث أن تمضى فى السياق الأخير إلى فكرة واحدة، تتكرر فيها بعض الفئات أكثر من غيرها .

(يلاحظ أن العوامل الثلاثة الأولى : الإقليم والتاريخ واللغة) تستحوذ على ضعف التكرارات الباقية) غير أننا لانستطيع أن نتعامل مع عامل دون عامل آخر فتقدم منه ونتخذه معيارا جوهريا فى التحليل .

واستحواذ التكرار الأول على (٥) فئات تشير- فقط- إلى أزمة (عروبة مصر) التى أثيرت فى السبعينات لظروف طارئة، وزالت بزوال الأزمة، خاصة أن مفكرا مثل أحمد بهاء الدين كان يتعامل مع تجربة الوحدة العربية بخبرة طويلة.

كان قد شهد التجارب الوحدوية فى الخمسينات وشهد انتكاساتها أو انبعاث بعضها بشكل مؤقت فى الستينات، بدءً من تجربة الوحدة بين مصر وسوريا والعراق-٦٣، والخطوات

التى اتخذت فى عام ٦٤ للوحدة بين مصر والعراق، بل ومشروع الوحدة الليبية المصرية فى بداية السبعينات قبل حرب ١٩٧٣.

وعلى ذلك فإن عدد التكرارات أو ترجماتها لايحول دون فهم الوعى القومى فى إطاره العام عندأحمد بهاء الدين.

ويهذا التصور لانستطيع الاقتراب أكثر من هذا الوعى القومى دون التمهل عند عوامل الدولة العصرية أو رموزها فى هذا التحليل وهو ما يصل بنا إلى المحور التالى .

الجدول رقم (١)

فئة	الصحيفة				القومية العربية							
تاريخ	أ	هـ	م		اللغة	التاريخ	التراث	الأرض	الاقتصاد	العقيدة	الإقليم	ملاحظات
٧١/٤/٣		/	/	١		+					+	اعتماد عدد واحد مرجعه إلي اكتمال الرؤية السياسية للباحث في هذا وهذا يرتبط إلي حد بعيد بفكرة القومية المصرية التي طرحت بشكل سياسي لاثقافي إبان اتفاقية كامب ديفيد.
٧٢/٨/٤	/			٢							+	
٧٥/١١/٩	/			٣		+					+	
٧٨/٤/٢	/			٤								
٧٨/٥/٧	/			٥	+	+	+	+	+	+	+	
٧٨/٧/٢٢				٦							+	
الجملة					١	٣	١	١	١	١	٥	

الجدول رقم (٢)

الفئة	تكرار	نسبة مئوية
١- الإقليم	٥	٣٨.٤٦٪
٢- التاريخ	٣	٢٣.١٪
٣- اللغة	١	٧.٧٪
٤- التراث	١	٧.٧٪
٥- الأرض	١	٧.٧٪
٦- الاقتصاد	١	٧.٧٪
٧- العقيدة	١	٧.٧٪

الدولة العصرية

كان أحمد بهاء الدين أكثر من غيره من القوميين تنبها إلى أن تحقيق القومية العربية الآن يختلف عنه فيما مضى، فإلى جانب أنه كان يشهد تحولات فى موازين القوى العالمية من انتهاء الأيديولوجية وانحسار أثر الحرب الباردة، فإن الثورة العلمية شهدت طفرات عالية.

ومن هنا أصبحت (الدولة العصرية) من أهم مداخل المثقف القومى إلى قومية عربية تحيا فى نهايات القرن العشرين، هذه الدولة بكل ما فيها من دعوة للعقل وحرية الرأى وصور الاجتهاد

والشورى... وما إلى ذلك.

لقد كان ثمة علاقة أكيدة نامية الآن بين تطور القومية وشروط قيامها، خاصة أنه كان واعيا إلى أن مراجعة التجربة الأوروبية كانت تشير إلى أن صعود التشكيل القومى هناك ارتبط بتطور العقل على حساب الكنيسة والقوى التقليدية، ورغم أن الخلاف كان قائما بين طبيعة التجربتين: الإسلامية والغربية، فقد كان القسم المشترك بينهما هو التطلع العقلى والقومى اللذان يسيران فى خط واحد ليصوغا فى نهاية الأمر صورة (الدولة القومية العصرية) .

وهو ما يفسر أن التطلع للنضج القومى كان يرتبط-بالقطع- بالتطلع لأفكار العصر، بل أن رصد كتابات بهاء الدين منذ فترة مبكرة يؤكد وعيه بذلك، فقد تحدث فى منتصف الستينات عن (الفجوة الحضارية) بيننا وبين العدو اليهودى- الغربى.

وكان أول من تحدث ولم تمض أسابيع على هزيمة ٦٧ عن (الدولة العصرية) ووصل إلى قمة الوعى بلاقطيعة المعرفية بيننا وبين الغرب فى الثمانينات .

وتحليل بيانات الجدول رقم (٣) يرينا عناصر (المشروع الحضارى) لديه، وهى عناصر وإن يمكن فهمها فى إطار هذا المشروع فهى لم تخرج عن قضايا العقل والحرية، وهى الفئات

التى تمثل الفئات الرئيسية فى هذا التحليل .

الجدول رقم (٣)

فئة تاريخ	الصحيفة هـ	خ	ص		الدولة العصرية فجوة	المرأة	الشوري	الاجتهاد	التراث	العقل	م الرأي	خرافة
٨٢ /٢/٣١	/			١	+							+
٨٢/٤/١	/			٢	+							+
٨٢/٨/٢	/			٣								+
٨٢/٨/٣	/			٤			+			+		+
٨٢/٨/٩	/			٥	+				+	+		
٨٢/٨/١٠	/			٦	+					+		
٨٢/٨/١١	/			٧	+					+		
٨٢/٨/١١	/			٨					+	+		
(١)٨٥/٦/٨	/			٩				+		+		
(٢) ٦/٩	/			١٠								
٦/١٠	/			١١								
٦/١١	/			١٢								
(٦)	/			١٣	+		+					
(٧)	/			١٤								
(٨)	/			١٥				+				
(٩)	/			١٦				+				
(١٠)	/			١٧				+				
(١١)	/			١٨				+				
(١٢)	/			١٩	+			+				
(١٣)	/			٢٠				+				
(١٤)	/			٢١								
(١٥)	/			٢٢		+						
(١٦)٧/١٢	/			٢٣		+						
(١٧)٧/٢١	/			٢٤		+						
٧/٢١	/			٢٥		+						
٥/٢٩	/			٢٦		+						
٦/٢٢	/			٢٧								
٧/١٤	/			٢٨								
(١)٨٧/٦/١٠	/			٢٩								
(٢) ٦/١١	/			٣٠								
(٣) ٦/١٢	/			٣١								
(٤) ٦/١٣	/			٣٢								
(٥) ٦/١٤	/			٣٣								
(٦)٦/١٥	/			٣٤					+			
(٧)٦/١٦	/			٣٥					+		+	+

تابع الجدول رقم (٣)

فئة تاريخ	الصحيفة هـ	 خ	 ص		الدولة العصرية فجوة	 المرأة	 الشوري	 الاجتهاد	 التراث	 العقل	 م الرأي	 خرافة
(٨) ٦/١٧	/			٣٦					+		.	
(٩)٦/١٨	/			٣٧				+	+			
(١٠)٦/١٩	/			٣٨								
(١١)٦/٢٠	/			٣٩								
(١٢)٦/٢١	/			٤٠								
(١٣)٦/٢٢	/			٤١				+			+	
(١٤)٦/٢٣	/			٤٢			+	+			+	+
٦/٢٤	/			٤٣			+	+			+	+
٨٨١٢/١٨	/			٤٤			+	+				
(١) ١٢/٢٥	/			٤٥								
(٢)١٢/٢٦	/			٤٦								
*(٣)١٢/٢٧	/			٤٧							+	
٨٩/٢/٤	/			٤٨								
٨٩/٢/٥	/			٤٩								

(*) رقم يوميات الكاتب بجريدة الأهرام كما عمد إلى تسجيلها .

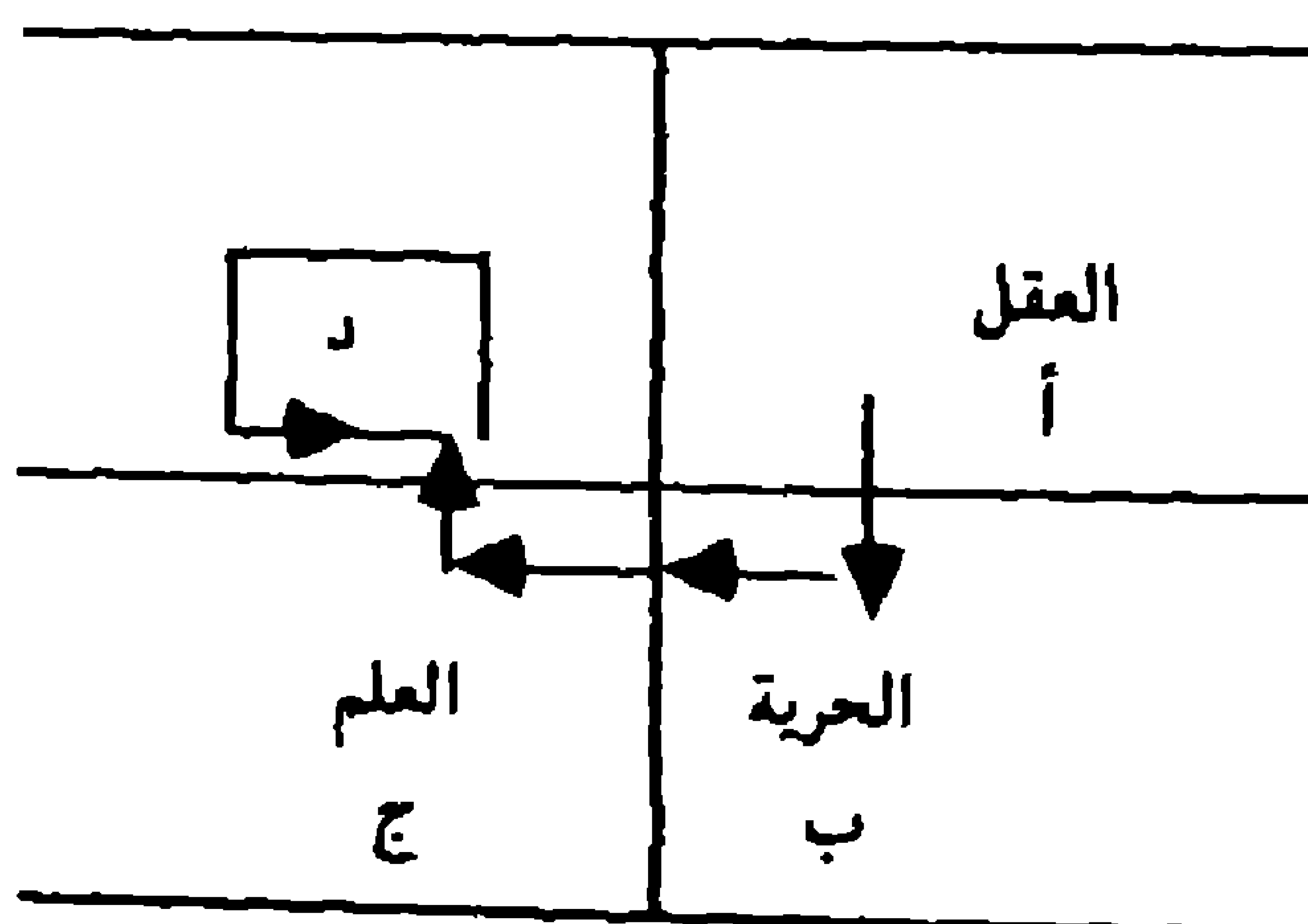
وبتحليل هذه التكرارات إلى نسب مئوية كما نرى فى لجدول (٤) يصل بنا إلى عدة استنتاجات هامة :

الجدول رقم (٤)

الفئة	تكرار	نسبة مئوية
– الفجوة الحضارية	٧	١٢,٣
– المرأة	٨	١٤,٣
– الشوري	٢	٣,٤
– الاجتهاد	١٢	٢٣,١
– التراث	٤	٧,٢
– العقل	٧	١٢,٤
– حرية الرأي	١٠	١٧,٨
– الخرافة	٦	١,٧٣

والبيانات توضح لنا أن عامل الاجتهاد كان أكثر ما حصل على عدد التكرارات وصل إلى ١٢ بنسبة ٢٣.١، وتتوالى التكرارات التي لاتخرج جميعها- كما أسلفنا- عن عناصر العقل والحرية في الدولة العربية العصرية التي يريدها . فنحن أمام تكرارات حرية الرأي ١٠(١٧.٨) ثم قضية المرأة بواقع ٨ بما يصل إلى نسبة ١٤.٢، يلي ذلك الدولة الحضارية والتراث ونفي الخرافة والعقل والشورى في تكرارات متقاربة أو متفاوتة.

ونستطيع أن نستعيد كل العناصر في مصفوفة تمثل العنصر فيها الخانة الذي يلتقي فيه وعيه الحضاري.



وهو ما يصل بنا إلى تفسيرات متوالية:

١- تستطيع أن تمضي قضايا العقل في خط رأسي مع رموزها (الاجتهاد، الشورى، المرأة) حتى إذا ما جاوزت الخانة (أ) إلى الخانة(ب) تكون قد وصلت إلى قضايا الحرية (حرية

الرأى كمثال) ، ويمضى الخط الأفقى إلى الخانة (ج) ليتمهل عند شروط الدولة العصرية ، وهى الخانة التى يتبلور عندها المشروع العربى العصرى ..

فى هذا السياق نصل إلى استنتاج آخر :

٢- إن قيمة العقل أكثر ما يحرص عليه أحمد بهاء، فرغم أن النسبة لاتزيد على ١٢.٤٪ من الفئات، فإنه يلاحظ أنها تلقى بظلها على أغلب الفئات الأخرى، إذ يمكن بإضافة فئة الاجتهاد ٢٣.١ إليها نكون قد وصلنا إلى ما يقرب من ثلث النسبة المئوية العامة، إذ ينطوى تحت ذلك الكثير من القضايا التى تمتد إلى التاريخ الإسلامى وتعود إلينا كما هى بحجة قدسيتها.

ويلاحظ فى هذا السياق أن أحمد بهاء الدين لم يكن ليقاطع التراث الإسلامى، بل كان يؤمن أن للعقل الإسلامى مساحات شاسعة واقتدار فى فهم العديد من المعانى القائمة فى النص (المقدس) فى (اجتهاد) الإنسان العربى المعاصر، وقد كان أكثر ما يلاحظ فى هذا الخصوص تركيزه على ما يسمى بقضية (المصالح المرسلة)، أى المصالح التى لم تعتمد على نص فى القرآن مما يمكن معه استخدام العقل، الاجتهاد المتنور فى التعامل معها، فهذه النظرية التى وجدت من أيام الرسول-ص- تتفوّق الآن على نظريات القانون الوضعى وهو ما يقوم معه على الاجتهاد واستخدام العقل (الغوص) بحثا عن المعانى الكامنة

فى النصوص وهى تعطى للعقل حقه.

٣- وما يقال عن العقل فى الاجتهاد يقال فى عديد من القضايا التى تزيد من رصيد العقل وأهميته مثل قضية الشورى (الديموقراطية) التى تجد لها لديه نسبة مئوية تصل إلى ٤ . ٣٪ وقضية تحرر المرأة ٣ . ١٤ بكل ما فيها من قضايا طبيعية وفقهية، فمنذ فترة مبكرة- فى الستينات- كان قد رفض مقولات مشايخ الإسلام البارزين مثل الشيخ (أبو زهرة) حول المرأة (أخبار اليوم(١٩/٨/١٩٦١)، بل تحدى العقاد على صلابته فى مواجهة خصومه وعنفه فى مثل هذا المجال (انظر كتابة: مبادىء وأشخاص) ثم استأنف فى منتصف الثمانينات هذا التحدى، وإن بدى أسلوبه هادىء أكثر فتعرض لقانون الأحوال الشخصية، وأبدى تأييده له صراحة، ثم عرض لأكثر من يومية لنصيب (البنات فى الميراث) أثناء تعرضه لضريبة التركات، وكان من الطبيعى أن يعرج، فى قضية الاجتهاد إلى التراث الإسلامى، فأبدى وعيا كبيرا فى ضرورة استلهامه وليس نقله، بل إعادة النظر إليه فى مخبار العقل، وفى حضور النصوص المتفق عليها (حصل التراث على نسبة ٢ . ٧٪).

٤- وتفرع عن ذلك قضية (الحرية) إذ كانت تمثل المصفوفة الثانية مباشرة (الأولى هى العقل)، ويلاحظ أن حرية العقل لديه حصلت على نسبة ٨ . ١٧.

والواقع أن حرية الرأى كانت تستحوذ لديه على اهتمام خاص، من قناعة مؤداها أن الحوار المتواصل أكثر ما يقرب- إذا توفر له حسن النية- إلى الاقتناع بوجه الحق. ونجد هذا لديه في كثير من كتاباته، ففي حقبة الثمانينات ارتفعت نبرة الإقناع بالحوار إلى مصاف القيم الإنسانية الكبرى، نجد هذا فى عدد من التكرارات التى تشير إلى أسلوبه فى التعامل مع قضية الإرهاب مع بعض المتطرفين أو بعض الإسلاميين المعتدلين، أو فى مواجهة تكفير أصحاب الفكر (العلمانى) أو فى قضية إعادة النظر إلى التاريخ الإسلامى والتعامل بحذر مع بعض مرويات التراث الذى قد تحسب على الإسلام.. وما إلى ذلك.

٥- لانستطيع التوقف عند العلم دون الإشارة إلى مشروعه فى (الفجوة الحضارية) ونقص المعلوماتية فى العصر الحديث، إذ أولى هذه الفئة عناية قصوى خاصة فى الفترة الأخيرة من حياته، لقد بذل جهدا كبيرا لتأكيد أن الفجوة الحضارية (نسبة ١٢.٣) وبقاء الخرافة (١.٧٢) أكثر ما يعوق بناء الدولة العصرية العربية .

كان يؤكد أن القيم التى تقوم على العلم (لا الخرافة) هى التى أنتجت المجتمع المتقدم، وهذا المجتمع هو ما يجب البحث عنه، والسعي إليه لعيش فى عصرنا، بل كان يرى أن (العصرية)

لم تكن لتتعارض مع القيم والعادات الاجتماعية الموجودة فى المجتمع، وبذلك ، فقد كانت الدولة العصرية بمعناها العلمى لديه قضية أمن قومى وليست قضية بقاء فقط.

وبديهى أن ذلك كله لم يكن فى الهواء، بمعنى أن تأكيد قيمة العقل والدعوة إلى العلم ونبذ الخرافة وحرية الرأى.. وما إلى ذلك كـأن يكون (المشروع السياسى) الذى يلقى فى تيار الحضارة العربية التى يجب أن تبعث فى هذا العصر..

ويلاحظ كذلك أن القضية الديمقراطية- على سبيل المثال- ارتبطت بقضية القومية العربية، بل كان مما يعوق الوحدة العربية عدم فهم الشورى أو السعى إليها كما يجب، ومن هنا، تولدت قناعة ذاتية لديه مؤداها أنه لايمكن أن توجد حالة تنمية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية دون تحقيق الوحدة، وفى حالة تحقيق الوحدة العربية يمكن صيانتها بتأكيد قيم الديموقراطية وحرية الحوار.. وما إلى ذلك.

فالديمقراطية اذا تحققت يمكنها أن تسهم فى بناء القومية العربية، أما إذا سبقتها الوحدة العربية ، فلا بد أن تنجب أهم رموزها السياسية.

وبهذا يتأكد لنا أن مشروع أحمد بهاء الدين الذى تم تفكيكه الآن يؤكد - فى حالة إعادة تركيبه- على أن تحقيق القومية

العربية يرتبط ارتباطا أكيدا بمقدمات (الدولة العصرية) وهى المقدمات التى تتحدد فى العمل لبناء عصر التنوير بناء صحيحا وإيجابيا.

وقد يكون من المفيد أن نشير هنا أن بهاء الدين لم يغفل البناء الاقتصادى فى (مشروعه)، إنما كان يرى منذ فترة مبكرة، إنه لايمكن أن يقوم هذا البناء فى غيبة تقاليد عصرية واعية ، فتطور أية قضية علمية مرتبط ارتباطا كبيرا بالتنمية الاقتصادية.

وبذلك ، فإن البناء الاقتصادى يظل مرهونا بالوعى الفكرى والسياسى الذى يمكن أن يمهد له ويسهم فى إقامته.

الهوامش :

(*) دراسة بعنوان (أحمد بهاء الدين/ سيرة قوية)

(**) استفدت من منهج تحليل المضمون: أدواته وليست فلسفته العامة، وهو ما يعود إلى صياغاتى الخاصة لعدد من أدوات المناهج الأخرى ومحاولة الإفادة منها مع غيرها (انظر المنهج الخاص فى كتابى: البنية الشعرية عند فاروق شوشة، هيئة الكتاب ١٩٩٢) .

وقد كانت العينة التى أخذت منها هنا هى الكم الهائل من المقالات والكتابات واليوميات لأحمد بهاء الدين (عشوائيا) مما يؤكد فروضى ويبرهن عليها، ولم تبعد المادة قط عن فترتى السبعينات والثمانينات..

كذلك من وحدات تحليل المضمون اخترت (وحدة الفكرة) كوحدة تحليل ولم اعتمد إلى شواهد أو مجتزئات كثيرة مؤثرا أهم المقالات التى اعتمدت عليها هنا.

أحمد بهاء الدين

ومدرسة صحفية جديدة

مصطفي نبيل

صدرت مجلة «صباح الخير» في ١٢ يناير عام ١٩٥٦. وكانت قفزة كبيرة في تطور الصحافة المصرية، قام بها الأستاذ أحمد بهاء الدين أول رئيس تحرير لها، وهو شاب في التاسعة والعشرين من عمره، ومشروع المجلة جاء وليد أفكاره وجزءا من تصوره..

وظهرت «صباح الخير» صيغة صحفية مبتكرة، وإيذانا بظهور مدرسة صحفية جديدة في مادتها وشكلها، ونجحت هذه الصيغة في جذب جيل جديد، بعثت فيه روحا جديدة، وقدمت له رؤية طازجة لمصر وللعالم من حوله، وجذبت للعمل فيها فريقا عفيا، يحمل مفاهيم وقيما جديدة، ويتصدى لأفكار قديمة بالية ..

وجاءت المجلة الجديدة ، فى مرحلة تاريخية خاصة، وعصر تزدهر فيه الأفكار وتزداد فيه الحركة، إعلان الجمهورية، الإصلاح الزراعى، خروج الانجليز، ثم تأميم القناة وحرب السويس، وانفجرت فيه الأحلام التى تراكمت طويلا وحبست وحان إنطلاقها، وحملت المجلة هذه الملامح التى تمثلت فى الإهتمام بالبعد الإجتماعى والثقافى وعدم الإقتصار على الجانب السياسى، وكانت المجلة رائدة وداعية للعديد من الأفكار التى رسخت فى الأرض مع الأيام، فكانت أحد رواد الفكرة العربية..

وكما كانت جديدة فى أفكارها عبرت عن هذه الأفكار بأشكال فنية جديدة، وأبواب جديدة أيضا، تعتمد على اللوحة بدلا من الصورة الفوتوغرافية، وتعطى للكاريكاتير مساحة واسعة للنقد الإجتماعى والسياسى، وتبنت المجلة أسلوبا جديدا هو السهل الممتنع، تعالج به أعقد الموضوعات بأسهل العبارات، وتقتحم الموضوعات الجادة بروح ضاحكة وأحيانا ساخرة، وتنأى عن اللهجة الوعظية والخطابية.

ونجح الفريق الذى قاده أحمد بهاء الدين، والذى كان يؤكد أنه ليس أكثر من مايسترو يضبط الإيقاع، نجح فى الوصول إلى أجيال جديدة وابتكار أفكار ومفردات تسللت إلى حياتنا ، وتأثرت بها لغة السينما وكلمات الأغانى..

وانعكست هذه الروح الجديدة على أعمال كثيرة، أبرزها

رسومات صلاح جاهين، وشعر صلاح عبد الصبور، وتماثيل آدم حنين وقصص يوسف إدريس ومسرح ألفريد فرج وأغانى عبد الحليم حافظ وموسيقى كمال الطويل وسينما توفيق صالح..

وصاغ كل ذلك فى شكل بديع عبد الغنى أبو العينين على صفحات المجلة، فلم يكن يكفى الفكر الجديد، بل ويجب أن يُخرج هذا الفكر إخراجا جيدا لم تشهده الصحافة العربية من قبل.

وإذا كان طه حسين والعقاد والحكيم وأم كلثوم ومختار نتاج ثورة ١٩١٩، فقد كان ظهور هذا الفريق نتاج ثورة ١٩٥٢ وما فجرته من أحلام .

لذا كانت من سماته رؤية نقدية للواقع وللمدارس الفكرية والأدبية المختلفة، وقدرة كبيرة على التقييم والتبشير والتحريض على كل ما هو طازج وجديد..

* التواصل مع المستقبل

واستطاع بهاء وهو الكاتب الذى يملك حرارة ما يعتنقه أن يتواصل مع المستقبل، ومع الأجيال الشابة والأفكار الحية، وظهر معه وبه تيار يطمح إلى بناء دولة عصرية تقوم على العدل والحرية .

وأخذ قلم بهاء يبث الوعى بمجتمع جديد خال من القهر، قهر

الحاكم للمحكوم أو قهر الرجل للمرأة أو قهر الأغلبية للأقلية. فرسالته وقلمه هما حياته، اتسمت معالجاته بالتفكير الشمل في الحياة والمجتمع .

وجعل الحوار وتبادل الأفكار بين المدارس المختلفة هو الوسيلة الوحيدة لزيادة الوعى واتساع المعرفة، وقدم أحمد بهاء الدين التيارات الفكرية والأدبية التى تحدث فى العالم، وأصبحت «صباح الخير» جزءا من الثقافة العالمية.

ومن يقلب «صباح الخير» فى هذه الفترة يلاحظ إهتماما مبكرا بالفكرة العربية وإهتماما واسعا بمعالم الحياة العربية، ومتابعة دقيقة لظروف العالم العربى ، ويتضح له أن مشاكل الجيل الجديد في مصر، هى مشاكل الجيل الجديد العربى، نفس المشاعر ونفس الأفكار ونفس المصاعب والأزمات .

فرئيس التحرير أحد رواد الفكرة العربية وهو من القلائل الذين نفذوا إلى قلب وعقل القراء، فهو قارىء ممتاز ينتقى كتبه بمهارة ويتعامل مع الناس كما يتعامل مع الكتب، يلتقط أفضل المحيطين به ..

القراء تحت الثلاثين

كتب بهاء في العدد الأول لميلاد صباح الخير.. عندما صدر العدد الأول من المجلة قلبها صحفى عجوز، ثم ابتسم قائلا: لن

تأخذ هذه المجلة إلا القراء الذين يقلون عن ثلاثين سنة من العمر، وقلنا أيامها إنها بشرى مستقبل عظيم ينتظر «صباح الخير»، فهى مجلة ربطت مصيرها بالشباب، أى ربطت مصيرها بالمستقبل..

وأثبتت الأيام أن للشباب معنى آخر غير معنى العمر، وكسبت صباح الخير قراء جددا.. تختلف أعمارهم ولكنهم يتمتعون جميعا بالشباب شباب القلب والعقل والروح.

قلنا: إننا تصورنا ونحن نضع مشروع المجلة: أسرة فيها الأب والأم، وفيها الشاب والشابة والفتى والفتاة فى المراهقة، وهدفنا أن تكون المجلة صوتا يخاطب كل هؤلاء.

وعالجت «صباح الخير» مشاكل العلاقة بين الزوج والزوجة، بين الآباء والأبناء ، وبين الشباب والشابات، وعلاقة هؤلاء جميعا بالوطن والعالم.

وفى الرسوم الكاريكاتورية أيضا، لم تلجأ صباح الخير إلى مواضيع الكاريكاتير المطروحة. ولم تلجأ إلى موضوعات أجنبية، إنما اتجه الكاريكاتير مع القلم نحو المناخ المحيط بنا..

ولم تكن رسالة «صباح الخير» أن تقدم الأنباء إنما توضح معنى الأنباء، وهى تقدم لك التفسير والتوضيح، والقصة والصورة الشخصية والتزمت بالأسلوب العلمي الموضوعى لا

الأسلوب الشخصى..

وهى حريصة على أن تربطك بالعالم الخارجى كله، فالعالم اليوم يتشابك ويتقارب، والحادث الذى يقع فى الهند اليوم يؤثر فينا غدا..

وإذا كانت هذه هى رؤيته عام ١٩٥٧، نجده بعد حوالى ربع قرن يكتب فى عيد ميلاد صباح الخير الرابع والثلاثين قائلا.«إنها أكبر بناتى، وأول بناتى، وهى بنت لا تكبر ولاتتغير..

بعدت عنها، والرئاسات فى المجلات والصحف تتبدل من داخلها ومن خارجها أغلب الوقت ، ولكن صباح الخير إنفردت بأنها دائمة فى عصمة أبنائها الذين شاركوا فى إصدارها من اليوم الأول أو ولدوا فيها : حسن فؤاد، صلاح جاهين، لويس جريس، فهى مجلة الشباب الوحيدة التى عاشت هذا الزمن، وعاشت شابة رغم كثرة محاولات إصدار غيرها من مجلات الشباب، فقد آمنت من يومها بالأول بالحرية، والحرية هى أكسجين الشباب الوحيد وليس أى هواء آخر ملوث أو مزيف فى العقل والقلب معا..

* أيام بلا تاريخ

وعلى صفحات «صباح الخير» بعض ملامح شخصية أحمد بهاء الدين كما عبر عنها، فهو أحد أكثر المثقفين اهتماما

بالألوان والأنغام، بالمسألة السياسية ، والمسألة الإجتماعية معا، وهو يقدم السر على صفحات بلون خاص فى «صباح الخير» يكسر بكتابتها العزلة بين الكاتب والقارىء، عندما يرسم بقلمه صورة شيقة عن تكوينه وحياته وطبعه، تحت عنوان «أيام بلا تاريخ».

ويبدو من خلال شاب رقيق، يميل إلى الهدوء فى كل شىء، ويحب الجمال، عكف على المعرفة، هوايته الوحيدة القراءة، لم يذهب فى صباه إلى أية رحلة مدرسية، ولم تتركه أمه يلعب مع بقية الأطفال، فهو الإبن الوحيد لأربع شقيقات تهاجمه الذكريات عن وفاة خالته، ويتأمل حياته بعد أن فقد من كانت له بمثابة الأم الثانية..

« فقدت أمى وأنا فى العاشرة، ولم تكن بالنسبة لى أما عادية، كنت إبنها الوحيد بين إخوات من البنات، وكأى أم شرقية، وضعت كل حياتها وحنانها للإبن الوحيد، أحلامها وهمومها وقلقها وفرحها وعملها، وكان من الطبيعى ألا يبقى فى حياتى مكان لشىء آخر سواها، فهى التى تعد لى طعامى ولبسى، وتشرف على مذاكرتى وتصحبنى إلى السينما..

كانت تخاف على إلى درجة جعلتها ترفض أن أخرج مع أحد أصدقائى أو ألعب فى الشارع أو فى فناء البيت، فمرت طفولتى ومر صباى دون أن أعرف ما يعرفه الأولاد، فكانت كل ألعابى

فى البيت.

اللحظات التى كنت أفترق فيها عنها هى تلك التى كنت أقضيها فى المدرسة، إذا تأخرت جاءت إلى المدرسة تبحث عني..

ثم ..ماتت فجأة. وكانت فوق الثلاثين بقليل وهى أصغر أخواتها، كان إختفاؤها من حياتي أول صدمة لي.سيطر على شهورا طويلة بعد فقدها بأن الحياة أصبحت بلا معنى.

وقد بكيت ومرضت وحزنت ثم هدأت، وبقى معى شعور عميق بالوحدة وحدة ألقاها هذا الحادث فى نفسى كالبذرة التى لم تلبث أن أورقت وأصبحت لها ظلالها الكثيفة، كبرت وتعلمت وسافرت واشتغلت، ولكنى كنت أجد الناس مهما امتزجت بهم منفصلين عني..

فكان لأمى أخوات، ماتت الواحدة بعد الأخرى، وعاشت لى إحداهن، كانت أقربهن شبها بأمى، وكنت كلما رأيتها شعرت برائحة الأم تهب على.وفقدت هذه الأم الأخيرة..

*** ملازم الفراش**

ويتحدث فى مرة أخرى عن إعتلال صحته الدائم..

إن نومى قلق، والشىء الوحيد الذى أتغلب به على السأم هو القراءة، ولا أنكر أن قوتى الجسدية متواضعة.. والمحرر اليوم

لايحتاج إلى فصاحة فقط، ولا إلى أذن حساسة فقط، ولا إلى ذوق فى الإخراج فقط، إنه يحتاج إلى إطلاع متشعب أخذ للبصر مرهق للأعصاب على أحدث الكتب والصحف العالمية..»

ويكتب عن يوم عطلته.. «إننا نحن المصريين لانعرف يوم الأجازة،. البيت المصرى يعد يوم الأجازة يوم نوم وكسل ووخم ومشاجرات عائلية، أما فى الخارج فيوم الأجازة يوم نشاط، الأسرة تستعد طول الإسبوع لكى تغير روتين حياتها، فتخرج وتتنزه وتلتقى مع غيرها.. أما فى مصر ، فيوم الجمعه يوم كساد الصحف .

* الظاهر والباطن

وفى إحدى المداعبات بين الكتاب التى تعرض لها بهاء، أطلق عليه كامل الشناوى تشنيعته، بإنه إنسان منظم جدا ، قسم أيامه طبقا لجدول دقيق، يوم للعمل ويم للمجاملة ومقابلة الأصدقاء ويوم للعواطف يحب فيه ويفرح ويتعذب.

يكتب بهاء عن الخلاف الكبير بين الظاهر والباطن.

«الغريب أن أكثر الناس يعتقدون أننى إنسان منظم ومرتب جدا ، مع أننى عكس ذلك، والمأساة الكبرى فى حجرتى كثرة الكتب ورفوفها المتصاعدة، وكل رف جديد معناه فوضى جديدة، فحتى فى قراءاتى غير منظم أقرأ قراءة متقطعة فى عدة كتب

دفعة واحدة، وفي الليلة الواحدة،.. ولا أخرج كتابا ثم أعيده إلى مكانه..

وكثيرا ما أدفع ثمن هذه الفوضى باهظا، عندما أبحث عن شيء أريده فلا أجده، فأدراج كتبى كلها مخصصة لكل شيء وكثيرا ما أكتب ما أحب تسجيله ولا أضعها فى المكان المخصص لها، وعندما أحتاج إليها لا أعثر لها على أثر كأن ريحا عاتية قد حملتها إلى مكان مجهول.

وعندما أسافر أذهب بحقيبة مرتبة منسقة أعدت لى بنظام، وأعود بحقيبة مهوشة أقرب إلى صناديق الزبالة العمومية!.

وعندما يسافر أهلى إلى الاسكندرية فى الصيف واضطر إلى البقاء بمفردى يصبح البيت غير صالح للاستعمال بعد أسبوع واحد، ففي كل يوم استعمل حجرة من حجرات البيت، حتى إذا إنقلبت رأسا على عقب، أغلقتها وانتقلت إلى حجرة أخرى.. وبعد أيام قليلة لا أجد مفرا من الانتقال إلى أحد الفنادق.

هذه هى حقيقتى أكتبها وأنا واثق أننى لن أقنع بها أحدا، فتشنيعات كامل الشناوى كالماركة المسجلة..لايمكن محوها».

ويشكو للقارىء همومه. ومن هذه الهموم ماتفعله معه سيارته «سيارتى لخبطت حياتى...

فإرسال السيارة إلى الميكانيكى مثل ذهابك إلى طبيب

الأسنان، إذا ذهبت إليه مرة فإنك تظل تعالج أسنانك إلى الأبد، وإذا عرضتها على أكثر من طبيب فسدت نهائيا..

وتشبيه السيارة بالأسنان ليس فيه مبالغة كبيرة، إن معاملة السيارة تحتاج إلى نفس الفهم والتجاوب والرقة والحزم اللازم لمعاملة امرأة فتجاهل رغباتها ونسيان مطالبها يفسدها، والخشونة تزعجها..

وبلغ هذا الأسبوع عصيانها غايته، رفضت أن تخرج من الجراج، وركبتها بعد العلاج وانطلقت إلى حى سيدنا الحسين.. فى شارع الأزهر وتقاطعه بشارع الخليج رفضت السيارة أن تتحرك. لم يستغرق الموقف سوى دقائق، ولكنه بدا لى ساعة كاملة، أنقذنى بعدها بعض العابرين الذين دفعوا السيارة»..

*** فى لندن**

ويروى ملاحظاته حول أجازة قضاها فى لندن..

«فى أول مرة أزور فيها لندن طلبت من الدكتور عبد العظيم أنيس أن ينتظرنى، وأن يحجز لى غرفة فى فندق، وعندما وصلت لندن قال لى عبد العظيم أنه يسكن شقة فى بيت يقع فى إحدى ضواحى لندن الهادئة، وأنه طلب من صاحبة البيت أن استأجر عندها خلال الاسبوع الذى سأقضيه فى لندن..

وذهبت معه إلى البيت، الشقة فى الداخل جميلة حقا كبيرة

مـزدحمـة بالأثاث العـريق، أمـا السـيـدة فكانت جـمـيلة حقـا فى شبابها مع أنها أرملة وحيدة فوق الخمسين، وكانت تبدو نضرة نشيطة باسمـة، قادتنى السيدة إلى غرفـة كبيرة جمـيلة، أحد حوائطها زجاج كله ، إذا أزيحت الستائر أصبحت الغرفة كأنها جزء من حديقة داخلية جميلة تتدفق عليها الشمس.

وجـاء هذا المكان يعطينى جـوا جـديدا، جـو البيت الهـادىء المريح.

قـالت السـيـدة.. إن زوجـهـا مـات وترك لـهـا ثروة، ولهـا إبنة وحيدة متزوجة تقيم فى نيويورك، وتعيش بمفردها دائما، شعرت بحرج شـديد، إذ أننى أنا الغـريب اقتحـمت وحدتهـا، وحـرصت على أن لا أسـبب لها أقل إزعاج، أما هـى فقد عـاملتنى بعناية زادت حرجى.

ومرت الأيام السبعة .وسـألت عبد العظيم أنيس ما هو الأجر الذى أتفـقت مـعـهـا عليه، قـال: لم أتفق مـعـهـا، وأعـتـقـد أنـهـا لن تساوم، وستدفع لها كما تدفع لأى فندق ..

وسـألت سيدة البيت، ونظرت إلىّ كأنها جـرحت، وقـالت إنها قبلت سكنى عندهـا على أننى سـأدفـع، ولكنهـا بعد يوم أو يمـين تذكرت حياة كانت قد نسيتها.. لقد كانت سـعـيدة إذ وجدت من تعتنى به، وإذا كان لديها مـا تشكوه منى فـهو أننى كنت أحاول

أن أقلل من إحساسها بوجودى، بعكس ما كانت تريد، فكيف تأخذ على هذا ثمنا؟!».

* الفكرة العربية

ويروى قصة إتصاله بالفكرة العربية، كيف بدأت فى مطلع حياته؟ يقول: «كثيرا ما تبدأ الحقائق الكبيرة، ببدايات صغيرة، فمن خلال صديق شخصى لى هو أكرم الميدانى وزوجته، بدأ إهتمامى بالقضية العربية،..كان ذلك منذ سنوات، كنت أكتب فى مجلة شهرية هى «الفصول» وفى ذت يوم زارنى شاب سورى، قال لى أنه موظف فى الجامعة العربية، وأنه قرأ لى بعض ما أكتب، فأراد التعرف عليّ.وفى أسابيع قليلة أصبحنا صديقين، وأننا تربينا سويا.. كنا فى أول شبابنا، نقرأ بنهم لامثيل له، ونحمل مشاكل الدنيا كلها على رأسينا، كأننا مكلفان بحلها نيابة عن الناس جميعا..

كنت مزدحم الرأس بمصر وتاريخ مصر ومشاكل مصر.. أفهم كل شيء من خلال مصر وحدها، وكانت السياسة العربية فى ذلك الوقت، ليست بالنسبة لى سوى مناظر فارغة يقوم بها بعض الساسة المحترفين، ولا أرى سوى إرتباط غامض بين البلاد العربية، أما صديقى، فقد كان يملك مكتبة ضخمة فى الفن والأدب والسياسة، وكان يمتاز بإلمام واسع بحياة البلاد العربية الأخرى وتاريخها وثقافتها وعاداتها ..

وبدأت صـورة بلادى تكتـمل وتضـاف إليـها بعض الرتوش، وبدأ كل شىء مصرى يرتبط فى ذهنى بأشياء من البلاد العربية الأخرى .

وهكذا تبلور الإيمان لدى بالقومية العربية بعد أن اكتملت له كل عناصره من عاطفة وثقافة ومنطق، وعندما تجولت فى البلاد العربيـة، أدركت أكثـر وأكثـر مـعنى عـبـارة «التكوين النفـسى المشـتـرك» التى يذكرهـا المـفكرون كـعنصـر هام من عناصـر الوحدة القوميـة، إنها ليست الثقافة المشتركة، ولا المصلحة المشتركة، إنها شىء يشمل هذا كله ويشمل شيئا آخر غيره».

وبهذه الكلمات البسيطة بشر بالفكرة العربية..

وهذه بعض لمـحات عن أحمد بهاء الدين. والتى تقتصـر على كتابته وتجربته فى «صباح الخير» وهو فى ريعان الشباب تبعتها صفحات وصفحات فى صحف ومجلات أخرى..

أحمد بهاء الدين :

المعارك والمواجهات حول القضايا العامة

أ. نبيل زكي

يندر أن يتوافر لدى صاحب قلم هذا القدر من الإحساس بمسئوليته وهو يكتب. فهو من القلة التى رفضت - بحكم هذه المسئولية- أن تعبر عن سياسة لاتؤمن بها، وهو زاهد فى المناصب. وكل ما يتمناه أن يكتب وأن يبقى القلم فى يده.

واذا كان ثمة إجماع اليوم على شىء واحد ، بين الكافة، من الكتاب والصحفيين والمواطنين. فهو أن ثمة قلم حر ونزيه وشريف.. طال غيابه.. والجميع يفتقدونه، وخاصة كلما غامت الرؤية وتكاثر الضباب، وزمجرت الرياح والأعاصير واختلطت الأوراق واشتدت كثافة الغيوم. إنه «أحمد بهاء الدين» صاحب الصفحة البيضاء الذى «لايخاف تقلب الزمن ولايلهث وراء المغانم مع تقلب كل زمن».

وهو نموذج نادر فى تاريخ الصحافة المصرية لكاتب عرف كيف يكسب ثقة واحترام القارىء رغم أنه لم يكن من النوع الذى يتملق قراءة دائما وإنما يتحدث عن عيوب الناس..

ويتميز أحمد بهاء الدين بأنه صاحب نزعة نقدية تحليلية، ولم يكن - بالتالى- مستعدا لقبول المسلمات والأحكام النهائية القاطعة أو اليقين الذى لايعرف الشك.

وهو يصف نفسه بأنه من أولئك «السذج» الذين «عاشوا بالأفكار والذين سيموتون بها».

وأحمد بهاء الدين يحب أن يفكر بمفرده وينفر من القوالب السياسية المحددة، ومن فكرة الخضوع لقرارات مجموعة من محترفى العمل السياسى. ولذلك تخلو حياة أحمد بهاء الدين تماما من تجربة الدخول فى أى تنظيم سياسى قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. وهو يشير إلى غيره من أبناء جيله ممن فضلوا طريقا أكثر جسارة بالدخول فى منظمات سرية أو علنية من الإخوان المسلمين إلى الشيوعيين.. ويقول إن نزعته الرافضة للقوالب السياسية المحددة لا تعنى إدانة لهؤلاء القادرين على السير فى طرق أخرى... فكل أمرء يسر لما خلق له..

ودفع أحمد بهاء الدين ثمن مواقفه المستقلة وعقله النقدى.. غاليا .

فقد وقع صدام بينه وبين جميع أنظمة الحكم، فى كل العهود التى عاصرها.

* قبل الثورة

قبل الثورة- وعمره فوق العشرين بقليل- تم تقديمه إلى نيابة أمن الدولة بتهمة كتابة مقال يدعو إلى قلب نظام الحكم فى مجلة «اللواء الجديد» التى كان يصدرها «فتحى رضوان» زعيم «الحزب الوطنى الجديد» ومع ذلك ظل أحمد بهاء الدين يشارك كتاب الحركة الوطنية فى الكتابة فى الصحف المضطهدة، قليلة الانتشار، ويشارك فى تدبير جنيهات محدودة من أموالهم القليلة لطبع كتاب لواحد منهم. وكتبوا يطالبون برفض الأحلاف العسكرية، ويدعون إلى انتهاج سياسة عدم الانحياز، وإلى تحديد الملكية الزراعية وتأميم البنوك الكبرى- والبنك المركزى بوجه خاص- أسوة بما فعلت انجلترا وفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية. ودعا «أحمد بهاء الدين» إلى تأميم تجارة القطن حين كان القطن هو ثروة مصر الرئيسية وحين كانت المضاربات عليه هى لعبة الوزارات .وسببا فى سقوط الحكومات.

وكان من الطبيعى أن يكون مؤلف كتاب «فاروق ملكا»، الذى صدر عقب الإطاحة بالملك ليؤرخ فترة حكم فاروق ويحلل أسباب انهياره، هو الذى يكتب فى اكتوبر عام ١٩٥٢ مهاجما فكرة

الحزب الواحد.. مدافعا عن الديمقراطية. فقد انفرد أحمد بهاء الدين- وسط سيل من الكتب والمقالات التى تفسر سقوط فاروق بأنه يرجع إلى ولعه بالنساء وتهوره وطيشه- بأن أعلن أن البداية الحقيقية فى مأساة فاروق، إنه لم يلتزم بالدستور، أما جنونه وطيشه وفسقه، فكلها نتائج لهذا التحلل من كل قيد.

*** رفض الرقابة**

ورغم حماس أحمد بهاء الدين وتأييده للثورة إلا أنه عارض بعض الأفكار الأولى التى طرحت على لسان بعض قادة الثورة واعتبرها انتقادية للعروبة، كما عرض كل اتجاه لاستبعاد المشاركة الشعبية..

ووقعت مواجهة أخرى بين أحمد بهاء الدين والثورة عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ وارتفاع أصوات النقد فى الصحف المصرية، الأمر الذى أدى إلى صدور قرار من الرئيس جمال عبد الناصر بفرض الرقابة على الصحف. وجمع أحمد بهاء الدين - الذى كان نقيبا للصحفيين فى ذلك الوقت- مجلس نقابة الصحفيين مرتين: مرة لإعداد احتجاج مكتوب إلى الرئيس عبد الناصر على فرض الرقابة على الصحف، ومرة ثانية لرفع مذكرة إلى الرئيس عبد الناصر تتضمن رأى النقابة فى أن هناك نوعا من الأخبار يجوز فيه السبق الصحفى وانفراد صحفية دون غيرها، ولكن هناك نوعا آخر من الأخبار يتعلق بالمصالح

القومية العليا في تلك الظروف الحساسة.

وكتب بهاء فى هذه المذكرة الأخيرة يقول «إن رئيس الدولة إذ يخص بهذه الأخبار جريدة دون أخرى فكأنما هو يميز بين المواطنين الذين يقرءون هذه الجريدة أو غيرها».

وكان المقصود بذلك أن الرئيس عبد الناصر يخص محمد حسنين هيكل رئيس تحرير «الأهرام» فى ذلك الوقت بالأخبار ويحرم منهاالصحف الأخرى.

إجراءات عقابية

وفى عهد الرئيس أنور السادات، وخلال ثمانى سنوات بالتحديد، تم نقل أحمد بهاء الدين من مكانه كعقاب مرة (قرأ بهاء فى الصحف قرار نقله من دار الهلال إلى دار روز اليوسف فى بداية عهد السادات دون علم مسبق ورغم علاقته الشخصية الوثيقة بالسادات) وتم فصله من العمل الصحفى مرة. وتم وقفه عن الكتابة مرتين.. كل هذه الإجراءات خلال ثمانى سنوات فقط!.

وقد كتب بهاء إلى السادات بعد أن قرأ في الصحف قرار نقله من دار الهلال يقول :

«لقد اخترعت الثورة صحفيين وكتابا ودكاترة فى كل مجال.. ولكننى لست أحد اختراعات الثورة. وقد كنت رئيسا لتحرير

أكبر جريدة في مصر، وهي أخبار اليوم واتقاضى أقصى حد للمرتب قبل تأميم الصحف بسنتين»..

وفي عام ١٩٧٣، أمر السادات بمنع نشر مقال لأحمد بهاء الدين في صحيفة «الأهرام» لأن المقال يحتوى على احتجاج مهذب (وهي الصفة الملازمة لكل مقالات بهاء» على مذبحة فصل الصحفيين في ٤ فبراير من ذلك العام، بل لقد قرر السادات إبعاد أحمد بهاء الدين من العمل الصحفي برمته ونقله إلى مصلحة الإستعلامات للعمل كموظف فيها!! وكان السادات يعتبر أحمد بهاء الدين «المحرض الأول على بيان وقع عليه ما يقرب من مائة كاتب وأديب صحفي، وهو البيان الذى اشتهر باسم أبرز موقعيه (الكاتب الكبير توفيق الحكيم).

واشتبك بهاء في جدل طويل مع السادات وجها لوجه بعد مظاهرات الطعام في يناير ١٩٧٦ معارضا مشروعات القوانين الاستثنائية وموضحا مخالفتها للدستور ومطالبا بوضع سياسة اقتصادية أكثر تماسكا وواقعية واقترابا من مشاعر الناس.

الأزمة الصحية

تلك هي مأساة الصحفي في العالم الثالث، وربما في كل العالم، فقبل بلوغه سن الأربعين، شعر أحمد بهاء الدين، بتعب في مكتبه فجأة، واستسلم لما كان يقاومه، وهو الطب والعلاج

والتحاليل، وظهر أنه قبل أن يدرك الأربعين.. أصيب بـ (١) ضغط دم مرتفع (٢) تضخم فى الكبد (٣) إجهاد عصبى شديد.

وتبين له أن حياته في السنوات السابقة شهدت أحداثا هائلة.. قد يكون المعاصرون لها - كالعادة- أقل شعورا بعظمتها ممن سوف يقرأونهابعد مائة سنة (على حد تعبيره)..

وعندما أصيب أحمد بهاء الدين لأول مرة بجلطة فى أحد شرايين المخ، كان السبب أنه قرأ في صحيفة «أخبار اليوم» فى السنوات الأخيرة لعهد السادات عن«ضبط مؤامرة واسعة ضد نظام الحكم» وقرأ كلاما عن «اتصالات بجهات أجنبية» وأسماء عدد من المثقفين والصحفيين المصريين بينهم معارف وأصدقاء يعرفهم بهاء حق المعرفة ويعرف بطلان الاتهامات الموجهة إليهم.

ويصف بهاء وقع هذا النبأ في نفسه ، فيقول :

«إننى أذكر تماما، كيف زلزل هذا الخبر كيانى وأنا أقرؤه ذلك الصباح. وسألت نفسى : كيف استمر فى المساهمة فى الحياة العامة وفى منصب مسئول ، ولو معنويا، إذا كانت هذه مقدمات لما قد نواجهه».

وفى الولايات المتحدة ، قال له الأطباء :

«إن نجاتك هذه المرة كانت أمرا لايتكرر، وعليك أن تتجنب

تكرارها بكل وسيلة.. مهنة الصحافة فى منطقتكم من العالم لاشك..قاتلة».

لماذا قاتلة؟

هذا ما شعر به بهاء نفسه فى الثمانينات وقدم له التفسير الصريح قال فى السابع من نوفمبر عام ١٩٨٦:

«إننى لا أتعب من العمل الصحفى ، بل أشعر فى نهاية أى يوم - مهما طال- من العمل الصحفى المحض بنشوة وراحة نفسية، وأظن أن هذا هو حال كل من يزاول عملا يحبه ولعل أكسير الحياة وأحسن علاج للصحة هو أن يشعر المرء بأنه يحقق ذاته فى عمل خلق له. ولكن الإرهاق الحقيقى يأتى من التوتر والقلق والضنى، وعدم اليقين، وخطورة المزالق، وغير ذلك مما يحيط بالعمل، وليس العمل نفسه..».

* الحكومة... والوطن

هذه هى مشكلة الكاتب الذى يعبر عن الضمير العام لأمته فى ظروف صعبة ووسط أجواء غير مواتية وفى ظل حكام يعتبرون أنهم - هم أنفسهم- الوطن.

وفى هذا الصدد يقول بهاء:

«حكاية أن الكاتب اذا عارض سياسة حكومته فهو يعارض وطنه، حكاية انكشفت وصارت سخيفة، فالحكومة لايحق لها أن

تعتبر نفسها هى الوطن! وما تأخذ به من سياسات صحيحة أو خاطئة هى الوطنية وبالتالى فإن وطنية الكاتب تملي عليه أن يؤيد الحكومة على طول الخط وينافقها بلا تردد».

* العدل والحرية

ويتميز موقف أحمد بهاء الدين من القضايا العامة بأنه موضوعى ومتوازن يستلهم حركة التاريخ ودروسه

فرغم حماسه لثورة يوليو، إلا أنه كان مقتنعا بأن مصر لم تولد فى يوليو ١٩٥٢، ولكن لها تاريخ عريق فى طلب شيئين أساسيين: العدل والحرية

وعندما صدر قانون تطهيرالأحزاب وقدم للمحاكمة فى مجلس الدولة بعض رجالات حزب الوفد.. توجه بهاء ، كواحد من الجمهور العادى، ليقف فى آخر صف فى قاعة المحكمة المزدحمة. وبكى. فقد أحس أنه يرى مشهدا تاريخيا مؤثرا.. يرى بناء ضخما يلقي حتفه «الذى لامفر منه» مهما كانت الطريقة.

ويرى أحمد بهاء الدين أن «السذج» الذين يحبون بلادهم - وهو منهم- ويحبون كل قطعة منها ومن تاريخها.. يجدون أنفسهم فى حالة بكاء على موت عزيز رغم أنه أدرك سن الموت، ومع ذلك فإنه يرفض الحكم بإعدام تاريخ الوفد وتاريخ الحركة

الوطنية كلها، ويرفض أن يتبرع ساسة بإعدام «الماضى» كله نفاقا للعهد الجديد .

ثم جاء وقت (يوليو١٩٧٤) يطالب فيه البعض بإعدام ما يسمونه «الماضى» مرة أخرى (وهم يقصدون بالماضى هذه المرة ثورة ٢٣ يوليو وعهد جمال عبد الناصر)!.

* ذروة دراميه

هنا نصل إلى الذروة الدرامية فى مواقف أحمد بهاء الدين من القضايا العامة ومعاركه المريرة.

فقد وجد هذا الكاتب الوطنى الديمقراطى المستنير نفسه فى موقف غريب فى مطلع السبعينات:

أن هؤلاء الذين كانوا يؤيدون حكام ٢٣ يوليو تأييدا مطلقا ويحرضونهم على اتخاذ الاجراءات الاستثنائية- مثل قرارات العزل والحراسة ذات الطابع العقابى- (وكلماتهم مسجلة فى المحاضر والمؤتمرات والصحف) يحاولون الآن، بعد أن تغيرت الظروف أن يلبسوا أثواب بطولات لم يمارسوها. ويستعيد بهاء ذكريات الأيام الأولى التى أعقبت ثورة يوليو:

«البعض لم ينتظر..هبت حملات المطبلين والمنافقين ، خصوصا الذين شعروا مع «الانقلاب» أن عليهم أن يبالغوا فى التطبيل للجديد، لتغطية تطبيلهم للقديم.. وكنا، نحن، مازلنا

شبابا.. الثورة غير واضحة المعالم بالضبط ، هل هى مجرد حكم عسكرى كحكم الكولونيلات فى اليونان وفى تطور أبعد وتعبير أعمق عن جماهير الشعب وحاجات الوطن؟ البعض لم ينتظر.. والحملة التى قام بها هذا البعض كتبت صراحة وعلنا تشيد بالحكم العسكرى وتطالب بالسلطة الفردية المطلقة وتبنى أسطورة «عبادة الفرد» حتى قبل أن تتبين ملامح الفرد واتجاهاته..»

أما أحمد بهاء الدين، الذى طالب بالثورة قبل وقوعها ، فقد انزعج من هذا الاتجاه لأنه كلن يريد المشاركة الشعبية.

والمهزلة التى كان يشهدها بهاء هى أن نفس المحرضين على الحكم العسكرى، والسلطة الفردية هم الذين انقلبوا فى أوائل السبعينيات لكى يطالبوا بمحو «الماضى».

ويتصدى بهاء للرد قائلا :«تاريخ الـ٢٢ سنة الماضية، هل المطلوب عدم كتابتها وتصحيحها وإنصافها ونقدها؟ هل المطلوب إلغاؤها؟»

* بطولات زائفة

ولم يكن أحمد بهاء الدين من الذين اقتنعوا بالاشتراكية وسياساتها بقرارات جمهورية أو بتعليمات ، ولكنه دعا إيها قبل أن تصبح منهاجا رسميا للحكم.

وهو يعـرف جـيـدا «أن هـناك من خطبــوا وتكلمـوا عن الاشتراكية خلال سنوات حكم عبد الناصر بأعلى صوت، ولكنهم مع ذلك كونوا الثروات واستثمروا النفوذ ولم تذهب اقتناعاتهم إلى أبعد من سن القلم أو طرف اللسان فلم تصل قط إلى العقل أو تسكن فى القلب، ولكن لأن هذا كان «مطلوبا».

ومن عـجائب الأمـور أن «الآخـرين» الذين حـاولوا أن يكونوا «فـرامل» وأن يحتفظوا على الاتجاهات المعادية للديمقراطية- وهذا أيضا مسجل ومنشور- لايحاولون فى السبعينات الرجوع إلى هذه «البطولات» فالسياسة عندهم لم تكن تجارة. ولما كان تأييد أمثال بهاء لعبد الناصر عن اقتناع وليس نفاقا. فإنه لم يكن فى حاجة فى عهد السادات للاعتذار عن تأييده لعبد النصار ، كذلك لم يكن مستعدا لمنافقه خليفة عبد الناصر، وهو الذى لم ينافق عبد الناصر.

وهنا يتحدى أحمد بهاء الدين المطبلين ويدعوهم للنزال:

«ابحثوا لو شئتم وستعرفون من الذين اغتنوا فى ظل الاشتراكية. وأقاموا العمارات، واشتروا الأراضى، واكتظت بيوتهم بالتحف، واعتنقوا رموز الوجاهة، التقليدية، أياً كانت هذه الرموز، من العلاج بالخارج من أتفه الأمراض على حساب الدولة، إلى كبائن المنتزه، إلى شقق الحراسة إلى ...إلى..).

ومرة أخرى يعلن بهاء التحدى :

«لهذا يقول السذج الذين عاشوا بالأفكار وسيموتون بها :

فتشونا! إذا وجدتم لدى واحد من هؤلاء غير أثاث شقته وربما سيارات صغيرة نصف عمر، وأحيانا مئات قليلة فى البنك للطوارىء.. حاسبوهم!».

وهنا يطالب أحمد بهاء الدين بتطبيق قانون «من أين لك هذا؟ الذى صدر تحت وطأة ما شعر الناس به من التناقض بين مطالبتهم بالتقشف للبناء، وبين الثروات التى تظهر من حيث لايفهم أحد.

ويقدم بهاء نموذجا للنقد الموضوعى لعهد عبد الناصر يختلف تماما عن حملات التشويه والافتراء والتشكيك فى الذمة ضد عبد الناصر فى عهد السادات.. فيقول:

«من أبرز مشاكل الفترة التى مضت فى تقديرى أن عبد الناصر لم يحاول أو لم يهتم بالالتقاء والاحتكاك بالنخبة المفكرة فى البلاد فى شتى المجالات، رغم أنها نخبة فكرية كان يقودها.. وخبة اجتهاد وكفاءة لانخبة اسم وميراث.. إن القراءة هنا لاتكفى.. المناقشة شىء آخر. ولكن عبد الناصر أحيط به إحاطة السور بالمعصم. ولم يعرف من هؤلاء إلا من صار منهم وزيرا أو مسئولا رسميا، وهو وضع مختلف ، وكان هم كل من

يجد مكانا فى السوار المحيط به أن يحجب سواه خصوصا الشباب منهم.».

* الروح لم تنكسر

ومن أخطر القضايا التى تناولها أحمد بهاء الدين قضية الدعوة النضال والمواجهة بعد هزيمة يونيو:

«لقد انكسرت فى البلاد العربية يوم ٥ يونيو أشياء كثيرة ..أشياء كثيرة، كلها يمكن أن تعوض ، ولكن روح الأمة العربية لم تنكسر، وهذا مهم، لأن الروح إذا انكسرت لاتعوض.. والبلاد التى تريد أن «تؤثر السلامة وتفضل الراحة والدعة».. إنما تركلها الأقدام وهى تتدحرج إلى أسفل من درجة إلى درجة.. إلى قاع بغير قرار. أما المستميت فلا يموت، أما البلاد التى تقبل التحدى وتجتاز الامتحان فهى التى يكتب لها أن تبقى..».

وفى هذا المجال لايمكن إغفال حقيقة أن أحمد بهاء الدين هو صاحب فكرة وضع القضية الفلسطينية فى أيدى الفلسطينيين أنفسهم وإقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة. ولم يكن هذا الرأى يخطر على بال المخططين العرب الذين اعتادوا التحدث باسم القضية الفلسطينية .

* المستقبل العربى

وقضية المستقبل العربى تشغل أحمد بهاء الدين باعتبارها

قضية مصير. وثمة وضوح شديد في مواقفه تجاه هذه القضية :

«إننا ننظر إلى السنوات التي وراءنا .. فنجد صورة العرب هي صورة القبائل والخيام والجمال، صورة الأرض التي تنتظر الأمطار لكي تروى، والأنهار التي تتبدد مياهها في البحر ، صورة الاعتماد على الزراعة وشراء كل معدات الحياة الحديثة من الخارج!».

فما هي الصورة التي يريد «بهاء» أن يراها للمستقبل العربي إذن؟.

«ننظر إلى السنوات التي أمامنا، والشعارات التي ستصبح حقيقة، فنجد شيئا آخر: مشروعات استغلال الأنهار ، وجعل الزراعة عملا علميا منظما، وسدا عاليا على النيل، وسدا عاليا على الفرات لاستثمار الماء والكهرباء في الزراعة والصناعة. ثم صناعات جديدة وتخطيطا علميا، وأفرانا لصهر الحديد والصلب.. وآلات تدق الأرض وتكشف البترول وخامات الحديد، وفلاحين يتحولون إلى عمّال، وعمالا عاديين يتدربون ويتحولون إلى عمال فنيين، وسلعا أجنبية مصنوعة نستغني عنها ونستعمل بدلا منها سلعا من صنع بلادنا وعمالنا ومهندسينا».

والصورة التي يحلم بها أحمد بهاء الدين تتغير دائما.. بل تنقلب انقلابا! والشرق العربي، الذي كان المؤلفون الأجانب

يسمونه- كما يقول بهاء- «بيت العالم الفقير» ينتقل- حسب رؤية الكاتب- من عصر إلى عصر ومن حياة إلى حياة! فإذا ببلادنا لم تعد «أريافا» بالنسبة لمدن كبيرة اسمها أوروبا وأمريكا! وشعبنا لم يعد مجرد «زبائن» يشترون كل شيء من دكاكين اسمها أوروبا وأمريكا! كلا! فالكاتب يريد أن تتحول بلادنا إلى مدن عصرية حديثة لها صناعتها وزراعتها وعلمها وحضارتها.. ويريد أن يتحول شعبنا من مستهلك إلى منتج بين المنتجين.

ومن ثم.. يشن أحمد بهاء الدين حملات قوية ضد «الحرب القذرة» للاستعمار الفرنسي في مراكش والجزائر وضد إبادة الوطنيين المكافحين في جنوب أفريقيا .

وهو يعتبر أن هناك حقيقتين متوازيتين تحكمان العالم العربي هما الاتصال والانفصال.

الانفصال، بمعنى أن كل قطر عربي له ظروف ترتبت على واقع التجزئة، وعلى اختلاف المراحل التي يمر بها كل قطر، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا.

والاتصال، بمعنى أن هذه الاقطار لاتعتبر التجزئة واقعا نهائية، ولكن تستشعر في قرارة ضميرها رابطة قومية واحدة وتطمح أن تتخطى يوما حواجز الانفصال وتحقق الانتماء القومي الشامل.

ولذلك كان قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨، بكل الأحداث التي مهدت لقيامها وصاحبت مولدها. وبكل المعانى التي ارتبطت بها ووقفت إلى جانبها- فيما يرى أحمد بهاء الدين- كالنور الذى بدد الظلام، فقد أصبح الانتصار على الإقليمية أمرا ممكنا وحقيقيا، في تقديره، كما أصبحت الوحدة العربية مستقبلا حتميا مؤكدا.

ويعلن بهاء أن هذا الحدث يعنى أن الاستقلال المطلق عن القوى الكبرى أصبح ممكنا، وكذلك حريتنا الكاملة فى الاختيار كل ذلك بات واقعا نعيش فيه لا خيالا نتغنى به. علاوة على أن قيام الجمهورية العربية المتحدة كان بالنسبة للجماهير قمة الانتصار على «مركّب النقص» في نفوسنا نحو إسرائيل، كما قال أحمد بهاء الدين.

ويعيش بهاء كل تفاصيل أحداث العالم العربى على مدى أكثر من ثلاثين سنة ويعرف كل القادة العرب ويعرفونه ويدير حوارات حول كافة القضايا العربية الكبرى، ويرفع الصوت العربى فى المؤتمرات والندوات التى يشارك فيها بأى مكان من العالم، وقد أثار ضجة فى إحدى دول أوروبا عندما طالب بمحاكمة شعبية لجرائم إسرائيل فى الحرب ضد لبنان عام ١٩٨٢. ومنذ ذلك الوقت، وهو يركز انتقاداته على غياب استراتيجية عربية شاملة. ويحث على اتخاذ أى خطوة من شأنها تعزيز وتعميق العلاقات

العربية. وهو صاحب الرأى المخلص والسديد من منطلق السعى إلى أن يتقوى ساعد الأمة العربية .. فيقول مثلا أنه يريد من تجمع دول الخليج أن ينفى عن نفسه تهمة أنه «نادى الأغنياء» وأن يأخذ من تجمعه سبيلا أوسع لتقديم العون الاقتصادى للمجموعة العربية بوجه عام.

ووقف أحمد بهاء الدين فى الصف الأول فى معركة الدفاع عن عروبة مصر فى وقت كانت فيه حسابات السادات السياسية تملى ضرورة فك الارتباط بين مصر والعالم العربى.

ومنذ سنوات مبكرة وأحمد بهاء الدين مشغول بالحركة السياسية والفكرية والثقافية فى مصر وقدرة هذه الحركة على طرح أفكار صحيحة وجديدة، وكان أول لقاء بين كاتب هذه السطور وأحمد بهاء الدين عندما وجهت إليه الدعوة لحضور ندوة موضوعها «بين العلم والفلسفة» فى كلية الآداب بجامعة القاهرة. شارك فيها كل من الدكتور عثمان أمين والدكتور محمد صقر خفاجة والدكتور عبد العظيم أنيس والدكتور توفيق الطويل وعادل ثابت.

وكان بهاء يشعر بقلق بالغ من احتمال أن تكون الحياة الفكرية فى الجامعة قد أصيبت بالجمود فى العامين الأولين اللذين أعقبا ثورة يوليو. وقد شعر بارتياح شديد وهو يتابع وقائع تلك الندوة. وقال إن الروح الجامعية تبدو فى ذروة

انطلاقها .

فى تلك الأيام، بدا بوضوح حرص أحمد بهاء الدين على متابعة النشاط الفكرى والثقافى فى الجامعة.. إنه يريد أن يعرف كل شىء عما يجرى فى الساحة والتيارات المختلفة المتصارعة فى ذلك الوقت.

* المال العام

ومن أكبر المعارك التى اشتبك فيها أحمد بهاء الدين مع قوى عاتية معركة الدفاع عن المال العام والقطاع العام والاقتصاد الوطنى، وهى معركة لم يدخر فيها أى جهد أو طاقة، ولم يهتز خلالها قلمه ولم يهادن أو يساوم بل كان حاسما وقاطعا كحد السيف.

وبادىء ذى بدء ، فإنه يلح على أهمية أن يتعود كل من يعمل فى الحقل العام أن المال العام له حرمة وأنه يجب أن يحسب انفاقه بالقرش والمليم، وأن يكون وراء انفاقه عائد أو ضرورة.

وهو يدافع عن القطاع العام ضد القائلين بأنه يخسر مما يستوجب إغلاقه، ويتساءل: لماذا إذن يهاجمون هذا القطاع العام إذا قررت إحدى شركاته رفع منتجاتها فى السوق ويتهمونه بأنه يصنع ما يصنعه القطاع الخاص من السعى وراء الربح ويزيد العبء على المستهلك؟ إنه، أمر محير، كما يقول

بهاء. ويتساءل مرة أخرى: إذا كان القطاع العام يفعل ما يفعله القطاع الخاص ليربح أو ليغطي خسائره، فماذا يغضبكم، وأنتم تبشرون ليل نهار بالاقتصاد الحر وإعطاء كل شيء للقطاع الخاص؟

وبهدوء، يوضح بهاء لخصوم القطاع العام أن هذا القطاع هو الذى حمل عبء التنمية في مصر، وهو الذى أقام القاعدة الصناعية في البلاد، ولولاه- مع هذه الزيادة في السكان والتعليم- لتفجرت ثورات دموية من ضيق الرزق وسوء الأوضاع. ويقول بهاء إن القطاع العام يتحمل عبء زيادة العمل ويتحمل أسعار الخامات التي تحددها الدولة له، ويتحمل توجيه الدولة له لإنتاج سلعة معينة يحتاجها الشعب أكثر من غيره، ويتحمل أخيرا مطالبة الدولة له بأن يبيع بسعر معين تيسيرا على الفئات الواسعة من الشعب.

ومع ذلك فإن بهاء يرى أن للقطاع العام عيوبه، ويدعو لتخليصه من الروتين ومن المنحرفين ويطالب بجعل عامل الربح أحد مؤشراته وبأن يتخلص القطاع العام من المشروعات الصغيرة التي لاتناسبه ولن يحسن إدارتها على الإطلاق. ويعرب بهاء عن دهشته إزاء البعض من الذين يهاجمون القطاع العام ثم يجعلونه يتوسع فيشوى الكفتة في الشوارع ويحمر الدجاج ويبيعه للناس! ويقول: «لماذا لايبيع القطاع العام لك دور

السينما حتى يملكها القطاعالخاص؟ لماذا لا يتخلص من إدارة الفنادق أو ملكيتها حسب الظروف؟.. لماذا لا يترك النشاطات السياحية كلها للقطاعا لخاص؟ إن هناك عشرات من الأمثلة من هذا النوع..».

* أسير قراءة التاريخ

غير أن أحمد بهاء الدين كان يواجه تيارا شرسا كاسحا يريد تدمير كل شيء تحقق من قبل تحت شعارات جديدة، وخاصة في النصف الثاني من السبعينات. وكتب يقول في مرارة محذرا:

«لمن هو أسير قراءة التاريخ مثلى ، كان يبدو أن الموجة الجديدة تستهدف إنهاء محاولة إقامة اقتصاد وطنى يستطيع الوقوف علي قدميه والتعامل مع الدنيا طبقا لقواعد مقبولة، وإعادة هذا الاقتصاد إلى التبعية الكاملة للخارج ما يذكر بما حدث فى أواخر عهد الخديوى إسماعيل ثم تحت حكم اللورد كرومر والخديوى توفيق..».

وفى مواجهة محاولات تشويه الرأى، وأمام الصخب الذى يثيره المتحدثون باسم القطط السمان الذين تحولوا إلى حيتان.. اضطر بهاء أكثر من مرة إلى توضيح موقفه ووضع خطوط فاصلة :

«لسنا ضد أى نشاط إنتاجى واستثمارى للقطاع الخاص. إننا فقط ضد أى محاولة لتدمير القطاع العام، وقد طالبنا مراراً بأن يتخلص القطاع العام من أشياء ضمت إليه دون داع .ولكن هذا شيء غير التحامل على القطاع العام ونسبة كل الأخطاء إليه. فهذا القطاع العام في جوهره هو الذى «يصلب عود» القطاع الخاص حاضرا ومستقبلا».

النقط فوق الحروف

غير أن هستيريا وحمى «الانفتاح الاقتصادى». ونزعة التدمير للبناء الاقتصادى القائم. كانت تجتاح دوائر الحكم وأجهزة الإعلام والمنابر والمنتديات.. ووصل الأمر بأحد أعداء تجربة القطاع العام إلى نشر مقال فى إحدى الصحف يطالب أحمد بهاء الدين بأن يغلق فمه «وحياة أبوك» (مخاطبا الكاتب الكبير) ولم يلق بهاء السلاح بل ازداد إصرارا على خوض المعركة والقتال ، فكتب يقول:

«إننا نؤيد تشجيع القطاع الخاص ورأس المال الاستثمارى والانفتاح الانتاجى.. بشرط أن لايكون تشجيعه بإعطائه حرية السرقة والتهريب والفرار بالملايين من العملات التى كسبها الشعب باغترابه وعمله».

ويسخر بهاء من الذين يعتبرون أن كلمة «السوبر ماركت» أو

«الشوبنج سنتر» هي علامات التقدم والاستقلال!.

وبصراحة كاملة، يضع بهاء الدين النقط فوق الحروف وهو يخاطب أصحاب الأموال في مصر، الذين يشنون حرب أعصاب على أنفسهم وعلى الدولة بفكرة أن كل تدخل من الدولة معناه تخويف رأس المال وتهريبه وسلبيته إلى آخره.. فيقول: «كلا رأس المال الجدى يهمه الاستقرار والتطهير ومحاربة الفساد وسيادة القانون والمنافسة المشروعة، لا الاحتكارات التي يخلقها لأنفسهم أصحاب النفوذ بوسائل غير اقتصادية! رأس المال يطمئن إلى يومه وغده مع تطهير سمعته من المال الذى يتاجر في الأطعمة الفاسدة، ومن تجميد أموال الناس في عمارات لاتتم، وتحويل كل عنوان جميل إلى معنى مكروه لدى الناس..»

* أغنياء الانفتاح

والمستثمرون – في رأيه– يمكن تقسيمهم بوجه عام إلى ثلاث مئات :

١– فئة تقوم استثماراتها على نزح الأموال من مصر إلى الخارج..

٢– وفئة تقترض من المال المتوفر في مصر فعلا ، أى من البنوك، وهو مال وفير ومعطل، ويوقمون باستثماره في مصر..

وهؤلاء يجب تشجيعهم إلى أقصى الحدود. بل أن مهمة أجهزة الاستثمار هذه لايجوز أن تقف عند حد «الموافقة» على المشروعات، بل «دراسة وإعداد» المشروعات خصوصاً للمستثمر المتوسط والصغير..

٣- وفئة تأتى بأموالها من الخارج إلى مصر. اغتربوا طويلا وعادوا بأموالهم يستثمرون فى مصر، فيكتشفون أنهم وقعوا فى شراك شتى.. تبدأ من البيروقراطية وتمد إلى الابتزاز! وهكذا يجدون أنفسهم فى غابة من اللوائح والعقبات والذئاب!.

والظروف تفرض على أحمد بهاء الدين أن يحتشد لمقاومة محاولات الردة والانتكاس فى مرحلة دقيقة وفاصلة من حياة البلاد. وهو يضع أصبعه على كل الجراح ويتولى بكل تواضع وبساطة تشخيص المرض واقتراح العلاج:

«ظاهرة المرحلة التى تمر بها، وانتشار «أغنياء الانفتاح» التى تشبه ظاهرة أغنياء الحرب قبل ما يزيد على أربعين سنة، هى ظهور هذه الفئة التى تملك المال ولا تملك المعرفة، وهى فئة لا تعرف إلا الإنفاق المباشر على أنماط الاستهلاك: الطعام بكثرة، الملابس ، وأغلى السيارات ، واللهو والمتع. وإنفاق مئات الجنيهات على مائدة واحدة، وهى التى تملأ كباريهات شارع الهرم.. وعشرات المظاهر الأخرى.. ولو كانت القنوات التى يجرى فيها المال الغزير فى البلد الفقير قنوات إنتاجية لفاض

خيرها على المجتمع ولاستفاد الغنى والفقير معا..».

* مغامرون ولصوص

ولم يكن هناك من هو أشد قسوة فى المعركة ضد اللصوص المغامرين من أحمد بهاء الدين فى وقت أخذوا يتوالدون فيه ويتكاثرون فى لمح البصر..

ويطلقون العنان لكل أنواع النشاط التى يكدسون من خلالها الثروات ولايستفيد الوطن شيئا. كتب بهاء يقول:

«وسبحت السوق فى مصر على بحر من العملات - من عرق المصريين فى الخارج- لم يسبق له مثيل لاقبل ١٩٥٢ ولابعد١٩٥٢ بسبب ارتفاع أسعار البترول عقب حرب ١٩٧٣، وبالتالى سفر المصريين للعمل فى الخارج بمئات الآلاف، وبالملايين فيما بعد.. وبدلا من انتهاز هذه الفرصة لتحويل هذه الأموال إلى قنوات استمثارية منتجة، تركت فى الأسواق وتوجد الشهوات الجديدة وتتيح الفرص للمغامرين واللصوص والمزيفين الذين ينتحلون صفة رجال الأعمال. هذا الواقع هو الذى رفع ديون مصر من ألف مليون دولار إلى أكثر من ثلاثين ألف مليون دولار فى عشر سنوات، وجعل مصر لاتفيد من مرحلة الثورة البترولية، وأخذ المصريون يعودون بلا عمل. وبالتالى كل مصاعبنا الاقتصادية التى نحن فيها الآن».

* الاقتصاد الحر

وخلال تلك المعارك والمواجهات الطاحنة ظل أحمد بهاء الدين حريصا على توعية مواطنيه وقرائه بالتجارب العالمية مستعينا بذخيرته من الثقافة الموسوعية. كتب يقول:

«نظام الاقتصاد الحر الكامل لم يعد موجودا إلا فى كتب الاقتصاد القديمة، فالعالم الرأسمالى ذاته يعرف البنوك والصناعات الكبرى التى تملكها الدولة. ويعرف حقوق العمال والتزمينات المختلفة، ويعرف قوانين منع الاحتكار، ويعرف أساليب الحماية من المنافسة الأجنبية. ولم يعد قول زعيم اليمين الأمريكى «جولدووتر» قبل عشر سنوات «إن الفقير مسئول عن فقره ولاحل له.. كما أن من ولد بقدمين كبيرتين لايمكن له تغييرهما».. لم يعد هذا القول وارداً..

وإذا قال قائل اليوم إن اتفاقية «الجات» تحول دون وسائل الحماية.. فإن الرد هو أن الدول الصناعية الكبرى فرضت وسائل حمائية إلى أن أقامت مؤسساتها الصناعية الكبرى التى أصبحت جاهزة الآن للمنافسة، ولولا أساليب الحماية التى فرضتها لما وصلت إلى المستوى الذى بلغته الآن.

* حماية الصناعة الوطنية

ودخل أحمد بهاء الدين بكل قوة معركة حماية الصناعة الوطنية المصرية. وأطلق على دعاة «الانفتاح» اسم «دعاة السداح مداح وكل شيء مباح» وقال : إنه حتى الرأسمالية الوطنية يهددها منطق «السداح مداح» ، فالاقتصاد الحر بمعناه المطلق يعنى أن البقاء للأقوى. وبالتالى فإنه لو أقيم فى مصر غدا مصنع أجنبى ضخم لصناعة الأحذية مثلا، فهو كفيل بأن يغلق أكثر من عشرة آلا ورشة أحذية يعمل فيها عشرات الآلاف من المصريين ..

ومرة أخرى يطلق بهاء صيحة تحذير مدوية:

« ..ليس هدف الانفتاح هنا أن يكتب أحد ذات يوم ما كتبه لورد كرومر متباهيا بعد سنوات من احتلال مصر:

«لقد اختفت الصناعات المحلية من الأسواق وصارت السلع الأوروبية فى كل مكان»! .

* دفاع عن العدل

ولايتخذ أحمد بهاء الدين موقف الحياد تجاه القضايا العامة الكبرى- كما يتضح من السطور السابقة- بل أنه يعلن ، بلا مواربة، انحيازه إلى العدل وإلى من يكسبون المال بالحلال والجهد أو نتيجة تفوقهم وتميزهم، ويلعن الظلم والتطفل والحرام،

فيكتب قائلا :

لايخدعنك وصف هذا النظام أو ذاك بأنه ديمقراطى أو ديكتاتورى.. على أساس وجود برلمان وأحزاب، وغيرها من شكليات الديمقراطية.والسياسة ليست غاية فى ذاتها، إنما غايتها إقامة العدل بين الناس. فاسأل فى أى مجتمع : من يكسب المال؟ وكيف؟ ومن أين؟ ومن المتخم؟ ومن المُمروض؟ تعرف أكثر جوهرالنظام السياسى.

إن المال هو محور الحياه فى هذا العصر. محورالصراع السياسى. محور العرق اليومى، هل يكسب المال المتفوقون المتميزون، أم يكسبه البلداء؟ هل يكسبه مثلا محمد عبد الوهاب أم موسيقار اسمه محمد برعى (مع الاعتذار مقدما إذا تصادف ووجد موسيقار بهذا الاسم)؟ هل يكسب المال الذين يبذلون عرقهم ويعملون عشر ساعات فى اليوم؟ أم الذين يصنعون الملايين بمكالمة تليفون؟ هل يكسب المال صاحب رأس المال أو صاحب الحرفة أو المهنة؟ أم يكسبه صاحب النفوذ وقريب صاحب النفوذ؟ هل يكسب المال من يحترم القوانين الموضوعة؟ أم يكسبه من يخترق القوانين؟ هل يكسب الفرد قيمة بعمله- من العالم إلى الكناس- أم يكسب الفرد قيمة بعلاقاته ومصاهراته وبلطجته وإغفاء عين السلطة عنه؟ هل يكسب المال من يستطيع أن يقدم كشفا بمصدر كل مليم؟ أم

يكسب من لايستطيع أن يفسر إحرازه لعشرة ملايين ؟ تلك هى الأسئلة الأساسية .. وما السياسة إلا صراع وخلاف حول الأسلوب الذى يوضح أكثر من سواه الفارق بين الجهد والتطفل، بين العدل والظلم، بين الحلال والحرام».

ومعذرة للاستطراد الطويل السابق .

غير أن هذه الفقرة المسهبة من كتابات أحمد بهاء الدين توجز رأيه فى قضية من أهم القضايا التى تواجه المجتمع المصرى عبر أحقاب طويلة، وخاصة بعد أن تفاقمت الشرور فى السنوات الأخيرة، وقد استخدم بهاء كل قدراته فى التبسيط ليطرح فكرته بأقصى درجة من الوضوح .

* معنى الوطنية

ومن أبرز مساهمات أحمد بهاء الدين فى فترة زاد فيها الاضطراب الفكرى والتشويش والتضليل، أنه كتب موضحا وجهة نظره حول المعنى الحقيقى للوطنية والمعنى الحقيقى أيضا لما أسماه الوطنية الاقتصادية.

يتابع أحمد بهاء الدين ذلك الحوار والأخذ والرد بين عقليتين أو طرفين: طرف يريد أن يستخدم اقتصاد البلد فى رخاء فئة لاتزيد عن سبعة فى المائة، وطرف يريد أن يستخدم اقتصاد البلد فى تحسين أحوال التسعين فى المائة الآخرين، أو أكبر

نسبة ممكنة منهم .

«.. ودعونا من كل النظريات والاتهامات والشوشرة الكاذبة. إن هذا ببساطة هو محك معنى الوطنية». دعونا من الذين يكتفون بحب مصر على أمواج الإذاعة وشاشات التليفزيون ، والأناشيد الغنائية والمقالات الغرامية.. إننا فقط نريد من هؤلاء أن يحبوا مصر فى غير التمثيليات الخطب والمقالات والأناشيد.. نريدهم أن يحبوا مصر بأن يحبوا شعبها.. فهذا هو الحب الأصيل». وليس مجرد حبها «لظلها الظليل» وأن يحبوا شعبها هو أن يكافحوا لكى يتعلم الطفل المصرى أحسن، ولكى يلبس المواطن المصرى أحسن، ويأمل أحسن ، ويجد مرافق حياته، التى صارت بدائية، كمواسير المياه والمجارى والمواصلات العامة والشوارع المدمرة، فى حالة أفضل..

الوطنية اليوم بالممارسة، لا بالأغانى والأناشيد والمهرجانات..»

لم يعالج كاتب مصرى من قبل قضية الوطنية بهذاالعمق والاستنارة. ويكفى للدلالة على شجاعة الكاتب أن مفهومه للوطنية يعنى أن معظم من تولوا الحكم فى مصر فى تاريخها السابق خارج دائرة الوطنية.

* تحذير من الكارثة

أما الوطنية الاقتصادية، فإن أحمد بهاء الدين يشرحها على النحو التالي :

«لنعمل وننتج ونتعب ونعرق، ونشترى بعد ذلك السيارات الكاديلاك.فهذا وضع اقتصادى سليم. أما أن يركب الكاديلاك مائة، ويركب كبارى المشاه مليون. ويجرى وراء المواصلات العامة ملايين، وتدفع هذه الملايين ثمن الكاديلاك.. فهذا ليس ظلما فحسب وإلا لاحتملناه.. ولكنه كارثة اقتصادية قومية تنتهى برهن البلد كما رهن فى أواخر عهد إسماعيل»..

والوطنية الاقتصادية -عند بهاء- لاتقل شرفا عن الوطنية السياسية.

* شعار :«الكل مصريون»

وقبل عشرين عاما بالضبط، كان أحمد بهاء الدين يكتب (فى ٢٨فبرايرعام ١٩٧٥) بلا ملل ليشرح معنى الوطنية في وقت حاول فيه البعض تعريف الوطنية بأنها تأييد الحكام والولاء المطلق لهم، كما حاول البعض تعريف الوطنية على أنها إعلان العداء لشعوب أخرى حتى لو كانت شقيقة كتب بهاء يقول:

«لم تعد الوطنية هى التعصب بمعنى عدوان الوطن على أوطان غيره والسيادة عليها، بالمعنى النازى، ولم تعد الوطنية

مـجـرد رؤية الوطن عـزيزا مـسـتـقـلا، وإنمـا هـى فـوق ذلك رؤية المواطنين أعزاء أحـرارا يتمتعون بمسـتوى لائق من المـعيشـة ولايعـانون من اسـتـغـلال داخلى أو خـارجى. هذه هـى وطـنيـة العـصـر الحـديث، وطنية العـصـر الديمقـراطى، وطنيـة الحـرية والمسـاواة.. والمـصـرى الحـقـيقى هو الذى يؤرقـه العدوان على وطنه، كما يؤرقـه أن يرى معظم مواطنيه يعيشـون دون الكفاف، ويؤرقه أن تقوم أى ظروف تسـمح باستغلال المصـرى للمصـرى تحت ستار أن الكل مصريون فقط..».

* حملة تنوير

إنه يذكرنابالموسوعيين الذين قادوا حملة التنوير قبل الثورة الفرنسيـة. وهو مـدافع نزيه عن الشـعب، يمـارس مهمته بمثـابرة وعناد. والدفـاع عن الطبقـات الشـعبيـة قـضيـة مقدسـة بالنسبة للكاتب أحمد بهاء الدين كما أنه داعية للتحول الإجتماعى، كتب فى ٢١ يناير عام ١٩٧٢ يقول :

«إن التـحـول الاجتمـاعى مطلوب، لأنـه لابد أن يشـعـر الشـعب أن نضـاله أيضـا يمتد إلى الأمل فى حيـاة أحسن ، حيـاة أكثـر عدالة وأعلى مـسـتـوى، ولابد أن يشـعـر أن النضـال يشـارك فى عبئه الجميع».

ومن هنا فإنه يطالب ببذل الجهود لرفع مستوى القاعدة، التى

هى «الأسمنت المسلح» فى بناء أى مجتمع أو أى دولة ولايكف عن التذكير بأن الأمم لم تعد تحسب قوتها وتقدمها بعدد أصحاب الملايين فيها، ولكن بمستوى الحد الأدنى من المعيشة لشعبها.

* دعوة إلى المساواة

وهو يدعو إلى المساواة بين الناس أمام القانون، فلا تتقوى الدولة على الضعيف وتضعف إزاء القوى.

ويوجه النصح بروح الاعتدال:

«نريد أن نقضى على شعور المواطن البسيط بأنه «منهوب» باستمرار.. وهو شعور مدمر للأمن والاستقرار والسلامة النفسية للإنسان المصرى ..حتى لو كان شعورا خاطئا..فالمهم تصحيحه».

ويرفض أحمد بهاء الدين خلط الأوراق، ويرفض توبيخ الناس على ما لاحيلة لهم فيه. وتقدم للدفاع عن المواطن الفقير الذى تعرض لهذا التوبيخ لأنه يكثر من أكل الخبز!!

وقال بهاء إن استهلاك الخبز علامة فقر لا علامة غنى ومظهر حاجة لامظهر إسراف لأن مائدة الفقير تخلو من كل ما يوجد على موائد الأغنياء.

* حكاية «الحقد»

وعندما جاء وقت كثر فيه حديث الحكام عن «الحقد» الذى

تمتلىء به قلوب المصريين وقالوا أن هذا الذى أسموه بالحقد من مخلفات عهد عبد الناصر، لم يتطوع بالرد والمواجهة سوى أحمد بهاء الدين، الذى كتب يقول: «الكلام عن إزالة الحقد ليس بالقول ولكنه بالعمل، ليس بوعظ المحرومين، ولكن بإعطاء القدوة فهذا وحده هو الذى ينزع أسباب الحقد، ولاتعود التربة الطيبة تنبتها من جديد».

ويقول أيضا :« إن الذين يأكلون الخبز الفاخر وينسون شكل رغيف الشعب، والذين ينفقون عرق الناس فى استيراد أفخر الثياب والكماليات وينسون ملابس الشعب. والذين يسرقون هم طبقة دخيلة، مبتلة..

«ثم يطالبون المواطن الذى لايجد حتى الماء ولا الصرف الصحى، أن تتخلص نفسه من «الحقد» ، أى حقد ياسادة، وقد صارت هناك ملايين لسان حالها يقول: «أنا الغريق فما خوفى من البلل».

والمطالبة المشروعة بالحق - فى رأى بهاء- «ليست هى الحقد الذى يتحدث عن الرئيس» و«الحقد لايولده أكثر من الظلم ولايقتله أكثر من العدل».

* المعركة ضد الفساد

وشهر أحمد بهاء الدين قلمه لمحاربة الفساد بلا هوادة فى وقت كان البعض يعتبر فيه أن الكشف عن الفساد هو «تشويه

لسمعة مصر»! ورد بهاء فورا على هذا الهراء قائلا :

«يقولون محاكمة الفاسدين ومطاردتهم «تشويه» لسمعة مصر. وهو قول مردود لأن اقتلاع الفساد هو الذى يطهر سمعة البلد وطنيا وسياسيا واقتصاديا ، وقيام النظام على العدالة والطهارة هو الدعاية الحقيقية لأى بلد».

وفي السادس من نوفمبر عام ١٩٨٢، طالب أحمد بهاء الدين بنشر نص مضبطة الجلسة الرابعة والعشرين من جلسات مجلس الشعب – المعقودة يوم ٢٩ يناير عام ١٩٧٩، أى قبل ثلاث سنوات من نشر مقاله. ولم ينتظر بهاء أن يتم نشر نص المضبطة، وتولى – هو- نشره لكى يزيح الستار عن الوجه القبيح للفساد فى مصر، وفى الجلسة المشار إليها، وقف النائب «عادل عيد» وقال:

«أطالب بأن يقدم الأشقاء والأقارب والأصهار، حتى الدرجة الثالثة، لكل مسئول فى هذا البلد إقرارا بثرواتهم قبل أن يصل قريبهم أو صهرهم إلى مركز السلطة وبعد أن يصل.. حتى الآن، وأن تنشر هذه الإقرارات فى الصحف على الملأ، فقد تبين أن شخصا ما لم يكن يمتلك شيئا ومؤهله كذا وعمله كذا، ثم أصبح يشار إليه بالبنان، وتلوك الألسنة أنه يربح الملايين أو مئات الآلاف من الجنيهات فى غمضة عين».

وعندئذ انتفض فكرى مكرم عبيد، نائب رئيس الوزراء وممثل الحزب الحاكم، ليرد على عادل عيد قائلا :

«مثل هذا القول الذى ورد على لسان العضو عادل عيد يتساوى فى أنه إلقاء للاتهامات والتشكيك بغير دليل مع ما قاله من أن هناك أصهار ومحاسيب وأنسباء يلاقون معاملة متميزة. وهذا كلام غير مقبول».

ووقف حلمى عبد الآخر، وزير الدولة، فى نفس الجلسة ليقول: «إنه يؤلمنى أشد الألم أن تكون النغمة السائدة بين البعض هى التشكيك فى كل من يتولى وظيفة عامة، وأنه لايليق أبدا أن يفترض عدم النزاهة والانحراف فى سلوك كل موظف عام».

وعاد النائب عادل عيد يقول «إن هذا الأمر عظيم. وأرجو أن يثبت فى مضبطة هذه الجلسة أن لدى أسماء محددة لأشخاص استغلوا صلاتهم وقرابتهم لبعض كبار المسئولين فى الدولة، وأثروا من وراء ذلك ثراء فاحشا وإنى مستعد أن أقدم الاسماء أمام لجنة برلمانية لتقصى الحقائق».

فكرى مكرم: «ما يقوله النائب فيه تجريح لبعض الأشخاص»

النائب :«ما قلته لاينطوى على تجريح لأحد لأن لدى أسماء محددة».

رئيس المجلس: «على السيد العضو أن يقدم الأسماء لأمانة

المجلس، وإذا اقتضى الأمر إجراء تحقيق برلماني».

وبعد أن استعرض بهاء الدين تلك الوقائع في جلسة مجلس الشعب، يقول إنه في يوم ٣٠ يناير ١٩٧٩، قدم عادل عيد خطابا بأسماء خمسة أشخاص من أشقاء وأقارب وأصهار بعض المسئولين الذين يتهمهم باستغلال النفوذ..

ولم تتألف لجنة تحقيق برلمانية، ولكن الذي حدث بعد شهور قليلة هو أنه تم حل مجلس الشعب كله، وأجريت انتخابات جديدة أسقطوا فيها عادل عيد صاحب اللسان الطويل، وبعد ذلك اعتقل عادل عيد مع ١٥٠٠ آخرين من المعارضين، ويضيف بهاء إلى ذلك أن الغريب أن الصحف اليومية لم تنشر في اليوم التالي لجلسة مجلس الشعب المذكورة بكلمة واحدة إلى ما قاله عادل عيد في الجلسة

* الهول العظيم

ما هو تعليق أحمد بهاء الدين على هذه الواقعة؟ يقول: «كرامة البلد هي في مطاردة الفساد، وليست في السكوت عنه ومطاردة المتحدثين عنه كما يدعي بعض الناس».

وقد عاني أحمد بهاء الدين الكثير من جراء حملاته مع الفساد حتى أنه لم يجد أمامه سوى قرائه لكي يفضي إليهم بهمومه. كتب يقول :

«حزب الدفاع عن الفساد- كما يقول الجبرتى- لهم هول عظيم وصياح جسيم» وهم موجودون فى كل مؤسسات الدولة والرأى العام. وحين بدأنا نكتب عن الفساد، لم نجد منهم إلا سب الدين والتكفير..»..

ويفضل بهاء - رغم ذلك- استخدام أسلوب الإقناع الرصين الذى اشتهر به، فيقول: «هناك الكسب المشروع، والكسب غير المشروع، وأصحاب الكسب المشروع لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، بل أن مصلحتهم أن تتطهر صفوفهم من أهل الكسب غير المشروع.. الذين جعلوا ، بسبب وجودهم، الكثير من الناس تمزج الثراء بالفساد.

* مأساة القيم

وترتب على الانفتاح الاستهلاكى والرغبة فى الثراء السريع بأى طريقة والتسابق على جنى الأرباح بطرق غير مشروعة.. انهيار فى القيم داخل المجتمع المصرى.. واعتبر أحمد بهاء الدين أن هذه الظاهرة المفزعة من القضايا الخطيرة التى يجب عليه أن يتناولها باستفاضة فى كتاباته، فقام بتصعيد حملاته ضد الإثراء عن طريق النفوذ، وإزاحة الكفاءات وعدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

وكتب يقول: «لقد سادت قيم غريبة بين الناس، لم تعط

القانون أجازة فحسب، بل طردته واحتقرته وداسته بالأقدام. وأخذتهم العزة بالاثم، وصار التباهى بالمال الحرام مألوفا -ويا للعجب- لأن القيم الغريبة ترى فى هذا شطارة.. وترى أن كل من وقع تحت أنقاض العمارات المنهارة ..إنسان «خائب»

* الفيلسوف وتاجر السمك!

وبأسلوبه الطريف واللاذع فى نفس الوقت، يقول:

«حياة المرء اختيارات. من حقك أن تجرب أن تكون تاجر سمك وتكسب، ومن حقك أن تكون فيلسوفا وتجوع! لكنك لن تكون فيلسوفا وتكسب ثروة تاجرالسمك فى وقت واحد»..

* المجتمع الاستهلاكى والعنف

وهو يعتبر المجتمع الاستهلاكى سببا من أسباب انتشار العنف لأنه خلق قيما أخرى صار الفرد فيها يقاس مقداره بما يملك من سيارة أو يرتدى من ثياب أو يجارى من موضات وتقاليع. هذا أولا. أما ثانيا، فلأنه حيث يتكدس هذا كله فى المدينة الكبيرة، ويتكدس الناس فى نفس المدينة، بنجاحهم وفشلهم وشراهتهم أو تعجلهم أو نقمتهم.. نجد البعض يرتكب العنف ليكدر على هؤلاء الآخرين صفو حياتهم، والبعض يرتكب الجريمة ليحصل على أى مال سريع يحقق بواسطته مايريد، ويطفىء به بعض شهوات نفسه التى يثيرها كل شىء، والبعض

يفلسف الأمر فتتكون الجماعات السرية التى لاترى سبيلا لها وسط هذا الخضم الهائل إلا العنف .

وفى معركة «القيم»، يدعو بهاء إلى نمط جديد من الحياة وقيم جديدة للسلوك، وإلي وقف عملية «نهش المال من لحم البلد وليس من زيادة إنتاجيتها» ووضع حد للسلب والنهب وأعمال الوساطة والنفوذ».

واخترع بهاء تعبير «الجهل النشيط» وأصحابه هم الذين وصلوا فى بلادنا إلى كثير جدا من مراكز التأثير ، كبيرها وصغيرها، وهذا ما يجعل الإصلاح بالغ الصعوبة، بعد أن تراكمت أهرامات من عدم الكفاءة، فكل فرد لايأتى إلا بمرؤوس أقل من مستواه حتى قاع الهرم.

* مرض «العظموت»

.وانتقادات موضوعية كثيرة فى قضايا عامة عديدة.. وردت فى كتابات أحمد بهاء الدين:

* انتقد إسراف مجلس الشعب فى اللجوء إلى تمرير وإقرار مشروع قانون ما جلسة واحدة أو جلستين.. وأحيانا «فى لمح البصر» وانتقد الذين يقومون «بتفصيل» القوانين دون دراية «بموضوعها» وبدون أمانة «لروحها».

* وانتقد تعيين المحافظين من الحزب الحاكم، وانفراد هذا

الحزب بتنظيم الشباب وكثير من المناصب التى لايجب أن تكون ميزة تضاف إلى سطوة الحزب الحاكم.. أى حزب حاكم.

* انتقد شيوع عرقلة تنفيذ أحكام القضاء فى طول البلاد وعرضها، والتجريف المستمر للأراضى الزراعية، وعدم الفصل بين السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيية والقضائية، ووجود «ثقوب» فى كل قانون يصدر عندنا .

* انتقد الإسراف المظهرى وانعدام التنسيق بين أجهزة الدولة.

* انتقد ظاهرة البطالة المقنعة ووجود مئات الآلاف فى كشوف المرتبات دون أن يكون لديهم ما يقابل مرتباتهم من عمل. وتساءل عما يفعله مائتا ألف ساعى وفراش فى دواوين الحكومة، وطالب بإعادة توزيع القوة العاملة.. وبالاستثمار البشرى أى المزيد من الاستثمار للطاقات الإنسانية ، وجعل المواطن أكثر إنتاجية.

* انتقد استعمال اللغات الأجنبية بالحروف العربية وكل ماصاحب «الانفتاح» من أشياء فجة وغثة تبدو بوضوح فى إعلانات الشوارع، وطالب بوضع قواعد للسلوكيات فى الشارع المصرى.

* انتقد ظاهرة مئات الآلاف من الشقق المغلقة وسط أزمة

الإسكان الخانقة.

* انتقد مرض «العظموت» «الإحساس المغالى فيه بالعظمة» الذى يبدأ فى بلاد العالم الثالث من رئيس الدولة ويتسلل إلى كافة مستويات الدولة .

* انتقد أهوال البيروقراطية و«ختم النسر» وإهدار الوقت وجماعات الضغط.

* حمل على الاحتكار حملة شديدة ، واستعان بمقدمة «ابن خلدون» ليهاجمه. ونقل عن المقدمة «ان احتكار الزرع لتحسين أوقات الغلاء مشئوم»، فهو يعتبر «أخذا لأموال الناس بالباطل».

* انتقد الذين يشنون الحملات على السد العالى ويحاولون أن يجعلوا منه «حائط مبكى» فى حين أنه انقذ مصر من الجفاف ويعتبره العالم عملا هندسيا فذا.

* انتقد غياب التخطيط وعدم احترام الأولويات.. وانتقد الرافضين للتقشف، وقال أن التقشف لايكرهه المتقشفون فعلا اذا رأوا أنه نمط للمجتمع كله ولاتدفع ضريبته الفئات المرهقة وحدها.

* انتقد كافة الذين لم يدركوا بعد أننا ننتقل من عصر الجمود إلى عصر الحركة والاكتشاف .

وتعرض أحمد بهاء الدين للاتهام بإثارة البلبلة وتهييج

الخواطر لأنه حذر من خطر أزمة المياه، وقال أن القرن القادم مرشح لأن يكون قرن الصراع على الماء فى أماكن كثيرة منها حوض النيل ومنطقة الشرق الأوسط. وانتقده مسئولون بطريقة غير مباشرة لأنه قال «الآن صار علينا أن نعرف أن الماء سيصبح ثروة محدودة، فيها شركاء، ولها حدود في طرق استخدامها، ولها توزيعات دقيقة».

واليوم يردد المسئولون عندنا نفس ما قاله بهاء الدين.

* نعمة لا نقمة

ويصدد قضية تنظيم النسل.. اتخذ بهاء موقفا متميزا. فقد اعتبر أنها مسألة مقرونة بالوعي وبالاختيار لا بالإجبار، وأن هذا التنظيم لن يتحقق بسرعة. وأكد على فكرة أن الامتحان الكبير لأى مجتمع هو قدرته على تحويل أفراده إلى منتجين ورفع كفايتهم الإنتاجية..ساعتها يتحول البشر من عبء إلى ثروة ومن استهلاك إلى رأسمال. أنه يريد تحويل زيادة السكان من نقمة إلى نعمة عن طريق الاستثمار الإنساني.

* ديمقراطية الكفاءة

ومن بين أهم القضايا التى اتخذ فيها أحمد بهاء الدين موقفا واضحا بلا تردد.. قضية دفاعه عن حق الشعب فى التعليم.. لأن التعليم «ضرورة لكي يتحمل كل مواطن دوره فى الحياة بشكل

أحسن وأجود وأنفع وأمتع».

ورد تلميذ طه حسين على الذين أصبحوا يهزأون من سياسة العميد القائمة على أن التعليم كالماء والهواء.

قال.. «فعلا كالماء والهواء. الكلمة التى يتعامل معها البعض الآن كأنها نكته. كأن تعليم الشعب ترف! كأن هناك شعبا يمكن أن يكون له مستقبل دون تعليم».

غير أن بهاء يستدرك لتقديم إيضاح ضرورى ليجرد خصوم التعليم من أسلحتهم، فيقول :

«البعض يخلطون- وأحيانا عمدا- بين مجانية التعليم وفساده. مجانية التعليم معناها أن التعليم حق القادر وغير القادر. وليس معناها أن يتلوث التعليم ويفسد ليس معناها المقررات التى عفى عليها الزمن ولا السماح بالغش، ولا السماح بتكرار مرات الرسوب أكثر مما يجب المجانية معناها أن تكون الفرصة للكفاءة لا للقدرة المالية المجانية هى ديمقراطية الكفاءة لا ديمقراطية الوراثة. أن ينال الفرصة المؤهلون لها عقلا وجهدا، فتكون أقدار البلاد فى يد أكفأ أبنائها».

* معركة الأجيال

وقدم أحمد بهاء الدين مساهمته الفكرية فى قضية الصراع بين الأجيال. كتب فى اغسطس عام ١٩٥٩ :

«طه حسين يلوم جيلنا لأنه لم يقرأ وينقب فى كتب الأدب العربى القديم كما قرأ طه حسين وبحث. وهذا صحيح! فأنا لم أنقب وأعرق فى دراسة أبو العلاء المعرى مثلا لكى أحاول أن أفهمه، ولكننى فهمته بسهولة من دراسات طه حسين فالفرق بين ها الجيل وجيل طه حسين أن هذا الجيل بدأ من طه حسين! وأن عليه أن ينتهى إلى أبعد مما انتهى إليه طه حسين. وهذه هى سنة الزمن والتطور»

ويستخلص بهاء من ذلك «أن كل جيل ..يكتشف دائما أنه يعرف أشياء لم يعرفها الجيل الذى سبقه.وأن لديه أفكارا لم تخطر ببال الذين جاءوا قبله.. وأنه هو المستقبل.. وتكون النتيجة أن ينتابه الغرور أو يعتبر أن الذين سبقوه.. خلاص راحت عليهم! وهذا وحده كاف لاستفزاز غضب الجيل القديم».

ويقول بهاء «أن المسألة كلها أبسط من ذلك.. فلا يوجد جيل أحسن من جيل، ولكن كل جيل هو ابن عصره.. ونحن الآن فى عصر جديد يصنعه جيل جديد، جيل له صفات لم تكن للجيل الذى سبقه لأنه جاء بعد الجيل الى سبقه ولأنه استفاد من الجيل الذى سبقه».

* رجل الأفكار

ولاتزال دعوة أحمد بهاء الدين إلى النضج الاجتماعي هي الأقوى، ودعوته إلى أن ننقد أنفسنا كشعب، ودعوته إلى إعطاء القدوة الصحيحة الحقيقية التي تقنع المواطن بدلا من المناداة بأي شعارات .

كذلك دعوة صاحب هذا الفكر الطليق إلى تنمية حاسة التذوق، خصوصا لدى الشباب، وإلى ترقية الذوق العام والأخلاق الاجتماعية وعبور حاجز اليأس والاتكال. إنه يعرف كيف يحشد الأمة في ساعة الخطر، ويتجاوز المتناقضات التي تعد في تلك المرحلة «ثانوية» ويتقن حرفة العثور على نقط الالتقاء. فالمفكرون ، من طراز أحمد بهاء الدين، مسئولون عن وجدان الأمة وضميرها وعقلها وقيمها وفي ساعات الخطر تتحدد مسئوليتهم بأن يكون جدلهم حوارا، ولكن الحوار المفيد، سواء في ساعة الخطر أو في الظروف العادية يعرف طريقه إلى قضية بناء المجتمع ورسم علاقاته الاجتماعية وهو حوار لايبدأ مطلقا من تجاهل الواقع، ولكنه يبدأ من الاعتراف به وتحليله ثم، بالتالي، مواجهته.

ولاعجب فإن من يفعل ذلك رجل بسيط من أصحاب الأقلام النظيفة المثقفة المستنيرة أحب بلاده وشعبها و هو (على حد قوله هو نفسه) من «السذج» الذين «عاشوا بالأفكار والذين سيموتون بها».

(١)

الأستاذ بهاء وكفى

يوسف القعيد

أول مرة أسمع من يناديه بغير الاسم الذى تعودنا على مناداته به، عندما كنا فى إحدى الندوات. وسمعت الأستاذ هيكل يناديه يا أحمد، رنت الكلمة فى أذنى، كم بدت غريبة، لدرجة أننى تصورت أن هيكل ينادى إنسانا آخر غير الأستاذ بهاء.

لا أحد فينا يختار اسمه الأم والأب والأهل هم الذين يقومون بهذا ونحن قطع لحم حمراء فى اللفة. ولكن هذا الاسم بمرور الوقت يصبح جزءا من نسيج الشخصية. بل إن هذا الإنسان عندما نفكر فيه. يبدأ التفكير من خلال اسمه.

الأستاذ «بهاء» كلمتان تجسدان هذا الإنسان البديع والنادر والعذب والفذ وتجسدان أيضا رسالته فى هذا العالم والدور غير العادى الذى قام به، وما زلت فى انتظار أن يعود لنا مرة أخرى من فراش المرض لنقرأ له ونسمعه ونشرب رؤاه التى كانت تعيننا خاصة فى الأزمة العصيبة على أن نتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

عندمــا جلست أكــتب له أول إهداء على روايتى الأولى «الحداد» لم أفكر طويلا فى الصيغة التى أقدم روايتى له بها، والإهداء عندى ليس حلية أضعها فى صدر الصفحة الأولى من الكتاب وتدوين الإهداء ليس علاقات اجتماعية، بقدر ما هو محاولة لتحديد موقفى من المهدى إليه ورأيى فيه.

كتبت يومها إلى المفكر الفنان الأستاذ بهاء وكفى بعد كل هذه السنوات أتوقف أمام المفكر الفنان وأدرك أن ذلك - من وجهة نظرى- يلخص تجربة هذا الرائد العظيم بكل دقة تامة. وكلما مرت السنوات وكرت الأيام أصبح لدى يقين أن هذا الإنسان جاء إلى العالم من أجل أن يكون مفكرا وأن يكون فنانا بنفس الدرجة والقدر. نصفه فكر ونصفه فن. من الصعب القول إنه أى فكر وأى فن ولكنهما معا- الفكر والفن- لهما مواصفات شديدة الخصوصية. وهما سر الدور الهام الذى لعبه الأستاذ بهاء وجعله واحدا من القلائل الذين يسكنون تلافيف عقلى الواعى، وحتى لاشعورى نفسه.

الأستاذ بهاء: لا أعرف من أين يأتى هذا الإحساس كلما جلست معه واستمعت إليه. يخيل إلى أنه كان من المفروض أن يصبح قصاصا أو روائيا، كانت لديه دائما تلك القدرة غير العادية على الحكى. حكاء من الطراز الأول، يقول ما عنده دائما على شكل حكاية أو حدوته. بطريقة حكى فريدة وهامة، والقدرة

على الحكى هى الكلمة الأولى لكى يصبح الإنسان قصاصا أو روائيا والخامة كانت عنده وكان يمارسها يوميا. فى حكاياته الشفهية كل مقومات القص الذى لاينقصه شيء. وإن كان لابد من الاعتراف أننى لم أناقش معه أبدا حكايته مع القص أو الحكى، أقصد القص المكتوب وموقفه منه. ولماذا لم يتطور الأمر إلى محاولة الكتابة أبدا وربما كانت عقدة بعض المحاولات التى لم نسمع عنها أو نقرأها .

فى اللقاءات الأخيرة قبل أن يدهمه المرض لاحظت أن هذا الحكى قد بدأ يتجه اتجاها جديدا. كان الرجل يغطس فى برميل ذكرياته القديمة. يحلق بعيدا مع هذه الذكريات من خلال حكى موضوعه الأساسى وهو الذكريات البعيدة. وخلال الحكى تستيقظ شخوص ويعاد خلق أحداث. هى فى النهاية ملحمة مصر والوطن والعالم فى نصف القرن الأخير. من منظور رؤية كاتب هام لهذه الأحداث وتلك الوقائع ..

الأستاذ بهاء: يمثل بالنسبة لى تلك القدرة الرائعة على التفكير من خلال عمليات تفكير منطقية ومنظمة بعيدا عن الانفعالات والطرطشة العاطفية. مع رفض قاطع للإمساك بالأمور من طرف واحد ورحابة نادرة قادرة على إعطاء الآخر العذر الكامل فيما يذهب إليه كنت أحسده على تلك القدرة التى تمكنه من الوصول فورا ورأسا إلى جوهر أى قضية مع عدم

الغرق فى التفاصيل التى نعانى جميعا من الغرف فيها والتى تبعدنا عن كل ما هو جوهرى فى الواقع: كان يفرق خلال حديثه- ودون أن يبدو أنه يتعمد ذلك- بين الثوابت والمتغيرات الثوابت لاتقبل أى نقاش والمتغيرات يؤثر عليها كل موقف طارىء، لكن ثوابت بهاء لم توصله أبدا إلى حالة من التحجر والجمود فى أى مرحلة من مراحل تطوره الفكرى.

الأستاذ بهاء: رأيت فيه فهما حقيقيا للتقدم والاستنارة دون إسقاط البعد الإنسانى لهما أى أنهما لم يظلا مجرد شعارات مرفوعة. ولكن بعد أنسنتهما كانت له مواقف ضد التخلف والظلام والضباب.. والعصور الوسطى فيها اضاءات هامة ولكن أيضا فيها ذلك القدر الهائل من التخلف، ولكن الأستاذ بهاء كان قادرا على فرز كل ما هو مضىء وسط كومة كل ما هو متخلف.

الأستاذ بهاء: كل هذا الجمال والبهاء كان له موقف من عناصر الجمال فى حياتنا والبحث عنها وإبرازها، ولو فعل كل منا هذا لطاردنا القبح والدمامة. ورغم فكره التقدمى وحسه الاجتماعى الأصيل وإيمانه بالعدل الاجتماعى، وضعفه فى مواجهة الفقراء، إلا أن ذلك لم يكن يتناقض مع أن يعيش هو كما تعيش الصفوة. صفوة العاصمة، إحساسه بالجمال يتجلى فى ملبسه ومسكنه وأهل بيته وأصدقائه والذين اقتربوا منه وتعلموا على يديه كان يدرك أن الحياة على ظهر الأرض قصيرة

وعابرة ولابد أن تصل إلى نهايتها ذات يوم ولابد من تحويلها إلى شيء جميل وعذب. الوطن في مجمله هو إمكانية الفأس والأرض والزمان والناس مع ضرورة أن يتحول كل هذا إلى مصنع للسعادة.

الأستاذ بهاء: إنه من ذلك النوع من الناس الذي يتسلل إليك، لايقتحم الوجدان مرة واحدة، ولايحتل الخيال في غمضة عين، ولكنه المتسلل بهدوء شديد، وما أن يتمكن من الفؤاد حتى يبقى لايخرج أبدا ولذلك يمكن القول إن تلاميذه أكثر من أن يحصيهم العد . المشكلة أن أستاذيته تختلف عن أستاذية الآخرين. أستاذية تهدد استقلالية التلميذ، تجعله في النهاية- مثل نباتات الظل، وتلك بعض أزمات الذين استقر بهاء في حبه العقل منهم . يسير الإنسان- منهم- في أي طريق لكي يجد الاستاذ بهاء في آخر الطريق مهما حاول واجتهد وتعب فؤاده.

الأستاذ بهاء : كثيرة هي لحظات الضعف الإنساني التي شاهدته عليها. وهي اللحظات التي يصبح فيها الإنسان إنسانا قبل أي اعتبار آخر. عندما نخلع جلودنا الاجتماعية من فوقنا ويتحصن كل منا بآخر حصونه: إنسانيته .

عندما بدأ المرض يهدد عينيه كنت عنده. وكان يتحدث عن قيمة العين بالنسبة إليه، تصورت أنه سيتحدث عن الكتابة ولكنه قال لي إن القراءة أكثر متعة من الكتابة نفسها. وبدون قراءة

حقيقية لايمكن أن تكون هناك كتابة فعلية، قال لى إن نعمة البصر إننا نرى من خلاله «الوجه الحسن» الذى ورد فى بيت شعر لعبقرى من شعرنا، قيمته الأساسية- أقصد الأستاذ بهاء بالطبع- أنه أغلق بالضبة والمفتاح الباب على كل ادعاء وعاش كإنسان.

الأستاذ بهاء لايمكن أن أقول لك كل سنة وأنت طيب فقط ولكن متى تعود لنا. بهاء لا يمكن أن يجلس على مقعد الغياب أبدا. ملح البعاد لايمكن أن يقترب من كل الأشياء الجميلة التى يمثلها الأستاذ بهاء. أقول لك، مكانك ما زال وسيظل شاغرا. ومقعدك يبقى خاويا مساحتك ستظل فارغة. حتى يطل علينا زمن عودتك لنا. وإيابنا نحوك. فمتى... متى ...متى؟!

(٢)

«بهاء» أديبا وفنانا وناقدا

إن الأديب العظيم مرآة لعقلية عصره كله. فإذا حصر نفسه في فرع واحد من فروع المعرفة. فهو يصبح صاحب حرفة وليس أديبا عظيما».

أحمد بهاء الدين زيارة لمكتبة توفيق الحكيم

الهلال - فبراير١٩٦٨

لعل جزءا من أسباب إنتشار الفيديو هو أنه مكتبة من نوع جديد

أحمد بهاء الدين. في الانحطاط الثقافي

العربي ديسمبر ١٩٨١

«إن كثيرا من الذي كتب عن موت صلاح عبد الصبور كان تأبينا خبيثا له. خطته أقلام عبرت عن فرحتها باختفائه بالسير في جنازته».

أحمد بهاء الدين كيف مات صلاح عبد الصبور

العربى .نوفمبر ١٩٨١

كان سيد درويش عظيما من حيث عبقريته الفنية البحتة كما كان سيد درويش عظيما من حيث إرتباط كل تراثه الموسيقى بأعمق نبضات الشعب المصرى

العبث بتراث سيد درويش١٩٨٢ .

«اللغة لم تكن أبدا محايدة»

كلمات فقدت سمعتها فى حياة لغتنا الجميلة

هذا قليل من كثير، مجرد إشارات عابرة من نتاج زاخر وضخم يعكس إهتمام صاحبه بالفن والفكر والأدب. لدرجة أننى عندما أعدت القيام بهذه الرحلة بين كتاباته . خيل إلى أن الأفضل والأحسن هو أن نعيد قراءة ما كتبه لكى ندرك حقيقة موقفه من الأدب والفن والفكر وأن هذا ربما يكون هو الطريق الأقصر إليه .

المشكلة أن معظم هذا النتاج لم يجمع بعد. والكتب لم تجر إعادة طباعتها بصورة منتظمة. ولذلك فإن العثور على نتاجه يبدو مسألة صعبة للمتخصصين فما بالك بالقارىء العادى الذى لايجد الوقت ولا الاستعداد للبحث عن هذه الأمور فى أماكنها التى ربما كانت متناثرة متباعدة .

على أنى أحب البدء بأحمد بهاء الدين الإنسان قبل الكاتب، وهذا يضطرنى إلى الاستهلال ببداية شخصية . مع أنى لا أحب هذا . والبداية نفسها قد تكون لها محاذير كثيرة. فقد أبدو أمام الآخرين كما لو كنت أحول أحمد بهاء الدين - شفاه الله من مرضه وأعاده لنا بأسرع ما يمكن- إلى فرصة لكى أتكلم عن نفسي، مع أن هذا أبعد ما يكون عن تصورى .

لكنى أؤمن دائما أن الإنسان هو حجر الزاوية فى تجربته وسأبدأ محاولتى- وهى ليست أكثر من محاولة- بذكر اللقاء الأول، واللقاء الأخير معه. وتعبير الأخير أقوله تجاوزا لأن لدى حدس صوفى أنه لابد وأن يعود إلينا ذات يوم. نسمعه ونتكلم معه. وأعتقد أن هذا لابد وأن يحدث ذات يوم .

قابلت الأستاذ بهاء- هكذا كنت أحب أن أناديه وكان يفعل غيرى- لأول مرة فى مكتبه بدار الهلال- فى الأيام الأخيرة من السنة الأخيرة من عقد الستينات من هذا القرن. ورأيت الأستاذ بهاء لآخر مرة- تجاوزا- فى بيته قبل أن يحول المرض الأخير بيننا وبينه. وكان ذلك فى أواخر سنة ١٩٩٠.

أعتقد أن المسافة بين فعل قابلت الذى إستخدمته فى وصف اللقاء الأول، وفعل رأيت الذى إهتديت إليه فى الإشارة إلى اللقاء الأخير. هذه المسافة تعكس رحلة الرجل من الصحة إلى المرض بكل دقة. وهى نفسها المسافة من المقابلة إلى الرؤيا .

فى المرة الأولى طلب بهاء- ولنترك الألقاب جانباً فالرجل كان أكبر من أى لقب- طلب أن أنصب إليه. كنت قد تركت له روايتى الأولى «الحداد» ولم أكن أتصور أن الرجل يمكن أن يقرأ رواية بدائية الطباعة رديئة الورق لكاتب لايعرفه .

كان بهاء فى ذلك الوقت هو الرجل الثانى فى صحافة عبد الناصر بعد محمد حسنين هيكل. الذى كان وما يزال وسيظل الرجل الأول ليس فى صحافة مصر وحدها . ولكن فى صحافة الوطن العربى والعالم الثالث.

ومع هذا حدثت المفاجأة . قرأ الرجل الرواية وأرسل فى طلبى . وكان فى لقائه ودودا ودافئا ويتعامل بمثل حنو الأب. قال لى أن نشر روايتى التالية مسئوليته سينشرها فى روايات الهلال السلسلة الشعبية المعروفة . بل وأقدم سلسلة تنشر الروايات فى الوطن العربى كله .

كنت مجندا فى القوات المسلحة فى ذلك الوقت. حيث عاصرت صدمة يونيو ويقظة أكتوبر وقال لى بدقة واختصار أما مكانك بعد الجيش فهو هنا فى المصور «فى الحفظ والصون» .

كان أول ما لفت نظرى فى مكتبه هو ذلك المستوى الرفيع و هذا الذوق النادر والبساطة وعدم الزحام . وتناسق الألوان. ذلك أن علاقة كل لون بالآخر تحاول أن تقول شيئا . والمكتب يخلو

من أكوام الورق والملفات التي تكون مبعثرة على مكاتب روساء التحرير لكن تعطى الانطباع أن من يجلس على هذا المكتب مشغول بقضايا الكون الكبرى .

كم أن صاحب المكتب مفكر وكاتب. ولكن من نوع جديد فالشعر أقصد شعره ليس منكوشا . ونظرات العينين ليست زائغة والملابس مكويه ومنتقاه ومختاره بعنايه. وعند الكلام ثمة قدره فريده على إنتقاء الكلمات المعبرة عما يريد أن يقوله بدقه. وفي الوقت الذى مكثته في المكتب رأيت تنظيما دقيقا. لم يدخل أحد إلا بعد خروجي. وعبقرية صاحب المكتب أوصلت إلىّ رسالة بالوقت المحدد لى دون أن يقال هذا . ومن التليفونات التي رد عليها . كان الاهتمام بالفن والأدب والفكر يسبق بمراحل الاهتمام بقضايا السياسة التي من المفروض أنها اهتمامه الأول .

لقائى معه في بيته كان على مشارف الدخول إلى نفق المرض الأخير. وعندما إتصلت لتحديد موعد قالت لى السيدة «ديزى بهاء الدين» زوجته. أنه من المستحسن حضورى مع أحد الأصدقاء المشتركين . حتى نتحدث معا ولا أرهق بهاء بالكلام المباشر معه. لأنه يمكنه فقط المشاركة «على خفيف» في حديث يدور أمامه. سألت عن موعد ذهاب الصديق مصطفى نبيل إليه. وعرفت أنه يتردد على البيت كل يوم تقريبا . بدون مواعيد محددة

سلفا . وليست له أوقات يبقى فيها عندما يأتى .

اخترت أن أذهب فى المساء الذى سيذهب إليه فيه الفنان عبد الغنى أبو العينين وزوجته السيدة رعايه النمر. كان ذلك جميلا بالنسبة لى. فعبد الغنى ورعايه صديقان على البعد. وهما يحتلان مساحة فى قلب بهاء أعرف سعتها وعمقها .

عندما هل علينا بهاء فى الصالون الصغير الموجود خلف باب شقته.. كانت صحته الجسدية جيدة. وكان قد حلق ذقنه وشعره الثقيل الأقرب إلى الأكرت يغطى رأسه بغزارة يحسده عليها إنسان مثلى سقط شعر رأسه قبل الأوان .

جلس بيننا، أنا على يساره وعبد الغنى أبو العينين على يمينه ورعاية النمر جلست مع ديزى فى مكان قريب منا. كان صدام حسين قد دخل جيوشه الكويت فى ذلك الوقت. فكان حديثى مع عبد الغنى أبو العينى يدور حول هذا الموضوع .

قلنا أنا وعبد الغنى ما نعرفه. وهو على الأغلب الأعم المعلن من الأخبار مع توليفه من بعض النميمة التى لاتعرف طريقها إلى الإعلام الرسمى. ولكن تبقى جزءا من الإعلام الشعبى.المتحرك من خلال ألسنتنا. وكل هذا على خلفيه من تحليل كل منا لما يجرى .

كان بهاء يستدير ناحية الذى يتكلم منا. وعلاوة على

الانصات الجيد. فقد شارك على البعد. بكلمات قليله وتفاصيل مبعثرة. كنا نجلس فى صالون صغير. وكان يطل علينا جهاز تليفزيون ضخم. لم أر أضخم منه فى حياتى حتى الآن. كان يعرض الأحداث التى نتكلم عنها. وكانت نظرات بهاء من تحت نظارته التى توشك أن تصبح جزءا من وجهة موزعه بين ما نقوله وما نراه على الشاشة. التى كانت تطل علينا كما لو كنا نجلس تحت الأهرامات نفسها.

نظرت إلى بهاء متعجبا. لو كان الرجل من وضعه الطبيعى لحكى لنا وعاد بالأمور إلى جذورها الأولى. وقدم رؤية تتجلى فيها قدرته الثاقبة القادرة على الوصول إلى جوهر أى موضوع مع ذكريات حميمه مع أطراف الأزمة. كان من الصعب ضبطه متلبسا بحالة إنحياز عاطفى لاتسنده حيثيات عقلية ومنطقية، وإن كان بهاء جزءا من الذى كان يجرى.

وكنت قد ذهبت إلى بيت بهاء قبل ذلك أكثر من مرة والبيت قطعة من الذوق الرفيع. اللوحات المعلقة على الحوائط أصليه. فيها إحساس نادر بالفن تعادى أذواق محدثى النعمة وتطاردهم، الذين يعلقون على الحوائط أية أشياء بدلا من تركها عارية.

والمكتبة تعكس الاختيار النادر لايوجد كتاب واحد كان يمكن الاستغناء عنه. والأثاث الموجود فى الصالة الكبيرة جزء من هذا الجو. الذى يشعر الإنسان أنه يجلس فى متحف .

قد يكون لزوجته السيدة «ديزى» دور فى هذا . وربما لعب زياد إبنه دور ما. وقد يكون لليلى إبنته دور معين ولكن يبقى الأصل هو الرجل صاحب البيت.

يقول بهاء عن حب الكتب :

وقد عرفت هذا النوع من حبَ الكتب الذى بدأ طبعا بحب القراءة وأنا حبى شاب، فى دار الكتب أو بالاقتراض. ثم تطور حب اقتناء الكتب وليس الاكتفاء بقراءتها وكان المرء حين يقتنى الكتاب فإنه «يمتلكه» كما يمتلك أى معشوق .

وبهاء لم يكن يقوم بكل هذا كنوع من الترف. أو المنهجة الاجتماعية. ولكن كإختيار يخص صاحبه. أذكر مرة عندما طلب بهاء من صديق مشترك أن أطلبه تليفونيا قابلته. عرض على العمل معه فى مجلة الشموع التى يتولى تأسيسها مع صاحبتها الدكتورة لوتس عبد الكريم وقداعتذرت له يومها. لأننى كنت وما زلت وسأظل ضد التوسع فى أى عمل صحفى على حساب الوقت الذى يمكن أن أخصصه للأدب. قال لى أنه يتفهم دوافعى ولكنى عندما سألته : لماذا يتولى مسئولية إصدار مجلة وهو الذى شبع من تأسيس الجرائد والمجلات الناجحة .

قال لى :

- إن ما ينقصنا فى هذا الجزء من العالم. هو الإحساس

بقيمة الجمال فى حياتنا . إن الإعلاء من شأن هذه القيمة من الممكن أن يواجه العديد من السلبيات التى نواجهها فى حياتنا اليومية. إن الجمال مشروع من أجل الحياه. ولكن القبح دعوة للآخرة والدمار والقتل.

هل أجبت بذلك على السؤال الكبير عن موقف بهاء من الأدب والفن والفكر؟ أم أن ما قدمته يتم بصورة غير مباشرة؟ سنواصل الرحلة مع تفاصيل من حياته .

لقد كانت صداقاته الحميمة مع أهل الأدب والفن والفكر. لم يكن الساسة ولا الحكام من الصداقات الحميمة فى حياته. والذين اقتربوا منه من محترفى العمل السياسى. كانوا من الساسة العرب وجميعهم كانوا يقفون فى منتصف المسافة بين السياسة والأدب. ساسة ولكن الفن لطشهم فظلوا حيارى بين الدائرتين وصداقات بهاء معهم. كانت جزءا من حلمه القومى. أما إهتمامه بالأدب والفن فقد كان الخط الاستراتيجى الذى يحافظ عليه طوال حياته كلها.

وحتى عندما كان يكتب فى السياسة . فإن الكتابة نفسها كانت فنا جميلا. كان يتحدث دائما عن إعادة متعة القراءة إلى العين. وأن قيمة الجمال عند الكتابة يجب أن تعلو فوق أى قيمة أخرى. لدرجة أننى كنت أتعامل معه بإعتباره فنان أولا. وكاتب سياسى ثانيا . وعندما كنت أهديه كتبى. كنت حريصا على أن

أصفه بوصف كررته فى كافة الإهداءات «المفكر الفنان» وكان يتوقف أمامه فى كل مرة بالموافقة والإعجاب.

وإن كانت الظروف قد باعدت بينه وبين الإبداع الأدبى والفنى بالصورة التى نعرفها به فى حياتنا. فقد كان تصورى له دائما. أنه فنان من الطراز الأول. هذا على الرغم من أن معاصريه قد نظروا إليه على أنه «ناقد» قبل أن يكون كاتبا سياسيا .

يقول عنه نجيب محفوظ :

ورغم أن بهاء ليس ناقدا محترفا. إلا أن تعليقاته أو متابعاته فى المجال الفنى والأدبى . كانت فى غاية الروعة. وكنت أشعر أن بهاء لو أراد أن يكون ناقدا سيكون فى طليعة النقاد فهو صاحب ذوق فنى رفيع.

وقد قرأت له -يكمل نجيب محفوظ- فى الشهادة التى أدلى بها إلى مصطفى نبيل ونشرت فى كتاب «من حملة مشاعل التقدم العربى أحمد بهاء الدين» .

والصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت فى فبراير ١٩٩٤. وكنت أتمنى لو صدر هذا الكتاب من مصر وبسعر رخيص حتى يكون فى متناول عشاق بهاء ومريدى التقدم. ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه. نعود إلى شهادة نجيب محفوظ عن بهاء. فهو يقول فيها:

- وقد قرأت له- يقصد بهاء- تعليقات أو متابعات عن روايات وأفلام ومسرحيات ومسلسلات تليفزيونية عربية وعالمية. وكان نقده قائما على رؤية فى غاية العمق. وليس له من نظير فيمن يقولون هذا النقد. وأشهد أنه لو تفرغ للنقد لكان فى طليعة نقاد عصره .

وبعد شهادة نجيب محفوظ عنه. نتوقف مع شهادة بهاء عن قراءته لثلاثية نجيب محفوظ «بين القصرين» يقول بهاء أنه بحكم طبيعته لايحب قراءة الروايات الطويلة جدا وعندما صدر الجزء الأول من الثلاثية، أفسد عليه حياته وشده من عمله. ولكن ما إن صدر الجزء الثانى «قصر الشوق» حتى كان مريضا. فوجد فيه ما ملأ عليه فراغ مرضه. وما إن صدر الجزء الثالث «السكرية» حتى جعله يتفرغ ويسافر إلى الاسكندرية. لكى يقرأه. يقول بهاء عن الرواية :

- لست ناقدا لكى أحلل مزايا هذا العمل الشامخ الذى اعتبره أعظم عمل من نوعه فى الأدب العربى. ولكنى - كقارىء لاكناقد- أستطيع أن أقول أن هذه القصة تعد وثيقة لانظير لها فى مصر. أى شىء فى مصر ليس فيها؟

ويقول عن قراءته للرواية: لقد قضيت يومين فى ضيافة عائلة أحمد عبد الجواد التى يتحدث عنها نجيب محفوظ فى ألف صفحة عبر ثلاثة أجيال وثلاثة أجزاء من سنة ١٩١٨ وحتى سنة

. ١٩٤٥

ويقول عنه الشاعر العربى الكبير عبد العزيز المقالح:

- كان يمكن أن يصبح أحمد بهاء الدين من المبدعين أو النقاد الكبار. وقد تنبه لأثر الصحافة بوصفها مجال التعبير الأوسع».

فإن كانت تلك هى نظرة أهل الفن إليه. فإن رؤيته لنفسه كانت متطابقة معها، يقول أحمد بهاء الدين للدكتور عمرو عبد السميع فى مجلة قمر ١٤ والتى أسسها عمرو. وكان قد أصبح اسمها فديو ١٤. وفى العدد ١٤ منها الصادر فى ١٧ أكتوبر ١٩٨٤. يقول بهاء:

-« عندما أكتب فى الفن عموما. لا أكتب من خلال ثقافة الناقد المتخصص. ولكن كتابه المتلقى المهتم . الذى يمكن أن يشير على جمهوره من القراء بمشاهدة فيلم أو مسرحية جيده. ولكن على الرغم من إستمتاعى الشديد بهذه الدعاية الفنية. إلا أن السياسة طغت ، مع الأسف - على معظم ما اكتب وقد تندهش إن علمت أننى أتمنى أن انتهى إلى أن أكون ناقدا فنيا.

وخطورة الإعلان عن هذه الأمنية أنه يتم سنة ١٩٨٤. والرجل فى قمة مجده، ليست أمنية شاب ولكن رجل حقق ذاته. وفعل كل ما يريد. ومع هذا بقى الفن والأدب منطقة وجع من نوع خاص

في حبة قلبه .

يقول بهاء في مقال له عن سولجسنتين :

- فالكاتب أو المفكر أو الفنان الحقيقي من المفترض فيه أنه يحس ويرى ما لايراه ولايحسه الآخرون. ذلك أن المفكر الصادق أو الفنان الموهوب يتمكن من اختراق مظاهر الأشياء والنفاذ إلى ما ورائها».

ويكتب عن اللغة :

- «اللغة هي دائما أداة.أنها وسيلة لا غاية. والبلاغة في اللغة أداة لحسن التعبير واتقان توصيل الفكرة أو العقيدة وهذه هي بلاغة عصور النهضة. في حين كانت البلاغة هدف في حد ذاتها في عصور الانحطاط.

ويقول عن الشعر :

الشعر ابن الوقفة والتأمل والهمس الصاعد من النفس وهي أمور لايسمح بها ضجيج هذا العصر وسرعته.

الفراعنه خلدوا حضارتهم بالحجر. والغرب بفنون المسرح والموسيقى والرواية. أما العربي فإنه منذ ميلاده يعبر عن نفسه بالشعر . لقد عرف الشعر قبل أن يعرف القراءة والكتابة فالشعر جزء من لحمه ودمه .

ويكتب عن القراءة :

- لا أصدق أن كاتبا وفنانا مرموقا لم يقرأ الكتب المهمة. فى أدب طه حسين وتوفيق الحكيم وغيرها. من رواد الأدب المصرى الحديث أن مثل هذا الكاتب الشاب الممتاز لايمكن أن يستمر إمتيازه بغير ثقافة واسعة. إن لمعة إنتاجه الأولى هى لمعة الموهبة التى سرعان ما تخبو وتكرر نفسها ويضيق أفقها إذا لم تجدد مددا من خبرات الحياة ومن الثقافة العميقة.

لقد كانت بدايات بهاء الوظيفية من إدارة التحقيقات بوزارة المعارف العمومية. كان معه فى نفس الإدارة. فتحى غانم وعبد الرحمن الشرقاوى. وعندما عمل فى الصحافة المصرية والعربية فإن «صباح الخير» ابنته البكر و«المصور» و«الأهرام» و«أخبار اليوم» و«العربى» و«الشموع». فقد حول كل مجلة وجريدة تولى أمرها إلى شرفة تطل على الفن والأدب بكل ما فيه من متعه وبهجة وجمال .

ومن يطالع مجلد مختارات مقالاته من الخمسينات والستينات الصادر فى بيروت. مع كلمات وشهادات عنه كتبها أحباؤه وأصدقاؤه. وهو المجلد الذى أعده بإخلاص ووفاء نادرين فى هذه الأيام. مصطفى نبيل وجميل مطر. سنجد أنه ما من ظاهرة أدبية أو فنية أو فكرية عاصرها. مصريا وعربيا وعالميا. *لم يتوقف أمامها بالدقة اللازمة والروح الفنية المطلوبة.* ولكن من خلال موقف تقدمى وتكفى القاعة نظرة. ليس على

المقالات نفسها . ولكن على الكشاف التحليلي لعناوين الموضوعات والأسماء الواردة فيها .

والآن - بعد هذه الرحلة التى طالت أتوقف أمام بعض الظواهر :

وقف بهاء مع الشعر الحديث رغم أن الكبار فى ذلك الوقت كانوا ضده حتى الشعراء القدامى أنفسهم. أما بهاء فقد راهن على موهبة صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى منذ البدايات الأولى لهذا التجديد الذى هز عرش الشعر التقليدى تماما .

كانت مجلة «المصور» وهو رئيس تحريرها في مقدمات المطبوعات المصرية والعربية التى أولت إهتمامها لجيل الستينات الذين كانوا يسمون ومازالوا الأدباء الشبان. علاوة على العلاقة الإنسانية التى ربطته برموز هذا الجيل على جبهة عريضة تتعدى الكلمة المكتوبة شملت الفنانين التشكيليين ومخرجي السينما . وحتى أهل الطرب والغناء.

كان بهاء هو الذى أقنع سيدة الشاشة العربية فاتن حمامه . الاتجاه إلى النصوص الأدبية لكى تقدمها على الشاشة. واختار لها رواية «الحرام» ليوسف إدريس. وبعد هذه التجربة اختار لها رواية طه حسين «دعاء الكروان» ولولا إصرار بهاء ودفاعه

وترافعـه عن هذه الرواية مـا فكر أحـد من أهل السـينمـا فى الاقـتـراب من هذا النص بالذات، وقـد اتـجـهت السـينمـا إلى النصوص الأدبيـة رغم أن النجاح لم يصادف المحاولات الأولى

حاول دائما أن يعود العين المصرية والعربية على قراءة لوحة الفن التشكيلى إما بنشرها . أو الكتابة عنها.. وحاول أيضا وفى نفس الوقت أن يعـود الأذن العربيـة على الاسـتمـاع إلى النغم الأصيل والجميل والعذب إبتداء من التراث العربى. وحتى الموسيقى الكلاسيكية العالمية .

عندما ظهر الفنان عادل إمام فى بداياته الأولى ولم يحسن البعض استقباله. كتب يطلب منهم العودة إلى ظاهرة شكوكو الذى صنع له الناس التماثيل ووزعوها فى الشوارع .

تلك كانت محاولة منى للتواصل معه. فى صمته من هذا المكان الذى ولد فيه. ونشأ فى أعماقه يضيف محمد حسين هيكل موقف بهاء الآن بقوله

- المقاتل الآن ولكن بالصمت»

ويقول عنه عبد العزيز المقالح:

- صاحب الصوت الأنقى فى الصحافة العربية صاحب اللغة الأدبية التى تلامس وعى القارىء.

وإن كان الدكتور على الراعي يلخص حاله بأدق عبارة عندما يكتب عنه :

- يناضل أيضا من يقعد ينتظر

وأنا أحلم الآن أن يكون هذا الإنتظار إستراحة محارب بين معارك الأمس وحروب الغد .

فنحن الآن فى أمس الحاجة إليه.

لقد كان إنسانا فريدا. وفنانا نادرا وكاتبا غير قابل للتكرار أبدا..

المحتويات

- أحمد بهاء الدين الجنوبى

كلمة اللواء محمد سميح السعيد محافظ أسيوط............ ٥

- أحمد بهاء الدين قلم مضىء

كلمة أ. حسين مهران رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة...٩

- تواصـــــل .... زياد أحمد بهاء الدين ١١

- اربعون عامامن الكتابة .... د/ جلال أمين ١٤

- أحمد بهاء الدين شاعرا...................... رجاء النقاش ٢٥

- أحمد بهاء الدين شابا .... رشاد كامل ٤٣

- أحمد بهاء الدين بين الفكر والعمل .... د/ شكرى عياد ٧١

- أحمد بهاء الدين (كاتب العمود).......... د/ صابر حارص ٧٦

- أحمد بهاء الدين مفكرا .... د/ عبد الله هديه ١٤٠

- يناضل أيضا من يقعد ينتظر .... د/ على الراعى ١٤٠

- أحمد بهاء والتحليل السياسى...... د/ على الدين هلال ١٥٩

- أحمد بهاء الدين صديقا .... فتحى غانم ١٦٤

- أحمد بهاء الدين الاشتراكى .... فريدة النقاش ١٧١
- أحمد بهاء الدين صحفيا .... لمعى المطيعى ١٩٥
- أحمد بهاء مفكر يعمل بالصحافة .... د/ محمد الرميحى ٢٠٥
- أحمد بهاء فتح للشباب باب الشهرة........ محمود قاسم ٢١٧
- أحمد بهاء والقومية العربية.... د/ مصطفى عبد الغنى ٢٢٣
- أحمد بهاء ومدرسة صحفية جديدة........ مصطفى نبيل ٢٤١
- أحمد بهاء الدين المعارك والمواجهات .... نبيل زكى ٢٥٥
- الأستاذ بهاء وكفى .... يوسف القعيد ٣٠١
- بهاء أديبا وفنانا وناقداً......................... يوسف القعيد ٣٠٧

رقم الايداع ٩١٤٦/٩٥

تعتز الأمم العريقة بأبنائها النجباء الذين أخلصوا لأوطانهم ومنحوها من فيض فكرهم وعزيز جهدهم سطوراً مضيئة، وأحمد بهاء الدين ليس ابنا وفياً لوطنه فحسب لكنه بوتقة جمعت فى ذاتها عذوبة اللغة وإحكام العبارة والفكر التنويرى الذى يجمع بين السياسة والأدب والفن والدين فى أسلوب راق لا يعرف العصبية أو التحيز لقد عرفنا أحمد بهاء كاتباً كبيراً ذا رأى حصيف يلتف حوله من يرغب فى المعرفة الراقية والفكر الموضوعى إن مواقف «بهاء» الوطنية ليست بخافية على قرائه ومحبى كتاباته وعاشقى إنسانيته ورحابة أفقه وهاهى الهيئة العامة لقصور الثقافة - كعادتها - تقدم هذا الكتاب عن واحد من خلصاء مفكرى هذا الوطن.

ثلاثة جنيهات